الشخصية الإسرائيلية

دراسة فى

توجهات المجتمع الإسرائيلى نحو السلام

تأليف

أ.د محمد خليفة حسن

جامعة القاهرة

سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية

يصدرها مركز الدراسات الشرقية - جامعة القاهرة

تحت إشراف : أ.د / محمد خليفة حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

تعتبر المرحلة الحالية فى تاريخ الصراع فى الشرق الأوسط مرحلة انتقالية بالنسبة لتكوين الشخصية الإسرائيلية وكذلك بالنسبة لتكوين المجتمع الإسرائيلى . إنها مرحلة تغيير أساسية فى طبيعة الشخصية الإسرائيلية وطبيعة المجتمع الإسرائيلى . فمنذ مبادرة السلام عام ١٩٧٨م وما ترتب عليها من مفاوضات بين إسرائيل والعرب على المسارات المختلفة بدأ المجتمع الإسرائيلى يدخل فى مرحلة تغيير عميقة سيترتب عليها تغيير شكل الحياة فى المجتمع الإسرائيلى الذى يبذل جهوداً مضنية لمقاومة هذا التغيير . وهى مقاومة غير مجدية لأنها ضد مسيرة التاريخ وضد التيار السياسى الدولى العام الذى تبلور بعد سقوط الاتحاد السوفييتى ووضع نهاية للحرب الباردة وظهور ما يسمى بالنظام العالمى الجديد ، والاتجاه إلى حل المنازعات السياسية بالوسائل السلمية .

أما التغييرات الجذرية التى أصابت المجتمع الإسرائيلى فأولها أنه سيتحول بالتدريج من مجتمع حرب إلى مجتمع سلام بتأثير من العوامل السياسية الاقليمية والدولية . أما التغيير الثانى فى طبيعة المجتمع الإسرائيلى فهو التحول من مجتمع عسكرى إلى مجتمع مدنى وتخف

بالتدريج الصفة العسكرية الغالبة على المجتمع الإسرائيلى . وسيترتب على هذين التغييرين أن يخرج المجتمع الإسرائيلى من عزلته داخل المنطقة فيتحول من مجتمع مغلق منعزل إلى مجتمع مفتوح له علاقات طبيعية مع الدول المجاورة أولا ومع بقية دول العالم العربى والإسلامى بعد ذلك . وستؤدى هذه التغييرات فى النهاية إلى تحويل المجتمع الإسرائيلى من مجتمع يعيش حياة غير طبيعية إلى مجتمع طبيعى يدخل فى علاقات طبيعية مع غيره من المجتمعات .

ويجب أن نشير فى هذه المقدمة إلى أن الفضل فى إحداث هذا التغير وخلق الظروف والعوامل التى أدت إلى وقوعه يعود إلى مصر أولا وإلى الفلسطينيين أصحاب القضية الأصلية وإلى الموقف العربى العام من القضية الفلسطينية . وتأتى الظروف الدولية فى النهاية لتمثل أحد عوامل الضغط المؤكدة على ضرورة حدوث التغير . وتعتبر حرب ١٩٧٣م نقطة البداية والعامل الرئيسى فى اتجاه المجتمع الإسرائيلى إلى التغيير فقد رسخت حرب ١٩٧٣م فى الذهنية الإسرائيلية أن مبدأ القوة واللجوء إلى العنف والحرب فى معالجة الصراع فى الشرق الأوسط قد سقط سقوطًا مروعًا ، وأن الاعتماد على التفوق العسكرى لا يحقق الأمن الذى ينشده الإسرائيليون . ثم بدأت معركة السلام بمبادرة الرئيس السادات وزيارة القدس والدخول فى معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ، ونقلت مصر بذلك المعركة من ميدان الحرب إلى ميدان السلام وأدارتها بنفس القدر من الحكمة والخبرة والكفاءة وأجبرت المجتمع الإسرائيلى على قبول فكرة السلام بعد خروجه مهزومًا مذهولاً من حرب ١٩٧٣م

التى لولاها لما رضخت العقلية الإسرائيلية لفكرة السلام . وتحدث الانتفاضة الفلسطينية وتسبب هزة سيكلوجية عنيفة للمجتمع الإسرائيلى الذى خرج مهزوما فى حربه مع الكبار ليجد نفسه متورطا فى حرب مع أطفال الانتفاضة الذين أثبتوا للمجتمع الإسرائيلى أن الحجر يتفوق على الدبابة والمدفع . وقد نجحت الانتفاضة فى تعرية المجتمع الإسرائيلى وفضحه أمام الرأى العام العالمى. ومما لا شك فيه أن الانتفاضة لها دور مؤثر في دفع المجتمع الإسرائيلى إلى التغيير . وأخيرا تؤدى المتغيرات على الساحة الدولية إلى التأكيد على ضرورة التغيير فمع انتهاء الحرب الباردة إثر سقوط الاتحاد السوفييتى بدأ فى الظهور اتجاه عالمى قوى إلى حل المشكلات السياسية من خلال المفاوضات ، وعدم اللجوء إلى القوة ، والتدخل لمنع الحروب وبدأ يتبلور نظام عالمى جديد يؤكد على نبذ الخلافات ، ويحض على التعاون الاقتصادى ، وشهدت منطقة الشرق الأوسط ظهور مشروعات اقتصادية ثقافية تتخذ من السلام أساسا لانطلاقها مثل مشروع الشرق أوسطية ومنتدى البحر الأبيض المتوسط وغيرها من الأفكار المطروحة بما تحتويه من إيجابيات وسلبيات ، وبما تخفيه من أهداف ومصالح . وهى جميعًا تستغل مناخ السلام وتشجعه وهى فى نفس الوقت تنقل الصراع من دائرة السياسة والعسكرية إلى دائرة الاقتصاد والتجارة والثقافة .

تحاول هذه الدراسة أن ترصد التغييرات التى طرأت على الشخصية الإسرائيلية وعلى المجتمع الإسرائيلى بفعل الظروف والعوامل السابقة

الذكر . وقد بدأت الدراسة بتحديد العناصر المكونة للمجتمع الإسرائيلى والمشكّلة لبنيته السكانية وهى عناصر اليهود الأشكناز والسفارديم والصابرا وعرب فلسطين ، وتحديد دور كل عنصر فى تركيبة المجتمع وتأثيره فى صنع السياسة الإسرائيلية ، ووضع استراتيجيات الحرب والسلام . ويناقش البحث رؤية المجتمع الإسرائيلى للسلام ، وأثر السلام على الصيغة الثقافية للمجتمع الإسرائيلى من خلال مناقشة المشروعات الثقافية المطروحة على الساحة مثل مشروع الشرق أوسطية والوضع الجديد للمجتمع الإسرائيلى بين ثقافتى الصراع والسلام . هذا بالاضافة إلى النظر فى مصير المؤسسة العسكرية الإسرائيلية بعد السلام . وتثير هذه الدراسة أيضًا وضع الأيديولوجية الصهيونية والأصولية اليهودية ومواقف الأحزاب الإسرائيلية المختلفة ، كما تعرض رؤية المجتمع الإسرائيلى للدولة الفلسطينية ولمستقبل القدس .

وبعد تحليل أوضاع المجتمع الإسرائيلى بعد السلام تطرح هذه الدراسة تصوراً عربيًا لكيفية مواجهة المجتمع الإسرائيلى بعد السلام وذلك من خلال طرح استراتيجية بعيدة المدى للتأثير على الشخصية الإسرائيلية وعلى المجتمع الإسرائيلى مع ضرورة النظر إلى الوضع العربى بعد السلام ووضع استراتيجية عامة للمواجهة تتناسب مع الأوضاع الجديدة التى فرضها السلام وما سينتج عنها من تطبيع للعلاقات العربية مع إسرائيل الأمر الذى يتطلب رؤية عربية جديدة للمواجهة التى انتقلت من مجال السياسة والعسكرية إلى مجالات الاقتصاد والثقافة والتكنولوجيا

مع عدم الإخلال بالتوازن فى المجال العسكرى ووجوب اليقظة السياسية للدفاع عن المصالح السياسية العربية فى ظل السلام ومن خلال فهم عميق للمشروعات الثقافية المطروحة بما تحمله من أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية .

الفصل الأول

طبيعة المجتمع الإسرائيلى

أولاً : العناصر المكونة للمجتمع الإسرائيلى

١ - اليهود الأشكنازيم (يهود الغرب وأمريكا وشرق أوروبا) :

ورد الاسم « أشكناز » فى العهد القديم فى عدة مواضع منها التكوين ١٠ : ٣ ، إرميا ٥١ : ٢٧ وأطلق منذ القرن التاسع الميلادى على اليهود الألمان حيث سمى اليهود الألمان وذريتهم « أشكنازيم » فى مقابل مصطلح « سفارديم » الذى أطلق على اليهود الأسبان . وقد هاجر اليهود الأشكناز بعد الحروب الصليبية إلى بلدان أوربا الشرقية ، وفى مرحلة متأخرة هاجروا إلى أوروبا الغربية ثم إلى أمريكا[١] . ويختلفون عن السفارديم فى اللغة حيث كانوا يتحدثون باليديش كما يختلفون عنهم أيضًا فى الشعائر الدينية وفى التراث الدينى والذى يقترب من التراث اليهودى الفلسطينى بينما يقترب التراث السفاردى من البابلى . ويكون الأشكنازيم قبل عام ١٩٣٣م نسبة ٩٠٪ من تعداد اليهود فى العالم أى حوالى خمسة عشر مليونًا من اليهود .

ويسيطر اليهود الأشكنازيم على الحياة السياسية والعسكرية فى إسرائيل ولأنهم يتمتعون بوضع ثقافى متميز فهم يسيطرون أيضًا على الحياة الفكرية والتعليمية وعلى الحركة الأدبية والفنية . وفى مواجهة تعدد الثقافات اليهودية داخل إسرائيل قررت إسرائيل صهر هذه الثقافات بالعمل على سيادة النموذج الثقافى والاقتصادى والاجتماعى

الذى كونه الأشكنازيم. ويعتبر الأشكنازيم اليهود الشرقيين جماعة يهودية متخلفة بل وبدائية فى بعض الأحوال وأنهم فى حاجة إلى إعادة تكوين وجودهم وتفكيرهم [٢]. وقد وصفهم بن جوريون بأنهم متخلفون ينقصهم التعليم والاستقلال وإحترام الذات ويجب أن يجتهدوا للحصول على المميزات العقلية والمعنوية لليهود الأشكنازيم الذين خلقوا الدولة . وتعتبرهم بعض الدراسات قبائل يهودية تائهة وبائسة . وإزاء هذا الموقف الأشكنازى كان رد الفعل اليهودى الشرقى إما التخلى عن الشخصية الشرقية والتحول إلى شخصية أوروبية أو اظهار بعض المقاومة الفعلية للأشكنازيم . ويبقى اليهود الشرقيون عمومًا خارج بوتقة المجتمع الإسرائيلي وذلك بسبب تدنى المستوى المعيشى وممارسة الأشكناز الاضطهاد ضدهم فى ميادين العمل والتعليم .

وقد تكونت موجات الهجرة الرئيسية قبل ١٩٤٨م من الأشكنازيم . وقد شكلوا فى السنوات ١٩١٩ - ١٩٤٨ م نسبة ٨٩,٣٪ من عدد المهاجرين إلى فلسطين ونسبة ٤٥,٤٪ فى السنوات ١٩٤٨ - ١٩٦٢ . وفى عام ١٩٦٤ كانت نسبتهم إلى عد سكان إسرائيل ٣١,٩٪ وفى سنة ١٩٦٧ حوالى ٣٠٪ [٣].

٢ - اليهود السفارديم (يهود البلاد العربية والإسلامية) :

ورد الإسم « سفارد » فى العهد القديم على أنه اسم لإقليم آسيوى يرجح أنه فى شمال فلسطين (عوبديا ١:٢٠) . وفى العصور الوسطى أطلق هذا الاسم على أسبانيا وسمى به يهود أسبانيا وذريتهم أينما

أقاموا . ثم تم تخصيص هذا الاسم لليهود الذين طردوا من أسبانيا عام ١٤٩٢م ، واستقروا فى الشمال الأفريقى وبخاصة فى المغرب أو الذين استقروا منهم فى إيطاليا ومصر وفلسطين وسوريا وفى البلقان وفى الأقاليم الوسطى من بلاد الخلافة العثمانية وبخاصة فى سلونيكا والقسطنطينية [٤]. ومع مرور الزمن اندمجت فيهم جماعات يهودية أخرى إما من السكان الأصليين أو من اليهود المهاجرين من بلاد أخرى والذى تحدثوا بلغة السفارديم وتبنوا عاداتهم وتقاليدهم فأصبحوا جزءًا من مجموعة اليهود السفارديم . ومنذ عام ١٤٩٧م انضمت إليهم جماعات يهودية قادمة من البرتغال . وقد أنشئت فيما بعد جماعات سفاردية جديدة فى أمستردام ولندن وهامبورج وبوردو وغيرها من بلدان غرب أوروبا وكذلك فى شمال أمريكا . ولم تكن هذه الجماعات السفاردية كبيرة فى أعدادها ولكن كانت لها أهمية اقتصادية وسياسية[٥].

ومن القرن السادس عشر الميلادى ، بدأت تتميز جماعات اليهود السفارديم عن اليهود الأشكنازيم فى عدة أمور منها الاختلاف فى طقوس المعبد ، وفى التراث اليهودى الذى يعود بالنسبة للسفارديم إلى يهود بابل بينما يعود تراث الأشكنازيم إلى فلسطين ويظهر الاختلاف أيضًا فى نطق اللغة العبرية ، وفى العادات الاجتماعية ، وفى الانتاج الأدبى ، وفى الزى وغير ذلك . وقد تحدث السفارديم الذى استقروا فى بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط بلغة « اللادينو » . وهى لهجة

يهودية أسبانية ظهر فيها انتاج آدبى كبير . وكانت سلونيكا المركز الثقافى الكبير للحياة السفاردية . وقد انتهت سالونيكا كمركز ثقافى سفاردى على يد النازى عام ١٩٤٣م.

وهناك اتجاه متأخر إلى اعتبار كل يهود المجتمع الشرقى من السفارديم أو اعتبار كل من هو ليس باشكنازى من السفارديم . ويمكن القول أن أهمية السفارديم فى الحياة اليهودية قد تدهورت منذ العصور الوسطى . ويبلغ عد اليهود السفارديم مليونا وثمانمائة ألف حسب احصاء عام ١٩٦٤ أى نسبة ١٥٪ من يهود العالم . وفى أمريكا الشمالية توجد جمعية الأخوة السفاردية اليهودية Sephardic Jewish Brotherhood of America وهى جمعية صداقة تخدم الجماعات السفاردية الصغيرة التى نشأت فى نيويورك منذ بداية القرن العشرين . وللجمعية فروع فى نيويورك ونيوجيرسى وفلوريدا وتبلغ عضويتها عشرة آلاف عضواً . وأهدافها رعاية أعضائها وتوحيد الجماعات السفاردية فى أمريكا (٦).

ووفقًا للرأى الذى يعتبر كل يهود الشرق من السفارديم فإن يهود العالم العربى والإسلامى يعتبرون من أقدم الجماعات اليهودية السفاردية. فقد توزع يهود العالم العربى والإسلامى بين قارات ثلاث هى آسيا وأفريقيا وأوروبا ، وهى القارات التى احتوت اليهود السفارديم . كما أن بعض مناطق العالم الإسلامى كان فيها الوجود

اليهودى السفاردى قويًا مثل بلدان الشمال الأفريقى ومصر وسوريا وفلسطين ، ومثل بعض البلدان التى كانت خاضعة للخلافة العثمانية كالبلقان وغيرها من مناطق أوروبا الشرقية .

وقد تميزت حياة اليهود فى العالم العربى والإسلامى بالقدم أولاً وبالامتزاج التام فى الحياة العامة على مستوى اللغة والتقاليد والعادات وأسلوب التفكير وظروف الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . وهو أمر لم يحدث لليهود فى أى منطقة أخرى من العالم وبخاصة فى أوروبا التى عاش فيها اليهود حياة منعزلة داخل أسوار الجيتو (٧). وقد عاش اليهود فى العالم الإسلامى فى شكل طوائف أو جاليات دينية محمية تتمتع بالحرية الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وتحافظ على تراثها الدينى دون تدخل من الحكومات الإسلامية المختلفة . فحقق اليهود السفارديم بذلك أقصى مراحل الإزدهار ووصفت حياتهم فى المجتمع الإسلامى بواسطة المؤرخين اليهود على أنها تمثل « العصر الذهبى » فى التاريخ اليهودى العام . ومع ظهور الحركة الصهيونية فى أوربا ونجاحها فى انشاء دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م بدأت الجهود الصهيونية تتجه إلى يهود العالم العربى والإسلامى لحملهم على الهجرة إلى فلسطين (٨).

ويجب أن نشير أولا إلى أن التسمية العامة ليهود الشرق وهى السفارديم لاتنطبق فى الحقيقة على اليهود الأصليين فى العالم العربى

والإسلامى . فهؤلاء أصولهم عربية وليست سفاردية أسبانية . فقد تكون يهود العالم العربى فى التاريخ القديم فى فلسطين وتحت ظروف السبى البابلى والرومانى هاجرت جماعات كبيرة من اليهود إلى شبه الجزيرة العربية فى الجنوب أو إلى مصر فى الجنوب الغربى واتجهت أعداد كبيرة منهم إلى الشمال الأفريقى ، وفى العراق تواجدت جماعة يهودية كبيرة بسبب السبى البابلى حيث أجبرت جماعات يهودية على الهجرة إلى أشور وبابل . كما أدى السبى الرومانى فى القرن الأول الميلادى إلى هجرة أعداد أخرى من فلسطين إلى العراق . وتواجد فى إيران أعداد من اليهود منذ السبى البابلى وخلال العصر الفارسى . وبعد ظهور الإسلام انتشر اليهود فى معظم بلدان العالم الإسلامى . والغالبية العظمى من هؤلاء اليهود كانوا عربًا فى الأصل ولا يدخلون ضمن السفارديم المنتمين أصلا إلى أسبانيا . أما وصول اليهود السفارديم إلى بعض البلدان العربية والإسلامية فقد حدث متأخراً فى التاريخ وبالتحديد بعد طرد اليهود الأسبان (السفارديم) من أسبانيا عام ١٤٩٢م حيث اتجهوا إلى البلاد الإسلامية وإلى بلدان الشمال الإفريقى وبلدان الخلافة العثمانية . ولذلك يجب أن نميز داخل العالم العربى والإسلامى بين نوعين من اليهود الشرقيين: اليهود العرب الأصليين واليهود السفارديم الأسبان الذين هاجروا إلى البلاد العربية والإسلامية بعد طردهم من أسبانيا عام ١٤٩٢م . فالقاعدة إذن أنه ليس كل اليهود السفارديم شرقيين وليس كل اليهود الشرقيين سفارديم . فالتسمية سفارديم تسمية شاملة أطلقها الغرب على اليهود غير الأوربيين لتمييزهم عن

الأشكنازيم يهود أوروبا . وكانت الحركة الصهيونية قد نجحت من قبل فى حمل أعداد كبيرة من يهود أوروبا الشرقية (وهم أشكنازيم) على الهجرة إلى فلسطين وهؤلاء يتحدثون بلغة اليديش .

وفيما يتعلق بالموقف من الصهيونية يمكن القول أن الصهيونية أصلا من ابتداع اليهود الأشكنازيم وبخاصة يهود شرق أوروبا ، وهى نتيجة أدت إليها مشاكل الاضطهاد الأوربى لليهود فى شرق أوروبا وكذلك الاضطهاد النازى فى غرب أوروبا . وكان الموقف اليهودى الشرقى رافضًا للحركة الصهيونية التى أدانها معظم زعماء الطوائف اليهودية العربية كما أن الحكومات العربية وضحت أن عداءها موجه ضد النشاط السياسى الصهيونى وضد الحركة الصهيونية السياسية الأوربية فى فلسطين وليس موجهًا ضد الطوائف اليهودية فى العالم العربى (٩).

ولأن يهود العالم العربى والإسلامي ليس لهم دور كبير فى قيام الحركة الصهيونية وفى نشاطها فإن عملية الهجرة التى تولت أمرها الصهيونية لم تشتمل على مهاجرين من العالم العربى والإسلامى . فيهود العالم العربى والإسلامى لم يلعبوا دوراً مهمًا فى الهجرة إلى فلسطين ولا فى إنشاء المستوطنات اليهودية فيها (١٠). ويقدر عدد اليهود الشرقيين الذين هاجروا إلى فلسطين بين عامى ١٩١٩ - ١٩٤٨م بنسبة ٩٪ فقط من الهجرة العامة التى شكل الأشكنازيم الغالبية العظمى فيها . وقد شكل الأشكنازيم نسبة ٧٧.٥٪ من عدد

السكان فى فلسطين عند قيام إسرائيل عام ١٩٤٨م ولم تبدأ هجرة يهود الشرق إلى فلسطين إلا بعد قيام إسرائيل وممارسة الصهيونية الضغوط الشديدة على يهود العالم العربى والإسلامى للهجرة إلى فلسطين وذلك لأهميتها فى تلبية حاجات إسرائيل من الطاقة البشرية العاملة والقوة العسكرية والمالية . ومع فشل إسرائيل فى استقطاب يهود أمريكا وأوروبا وحملهم على الهجرة إليها اضطرت إلى التركيز على يهود العالم العربى والإسلامى . وقد لجأت الصهيونية إلى تحطيم الوجود الأمنى لليهود بين العرب والحقيقة أن الصراع العربى الصهيونى لم يكن له أثر فى تحديد موقف العرب من الجاليات اليهودية فلم يجبر اليهود على الهجرة بل هاجروا تحت تأثير الضغوط الصهيونية .

وقد تزايدت الهجرة اليهودية من البلاد العربية والإسلامية بعد قيام إسرائيل حتى أصبحت نسبتهم عام ١٩٥٦م ٨٦.٧٪ من مجموع الهجرة العامة إلى إسرائيل . وأصبحوا بهذا يكونون جزءاً من المجتمع الإسرائيلى . ويجب فصلهم عن السفارديم الممثلين لليهود الشرقيين على وجه العموم . ولذلك يتكون المجتمع الإسرائيلى من الأشكنازيم الناطقين بلغة اليديش وهم يهود أوروبا ، والسفارديم الناطقين بلغة اللادينو وهم من يهود البلقان والشرق الأدنى ، واليهود العرب الناطقين بالعربية والذين يمثلون معظم البلاد العربية من اليمن وحتى الجزائر ، وأعداد من جماعات أخرى متنوعة [١١].وبلغت نسبة اليهود الشرقيين عام ١٩٥٢م حوالى ٣٠٪ من تعداد السكان فى إسرائيل .

وفيما يتعلق بالسفارديم على وجه العموم فقد شكلوا فى الفترة من ١٩١٩ - ١٩٤٨م نسبة ١٠,٧٪ من مجموع المهاجرين الصهاينة ومن ١٩٤٨ - ١٩٦٢م نسبة ٥٤,٦٪ ونسبتهم إلى عدد سكان إسرائيل عام ١٩٦٤م ٢٨,٧٪ وفى عام ١٩٦٧م نسبة ٢٧,٥٪(١٢).

٣ - الصـــــابرا :

يطلق اسم الصـابرا على الإسـرائيليين المولودين فى فلسطين وذلك لتمييزهم عن اليهود الذين هاجروا إلى فلسطين من مناطق مختلفة من العـالم . ويمثل الصـابرا حـاليًا أكـثـر من ثلث السكان الإسـرائيليين ومعظمهم من الشبـاب (١٣). ويختلفون عن الجيـل السابق عليهم فى المظهر الجسمانى وفى الأخلاقيات والسلوك . ولديهم مشاعر متناقضة أو مختلفة حول بقية الإسرائيليين وكذلك حول يهود الخارج . فهم أكثر ثقة فى أنفسهم إلى حد الغرور وبخاصة فيما يتعلق بصفاتهم العسكرية ومهاراتهم وروحهم القتالية . ولا يميلون كثيراً إلى التحدث فى القضايا السياسية والفكرية وبخاصة فى لغة غير العبرية . ويتميزون بالبساطة فى الحديث والملابس ولا يعجبهم خبث العقلية اليهودية التقليدية ويركزون اهتمامهم فى الأداء الجيد لعملهم وعلى الرغم من الدعاية والتوجيه القوى إلى مثاليات الطلائعية والعمل اليدوى الزراعى والصناعى من خلال المدارس والجيش والإعلام فإن غالبية الصابرا لايميلون إلى هذه المثالية ولا يعيشون بها . وعلى الرغم من أن قلة منهم

فى المستوطنات يقبلون هذه المثاليات فإن المستوطنات لن تتمكن من الحفاظ عليهم (١٤).

إن المبدأ المحرك لفكر الصابرا هو « العمل بدون أيديولوجية » فهم واقعيون فى تفكيرهم وماديون لا تهمهم القيم الروحانية وهو أمر يتهمهم به الجيل السابق عليهم . وصلة الصابرا بالدين ضعيفة على وجه العموم. وهم متميزون بشعورهم القوى بالقومية الإسرائيلية . ولا يتفهمون جداً يهود الخارج كما أنهم لا يعلمون جيداً الظروف التاريخية للمعاداة للسامية وأسبابها . هم إسرائيليون ولكن تدور الشكوك حول يهوديتهم فروابطهم بالمجتمع اليهودى ضعيفة ، كما أن صلتهم بالمجتمع اليهودى ليست قوية(١٥) . وهو أمر اهتمت به الدوائر العلمية اليهودية وبخاصة علماء الاجتماع والنفس والذين قاموا بدراسات مهمة فى هذا المجال ويذكر فى هذا المجال أعمال سيمون هرمان فى الجامعة العبرية وأعمال معهد الدراسات اليهودية المعاصرة التابع للجامعة العربية . وتشير الاستبيانات التى أجريت بين فئات من الصابرا إلى عدم اهتمامهم بالعديد من المشاكل المهمة فى المجتمع الإسرائيلى مثل مشاكل النمو السريع للرأسمالية فى القطاع الخاص والتعصب الدينى من جانب اليهود الأرثوذوكس وتدخلهم السافر فى الحياة العامة والخاصة وأمور الزواج وطقوس السبت وغير ذلك . أو التوتر بين المهاجرين القدامى والجدد وبين الأشكناز واليهود الشرقيين . كما أنهم يواجهون المشكلة مع العرب ببرود شديد وثقة كبيرة فى قوتهم العسكرية .

ويمكن القول بأن هناك ثقافة تحتية للصابرا فى طور التكوين داخل إسرائيل وممكن مقارنتها بعدة ثقافات أخرى مثل ثقافة المهاجرين القدامى ومعظمهم من الأشكناز الذين يشغلون مواقع مهمة فى قطاعات عديدة داخل المجتمع الإسرائيلى ، ومثل ثقافة المستوطنين فى المستوطنات وهى تتفرع داخليًا إلى عدة ثقافات منها ثقافة المستوطنين القدامى فى المستوطنات التى انشئت قبل حركة الهجرة الضخمة خلال الخمسينيات . وأيضًا ثقافة الجيل الجديد من الصابرا أبناء الجيل السابق من المهاجرين وأعمارهم تقترب من الأربعين . وهؤلاء يجب تمييزهم عن الشرقيين الجدد الذين هاجروا إلى فلسطين منذ ١٩٥٠م . فقد تمكن الصابرا من بناء ثقافة جديدة تخصهم فى بلد لم يتمكن بعد من بناء ثقافة واحدة عامة للجميع على المستوى القومى العام . ولابد من التنبيه إلى أن هذه الثقافات التحتية المتنوعة تتكون فى الوقت الذى يسعى فيه المجتمع الإسرائيلى إلى إحداث التكامل العرقى بين فئاته الجنسية المتعددة .

ويلاحظ أن عدداً من الصابرا يرتبط بالحركة الكنعانية وهى مجموعة من الإسرائيليين تتخذ مما يسمى « أرض كنعان » قاعدة أيديولوجية لها . فانتماؤهم إلى تاريخ سابق على عصر إبراهيم عليه السلام وهجرته من بلاد الكلدانيين إلى فلسطين . وهم متأثرون بالاكتشافات الأثرية التى أثبتت وجود مجتمع فى فلسطين سابق على الإسرائيليين واليهود وحضارة سابقة على تراث الإسرائيليين الذين خرجوا إلى مصر ثم عادوا

منهـا إلى فلسطين . وفى هذه المرحلة القديمة كـان هناك تواجد مشـترك للشـعوب السـاميـة يقـوم على تراث مشـترك وحد العـرب بالكنعـانيين وبالإسـرائيليين فـيـمـا بعـد [١٦]. ولذلك يتـوقع « الكنعـانيـون » فى إسرائيل اليوم إمكانية قيام ثقافة مشتركة هى الثقافة الكنعانية التى تجمع الإسرائيين بالعرب وتمكنهم من الحياة معًا فى سلام [١٧].ودولـة إسـرائيل بـالنسـبـة للكنعـانيين ليست يهـودية ولكنهـا أقـدم من المرحلة اليـهـودية فى تاريخ الإسـرائيليين إنهـا دولة كنعـانيـة ويطالبـون دولة إسرائيل الحـاليـة ببناء ثقـافة جديدة للدولة تجذب إليها اليـهـود من كل العالم ويجب أن تكون هذه الثقافة أصلية ومختلفة عن الثقافات المحيطة فى الشرق الأوسط ، وهى ثقافة إقليمية محدودة واضحة .

وعلى الرغم من رغبة الصابرا القومية فى توحيد إسرائيل فإن ميولهم العامة ليست دينية ولا يبالون كثيراً بالتراث اليـهودى [١٨]، ويـنظـرون بنوع من اللامبالاة إلى حائط المبكى كرمز للماضى ويرون أنه من بقايا الماضى الذى يجب أن يزال .

ويرى بعض علماء الاجتماع الإسرائيليين مـثل جوزيف دافيد وسيمون هرمـان أن دراسة الصـابرا ورؤيتـهم للمجتمع الإسرائيلى يجب أن تتم فى ضوء مـا وقع من أحداث ساعدت على تكوين عـقلية الصـابرا . ومن أهم هذه المتـغيرات « المثاليـة الثـورية » فى المجـتـمع الإسرائيلى وهو أمـر متوقع بعد تحقق هدف الصهيـونيـة حيث بدأت المثالية الطلائعيـة تدخل فى مرحلة الانحلال بعد قيام إسرائيل . فقد تغيرت الأوضاع الاجتماعية

فى إسرائيل عن أوضاع الطلائعيين وزادت التوترات الاجتماعية الداخلية وأدت الضرورات الاجتماعية والاقتصادية وظروف الإدارة الجديدة إلى خلق خلافات بين الفئات الاجتماعية والاقتصادية المختلفة وبرزت الفئة العسكرية كفئة مسيطرة كما اختفت المثاليات والنظريات التى وضعت حول المجتمع الجديد فى مواجهة للواقع الاجتماعى الجديد .

ولعل من أهم المتغيرات التى حدثت وقوع أزمة قيمية بين قيم المرحلة الطلائعية وقيم المجتمع الإسرائيلى الجديد . ويمثل جيل الصابرا أزمة القيم هذه فى أحدث صورة لها . فهناك فجوة حادة بين قيم الصابرا وقيم الجيل السابق مباشرة . وعلى الرغم من اعجاب الصابرا بجهود آبائهم فهم يعتبرون أنفسهم جيلا جديداً مستقلا عن جيل الآباء [١٩].

ومن أهم الملاحظات التى يبديها علماء الاجتماع والنفس على جيل الصابرا أنه جيل منفصل عن القيم اليهودية العامة وعن التراث اليهودى[٢٠] وهو جيل غير منشغل أو مهتم بخلق مجتمع مثالى فى إسرائيل أو حتى بعلاج أو حل المشاكل اليهودية . فهو جيل مهتم بالعمل ويعيش حياة عادية خالية من مثاليات الجيل الماضى . وتميل شخصية الصابرا إلى الجفاف والغلظة وهو أقل ثقافة وينظر إلى نفسه على أنه أدنى من المهاجرين الشبان من البلاد الأوربية المتمسكين عادة بقيم الآباء كما أنهم على درجة عالية من الثقافة تجعل الصابرا تشعر بعقدة نقص تجاههم . ولا يرى الصابرا شيئًا مثاليًا فى حياة المستوطنات

التى ولدوا فيها . والدور الواضح للصابرا عادة ما يبرز فى أوقات الحروب فمنهم الضباط والقواد . ويوصف الصابرا بأنه جاف فى السلوك ويعود ذلك حسب تحليل الاجتماعيين إلى رغبتهم فى اتخاذ القرار السريع والفعل المؤثر (٢١).

ويقدم الصابرا صورة مثالية شبيهة بصورة الطلائعى القديمة (٢٢). فهو مثال للمستوطن ويكونون فئة مستقلة داخل المجتمع من حيث توجهاتها وصفاتها . فهم أشبه بعشيرة أو جماعة داخل إسرائيل . وبعد حرب ١٩٤٨ حدث تغير واضح فى هذه الصورة المثالية للصابرا . فأثناء الحرب حملوا مواصفات جيل الطلائعية ولكن فى المظهر فقط . فالعودة إلى الأوضاع المستقرة بعد الحرب أدت إلى إحداث قطيعة بين الأجيال . فقد انحسرت الروح الجماعية وبدأت تظهر الفردية بين شباب الصابرا الذين اتجهوا إلى الحياة العادية يدرسون ويبحثون عن الورظائف ويتمتعون بحياتهم ويقيمون أسراً (٢٣). وبهذا انحسر الاتجاه الجماعى بين الصابرا ليحل محله الاتجاه الفردى . ومن ناحية أخرى بدأت قيمهم فى التغير ويمكن القول بأنهم يمرون بمرحلة فراغ أخلاقى فهم يسعون إلى تحقيق شهواتهم بدون مراعاة للخير والشر وبنوع من اللامبالاة .

وقد انصب تفكير الصابرا حول نفسه كفرد وأصبحت مثاليات الطلائعى غريبة عليه وأصبح أنانيًا إلى حد كبير كما أصبح ماديًا إلى أبعد الحدود وأصبحت أخلاقياته غير كريمة وجافة بل لقد أصبح موضعًا

للنقد والسخرية فى بعض الأعمال الأدبية التى تصوره غريبًا على المجتمع الإسرائيلى معارضًا لكل شئ ، فرديًا وهو فى كثير من الأحيان ميال إلى الجريمة والخروج على القانون .

ونسبة الصابرا لعدد سكان إسرائيل ٣٥٪ فى عام ١٩٤٨ ونسبة ٣٩.٤٪ فى عام ١٩٦٤ . ومن بينهم نسبة ١٧٪ من أصل سفاردى ، ٢٢٪ من أصل أشكنازى . ووصلت نسبتهم فى عام ١٩٧٤م إلى حوالى ٥٠٪ من مجموع السكان اليهود وذلك لانخفاض معدلات الهجرة[٢٤] وفى عام ١٩٩٢م بلغ عدد الصابرا ٢.٥٧٤.٢٠٠ نسمة بنسبة ٦٠.٧٪ من إجمالى يهود إسرائيل [٢٥].

٤ - عرب فلسطين :

فى عام ١٩٤٨م احتلت العسكرية الصهوينية ٧٦.٧٠٪ من أرض فلسطين وتم تشريد حوالى ٧٣٦ ألف فلسطينى يشكلون نسبة ٥٠.٢٪ من عدد الفلسطينيين عام ١٩٤٨م . وقد بقى من الفلسطينيين فى إسرائيل نحو ١٥٦ ألف فلسطينى بنسبة ١٠.٦٪ من تعداد الفلسطينيين ونسبة ١٧.٨٧٪ من إجمالى سكان إسرائيل نهاية عام ١٩٤٨م . وفى عام ١٩٨٨م أصبح عددهم نحو ٧٩٥ ألف نسمة يشكلون نسبة ١٧.٩٦٪ من مجموع السكان . ويلاحظ المحافظة على نفس النسبة تقريبًا بين عامى ١٩٤٨ وعام ١٩٨٨م . ويتوقع وصول عدد العرب فى إسرائيل إلى ١.٢ مليون نسمة فى مقابل ٤.١ مليون يهودى وأن نسبتهم سترتفع إلى ٢٢٪ من مجموع سكان إسرائيل [٢٦].

وهناك عدة ملاحظات حول الواقع الديموجرافى والاجتماعى والسياسى للعرب فى إسرائيل ومن أهم هذه الملاحظات :

١ - ثبات نسبة عرب فلسطين رغم الهجرات اليهودية المتتالية حيث لم تشهد المرحلة الماضية أية هجرة من الفلسطينيين إلى الخارج فى الوقت الذى لم تسمح فيه إسرائيل بعودة أى من اللاجئين الفلسطينيين .

٢ - الاعتماد على الزيادة الطبيعية فهى العامل الكمى الوحيد للتجمع الفلسطينى فى إسرائيل الذى يتميز بارتفاع معدل الخصوبة . ويساعد على التكاثر الطبيعى العادات الاجتماعية والظروف الاقتصادية وانعدام الهجرة والتقدم الصحى . وتتميز الأسر الفلسطينية بكبر حجمها وكثرة الأولاد فيها حيث يصل عدد الأسر إلى سبعة أفراد كمتوسط عام . ومن العوامل المساعدة أيضًا زيادة نسبة الزواج بين الفلسطينيين ، والسن المبكر للزواج فهى حوالى ٢٠ سنة تقريبًا ، وقلة حالات الطلاق . مما يشير بشكل عام إلى تماسك الأسرة الفلسطينية [٢٧].

٣ - بالنسبة لنسبة أعمار السكان فالعدد الأكبر من العرب فى إسرائيل من صغار السن حيث يشكل من هم أقل من العشرين سنة نسبة ٥٦٪ ونسبة من هم فوق الخامسة والخمسين ٥ .٦٪ . ولهذا يتميز المجتمع الفلسطينى فى إسرائيل بكثرة عدد صغار السن وقلة عدد المسنين ويلاحظ أيضًا تفوق عدد الذكور على الإناث ، وزيادة الولادات وانخفاض نسبة الوفيات .

٤ - يعيش معظم الفلسطينيين فى المنطقة الشمالية التى تضم الجليل الشرقى والأوسط ومركزها مدينة الناصرة وفى المنطقة الوسطى التى تضم اللد والرملة ومنطقة المثلث وفى المنطقة الجنوبية فى النقب . وهم يتوزعون بين مدن عربية مثل الناصرة وأم الفحم وبين مدن مختلطة وقسم منهم يعيش فى تجمعات بدوية .

٥ - تحول قسم كبير من الفلسطينيين إلى العمل فى مجال الصناعة والخدمات والإنشاءات والبناء وذلك بفعل السياسات الإسرائيلية فأصبحوا يمثلون احتياطى القوى العاملة . وابتعدوا عن المجال الزراعى بسبب عمليات المصادرة وامتلاك أراضى الفلسطينيين لصالح الاستيطان اليهودى والتمييز فى مجال القروض والميكنة الزراعية والأسعار ونسبة ٧٧٪ تعمل بالأجر (٢٨).

٦ - تحاول إسرائيل عزل التجمعات العربية ومحاصرتها ومنع بلورة جوامع مشتركة سياسية واجتماعية واقتصادية ، وتقسيم الفلسطينيين إلى محاور طائفية واجتماعية مثل تقسيمهم إلى مسلمين ومسيحيين ودروز أو قسمتهم اجتماعيًا إلى حضر وبدو وإلى قرويين وسكان مدن .

٧ - تمارس إسرائيل كل أشكال التمييز العنصرى ضد العرب الفلسطينيين على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

٨ - مارست إسرائيل كل أشكال القمع السياسى للعرب داخل إسرائيل بفرض الأحكام العسكرية عليهم ومصادرة أراضيهم وقطع صلاتهم

بالفلسطينيين خارج إسرائيل وبالعرب عموماً وقيدت حرية التنقل داخل إسرائيل . ومع ذلك لم يتنازل عرب الداخل عن هويتهم الفلسطينية وقد ساعدت الظروف الداخلية والخارجية ومنها حرب ١٩٧٣ والأنتفاضة على ثبات عرب الداخل ونمو اعتزازهم بالهوية الفلسطينية وبالانتماء إلى الشعب الفلسطينى .

٩ - أثبت التاريخ فشل سياسة إسرائيل فى القضاء على هوية الفلسطينيين فى الداخل والخارج من خلال السياسات المختلفة . فقد فشلت محاولات دمج الفلسطينيين فى الداخل كما فشلت سياسة فرض القطيعة بينهم وبين الفلسطينيين فى الخارج وبينهم وبين العرب عموماً . وبالإضافة إلى هذا فإن تكاثر الفلسطينيين فى الداخل يعتبره الإسرائيليون مهدداً للصفة اليهودية للدولة وقد وصفهم بعض الإسرائيليين بأنهم سرطان فى جسم الدولة وأنهم قنبلة موقوتة .

لقد تحول الفلسطينيون فى الداخل من أقلية محبطة مشتتة إلى قوة بشرية فاعلة ومؤثرة ولها دورها فى الصراع الدائر . ولم تفلح السياسات الإسرائيلية فى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فى طمس الهوية الفلسطينية فى الداخل . ومن أهم ملامح هذه السياسات تجزئة الأقلية العربية وعزلها عن الغالبية اليهودية وعن العالم الخارجى ومصادرة أملاكها ومنع ظهور تنظيمات سياسية بينها وتوجيه مشاركتها فى الانتخابات لصالح الحزب الإسرائيلى الحاكم[٢٩]، ومصادرة الموارد الاقتصادية وبخاصة الأراضى والمياه واستثناء المدن

والقرى العربية من التطوير والتمييز فى دعم المشاريع الاقتصادية ومشاريع البنية التحتية ، وعدم المصادقة على المشاريع التنموية للمدن والقرى والتمييز فى سوق العمل ، والتمييز فى ميزانيات السلطات المحلية الخاصة بالخدمات المختلفة [٣٠].والتدخل بن الأسر العربية وتحديد الولاءات الاجتماعية . وتصوير الفلسطينيين فى صور البدائيين المتخلفين المجرمين واعطائهم شكل الأقليات المختلفة فى الدين والوسط الاجتماعى ، والقضاء على حقوقهم وعدم السماح لهم فى نفس الوقت بالاندماج فى المجتمع الإسرائيلى واتهامهم بالانفصام فى الشخصية[٣١].

ثانيًا : دور هذه العناصر فى تكوين الشخصية الإسرائيلية

يجب أن نتوقع أولا أن جميع هذه العناصر ، فيما عدا عرب فلسطين بطبيعة الحال ، يعتقد أنه يمثل الشخصية الإسرائيلية وبالتالى يمكن القول أنه لا يوجد بداية اتفاق حول طبيعة هذه الشخصية . بل يمكن القول أيضًا بأن الشخصية الإسرائيلية لم تتبلور بعد فهى لاتزال شخصية فى دور التكوين . ويمكن القول أن هناك فى الوقت الحالى هيمنة لعنصر معين من عناصر المجتمع الإسرائيلى على بقية العناصر . وهى هيمنة فى طريقها إلى التغير أيضًا بفعل المتغيرات الداخلية للمجتمع الإسرائيلى وبخاصة على المستوى الديموجرافى . وكما أن هناك هيمنة لعنصر فهناك محاولات من هذا العنصر لتهميش الأدوار التى تلعبها بقية العناصر فى

بنية المجتمع الإسرائيلى . وعلى الرغم من ادعاء بنية ديموقراطية للدولة فالأساس العرقى هو المتحكم الحقيقى حتى الآن فى تحديد العنصر المهيمن داخل المجتمع . ومن الممكن النظر فى واقع المجتمع الإسرائيلى الحالى واستشراف المستقبل القريب لتحديد العنصر أو العناصر المهيمنة أو التى ستهيمن فى المستقبل . وتحديد عنصر أو أكثر لايعنى أنه يمثل الشخصية الإسرائيلية فهذه الشخصية من وجهة نظرنا لم تكتمل بعد ولا تزال فى حاجة إلى مزيد من الوقت والتغيرات الداخلية حتى يتم بناء الشخصية الإسرائيلية .

وتبلور الشخصية الإسرائيلية يحتاج إلى التغيرات التالية (وبعضها قد بدأ بالفعل) :

١ - التخلص التام من الارتباط الصهيونى . وهذا تحكمه عوامل خارجية وداخلية . أما الخارجية فهى ترتبط بمصير الصهيونية فى الخارج ومن المعروف أن نجاح الصهيونية فى تحقيق هدفها المحدد بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين يعتبره كثير من الباحثين اليهود وغير اليهود بداية النهاية للأيديولوجية الصهيونية . وهو أمر مقبول إذا فهمنا الصهيونية داخل إطار الحركة القومية الساعية إلى الاستقلال أو إلى إنشاء وطن جديد وهى تنتهى كحركة بمجرد تحقيقها لهدفها القومى . وفى الحالات القومية العادية لم تحدث أزمة أيديولوجية أو سياسية لأن المسئولين عن الحركة القومية هم أنفسهم المحققون للاستقلال والمؤسسون

للدولة أو للحكم الجديد . وهم يظهرون فى صورة جديدة هى صورة الحكام الجدد بعد الاستقلال أما فى حالة إسرائيل فنحن أمام ظاهرة مختلفة لأن المسئولين عن انشاء الوطن القومى وهم زعماء الصهيونية فى الخارج لم يصبحوا جميعًا حكام هذا الوطن وقادته بعد إنشائه . أقلية قليلة منهم هى التى هاجرت وأصبحت فيما بعد من زعماء إسرائيل وحكامها أما الغالبية العظمى من زعماء الصهيونية فلم يهاجروا وبقوا فى أوطانهم الأوربية والأمريكية . وكان لابد من أن ينشأ صراع سياسى بين الفريقين . فالصهيونية فى الخارج اعتقدت أن لها السيادة والولاية على الدولة الجديدة الناشئة والزعماء الصهاينة فى الداخل أرادوا لأنفسهم الاستقلال السياسى التام عن السيادة الصهيونية ممثلة فى المنظمة الصهيونية العالمية والاحتفاظ بالروابط التى تضمن الحصول على الدعم السياسى والاقتصادى من يهود الخارج فى أوروبا وأميركا ، وقد نشأت ازدواجية الولاء لإسرائيل وللمنظمة الصهيونية العالمية وأيضًا ازدواجية الولاء من جانب يهود الخارج بين الولاء لإسرائيل والولاء للدولة الغربية التى يعيش فيها اليهودى . ومهما يكن من أمر فإن الوضع الذى انتهت إليه الأوضاع حاليًا هو حصول إسرائيل على استقلالها الكامل عن المنظمات الصهيونية فى الخارج ، ودخول الصهيونية فى الخارج فى مرحلة التدهور والنهاية والإفلاس الأيديولوجى. وقد وقفت المنظمات الصهيونية فى الخارج عند دور الدعم الإسرائيلى . وهناك محاولات للتفكير فى أن الصهيونية ليست مجرد

حركة قومية انتهت مهمتها بإقامة الدولة بل أن لها مهمة فكرية ثقافية حضارية بل دينية تضمن لها الاستمرار . وظهرت آراء يهودية متطرفة اعتبرت الصهيونية دينًا . ولكن هذه الأيديلوجيات الصهيونية الثقافية أو الدينية لا يمكن أن تكون بديلاً عن الدين اليهودى وإذا كان هدفها إحياء الثقافة اليهودية فهذا دور يقوم به الدين أفضل من أية حركة ثقافية أو مذهب أيديولوجى والساحة اليهودية حاليًا مليئة بالحركات الدينية اليهودية الأصولية والتجديدية والإصلاحية التى تحاول تجديد الثقافة اليهودية مثل اليهودية الأرثوذكسية (الحاخامية Rabbinic Judaism واليهودية الأرثوذوكسية الجديدة Neo - Orthodoxy ويمثلان الاتجاه التقليدى الأصولى مع الرغبة فى التجديد الملتزم بالقديم وبخاصة فى الحركة الثانية . وهناك الاتجاه التجديدى العام ويتمثل فى حركتين هما اليهودية المحافظة Consevative Judaism وحركة اعادة بناء اليهودية Reconstructionism . وهناك الاتجاه الدينى الإصلاحى وتمثله اليهودية الإصلاحية Reform Judaism[٣٢] .

والحقيقة أن هذه الحركات الدينية اليهودية المتعددة الاتجاهات لم تترك للصهيونية فرصة لكى تلعب دوراً دينيًا فى حياة اليهود المعاصرين . ولم يكتب النجاح لما سمى بالصهيونية الدينية فى أن تتطور لتصبح حركة دينية تقارن بالحركات السابقة الذكر إذ أن الصهيونية أساسها سياسى قومى مستغلة للدين اليهودى ولا يمكن أن تحل محله فى إشباع الحاجة الدينية عند الإنسان اليهودى . ولعل هذا

من الأساب الرئيسية لإفلاس الفكر الصهيونى فهو فكر قد استنفذ أغراضه ولم تعد هناك حاجة سياسية ملحة لاستمراره . كما أن بنيته الدينية ليست أصيلة بحيث تستمر الصهيونية كحركة دينية لها دور دينى فى حياة اليهودى.

والصهيونية داخل إسرائيل تمر بنفس المصير الذى تمر به الصهيونية خارج إسرائيل . فالإسرائيليون فى سبيل الاتجاه إلى تكوين شخصية مستقلة بدأوا يقلصون فى الدور الخاص بالصهيونية العالمية . وهذا أدخلهم فى صراع مع الصهيونية العالمية . وقد انتصر الإسرائيليون فى مسألة تحقيق الاستقلال عن المنظمة الصهيونية واستوعبوا معظم وكالاتها أو أنشأوا لها فروعًا داخلية تحت سلطتهم التامة . وأصبحت المسئولية السياسية والقومية فى الداخل مسئولية إسرائيلية خالصة مع الابقاء على الروابط التى تضمن استمرار الدعم اليهودى الخارجى لإسرائيل . وبهذا يبدو أن الظهور الحقيقى للشخصية الإسرائيلية لن يتم إلا بعد تحقيق الخلاص من الارتباط العضوى بالصهيونية كأيديولوجية مهيمنة منذ ظهورها وحتى إنشاء الدولة . ولا يعنى هذا الخلاص التخلى عن بعض أو كثير من السياسات الصهيونية أو ما يكون جوهر الاستراتيجية الصهيونية كفكر قومى . ولكن هذا كله يتحقق داخل إطار جديد وهو الإسرائيلية بدلاً من « الصهيونية » .

٢ - يرتبط تبلور الشخصية الإسرائيلية أيضًا بنمو قيم وعادات وتقاليد إسرائيلية فى مقابل القيم الصهيونية من ناحية واليهودية من

ناحيـة بل والقيم الحضارية الغربيـة من ناحيـة ثالثـة . وإذا كـانت الشخصيـة تقوم على أساس من الثقافة الخاصة وهى مجموعة القيم والعـادات والتقـاليـد التى تتحكم فى سلوك شعب معين فإن المجتمع الإسرائيلى لم يكون بعد ثقافته الخاصة به وهو يعيش على قدر معين مختلط من الثقافة اليهودية والقيم التى زرعتها الصهيونية ، والقيم الغربية التى أتى بها المهاجرون . ولكن حتى الآن ليس هناك ما يمكن تسميته بالقيم الإسرائيلية . وعمر الدولة القصير لم يسمح بعد بتطور نسق جديد للقيم يكوّن فى النهاية ثقافة إسرائيليـة حسب الفهم الاجتماعى الأنثربولوجى .

٣ - يتطلب تكوين الشخصيـة الإسرائيليـة التخلص من الخلفيـة الاشكنازية والسفاردية والشرقية العربيـة ، وخلق شخصية إسرائيلية مستقلة عن هذه الخلفيات وإن أخذت عنها بعض القيم الضرورية التى لايمكن التخلص منها . ولا يمكن أن يتم هذا إلا من خلال عملية صهر تقف دونها عدة عقبات لها أسباب سياسية وعرقية وثقافية بل ودينية أحيانًا . إن ما سببه الشتات من تفسخ فى الشخصية اليهودية عبر آلاف السنين لا يمكن أن ينتهى فى سنين قليلة هى عمر الصهيونية وعمر إسرائيل . وربما ينظر إلى شخصية الإسرائيلى الصابرا حاليًا على أنه يمثل عملية الصهر هذه ولكن الصابرا الآن ليسوا وحدهم فى المجتمع الإسرائيلى فلا تزال أجيال من آبائهم وأجدادهم الأشكناز والسفارديم واليهود العرب تعيش داخل إسرائيل وفى شكل شبه مستقل . ويعتقد

أن هذه المسألة محلولة زمنيًا إذا سيكتب لعنصر الصابرا الهيمنة على المجتمع الإسرائيلى بعد جيل أو أكثر مع انتهاء جيل الآباء والأجداد . وهذا لايعنى أن الصابرا هى التى ستمثل الشخصية الإسرائيلية إذ لابد من نشأة وتطور ثقافة إسرائيلية عامة وهذه لا تملكها فئة الصابرا بعد وإن كانت لهم بعض سلوكيات وقيم تخصهم فى تميزهم عن غيرهم من عناصر المجتمع لكنها لا تجمع المجتمع كله فى بوتقة واحدة (٣٣).

٤ - التخلص من الارتباط القومى باليهودية حتى وإن كان ارتباطًا ظاهريًا فاليهودية دين حولته الصهيونية إلى قومية أو لنقل أكّدت على صفتها القومية وقتلت صفتها الدينية . والإسرائيليون يحاولون الآن التركيز على كونهم إسرائيليين قبل أن يكونوا يهوداً . ولهذا أسبابه الواضحة فالدولة علمانية فى أساسها مهما أخذت من مظهر دينى . والحكم على الدولة هنا ينطلق من دين غالبية أفرادها ومن طبيعة الحكم فيها والحكم ليس دينيا وإن وجدت أحزاب دينية . أما دين الغالبية فهو اللادينية فى أشكالها المختلفة فقد أتى المهاجرون من أوروبا بفكرهم اللادينى معهم فالغالبية علمانيون لا دينيون ملحدون . والغالبية أيضًا ترفض تدخل رجال الدين فى الشئون الإنسانية العامة داخل إسرائيل . والمقصود من التخلص من الارتباط القومى باليهودية هو الارتفاع بالإسرائيلية على حساب اليهودية فالإسرائيلية هى القومية والوطنية وليس اليهودية وفى هذا تحديد لليهودية فى مجالها الدينى وبروز الإسرائيلية كقومية . وهذا الأمر قد بدأ بالفعل ولكن يحتاج إلى بعض

الوقت وهو يخلص الإسرائيلي من ارتباطين معًا : الارتباط الديني والارتباط الصهيوني فالصهيونية هي التي أبرزت القومية في اليهودية وركزت عليها . وفي تحويل القومية إلى الإسرائيلية إضعاف لكل من اليهودية والصهيونية معًا (٣٤).

٥ - يرتبط بتطور الشخصية الإسرائيلية أيضًا الموقف المنتظر من التطبيع والنتائج المتوقعة من التكيف الجاد مع السلام على المستوى الداخلي والخارجي . فلن تصبح الشخصية الإسرائيلية شخصية إسرائيلية طبيعية أو سوية حسب مصطلحات علم النفس إلا إذا عاشت حياة طبيعية تؤدي إلى ظهور شخصية إسرائيلية طبيعية وإلا سنحكم بالشذوذ الأزلي على الشخصية الإسرائيلية في ظل استراتيجية «حتمية الحروب» . ورغم مرور عشرين عامًا على مبادرة السلام فإن إسرائيل لا تزال تعيش بفلسفة الحرب ، وسلوكها يشير إلى عدم حدوث أي تغيير فيما يتعلق بحتمية الحرب في التفكير الاستراتيجي الإسرائيلي . ويتجلى هذا في تمسكها ببرنامجها النووي ورفضها الخضوع للرقابة الدولية في هذا ، وحروبها المتواصلة في الجنوب اللبناني ، وسعيها إلى التحالفات العسكرية المختلفة واستمرارها في اتباع أسلوب العنف في التعامل مع الفلسطينيين واللبنانيين وغير ذلك من الشواهد التي تدل على عدم التخلي عن فلسفة القوة وحتمية الحرب .

*****

وفى ظل اعتقادنا فى أن الشخصية الإسرائيلية لم تتبلور بعد البلورة الكاملة لأنها الآن فى حالة صراع شديد مع مقوماتها الأساسية وعلى رأسها المقوم اليهودى والمقوم الصهيونى فى سبيل الانتصار لمفهوم جديد هو « الإسرائيلية » فإن الدور الذى تلعبه العناصر الاشكنازية والسفاردية والصابرا وعرب فلسطين دور متغير ولا يمكن الحكم لأى عنصر من هذه العناصر بدور محدد وثابت فى تكوين الشخصية الإسرائيلية .

إن التغيير أو عدم الثبات فى العناصر المكونة للمجتمع الإسرائيلى تعود إلى الحقائق التالية :

١ - أن العنصر صاحب السيطرة منذ قيام إسرائيل وحتى الآن وهو الأشكناز يتعرض الآن لبعض التغيرات التى ستؤثر مستقبلاً على دوره داخل المجتمع الإسرائيلى ومن أهم هذه المتغيرات :

أ - توقف الهجرة الاشكنازية فقد استقطبت إسرائيل معظم العناصر الأشكنازية القابلة للهجرة ولم يعد المجتمع الإسرائيلى قادراً على استيعاب المزيد من الهجرة . كما أن العناصر الغنية من اليهود الأشكناز فى أوروبا وأمريكا رافضة أصلا لمبدأ الهجرة وما يسببه من عدم استقرار لجماعات يهودية مستقرة أصلا وصاحبة مكانة سياسية واقتصادية واجتماعية عظيمة فى مجتمعاتها الأوروبية والأمريكية . ويضاف إلى هذا أن الهجرة المضادة من إسرائيل إلى خارجها حدثت

دائمًا من جانب جماعات أشكنازية لم تتمكن من التكيف داخل المجتمع الإسرائيلى .

ب - ضعف العامل اليهودى فى التجربة الأشكنازية بعد قيام الدولة واستقرار الأوضاع الأشكنازية وتحقق سيطرتهم على أمور إسرائيل . والمقصود بضعف العامل اليهودى أن اليهودية كقومية استخدمت من جانب الصهيونية لإقناع اليهود بالهجرة إلى فلسطين على أساس دينى وقومى وهو لم يكن أساسًا حقيقيًا إنما تم استغلاله كأحد العوامل المشجعة على الهجرة . والمهاجرون أنفسهم وبخاصة من الأشكناز ، ليسوا على درجة كبيرة من التدين فهذه جماعات أوروبية وأمريكية عاشت فى ظل العلمانية الغربية ووقعت تحت التأثير الضخم لموجات الإلحاد واللادينية وعاشوا فى ظل مبدأ فصل الدين عن الدولة بالإضافة إلى أخذهم بفكرة المجتمع الديموقراطى الذى لايلعب فيه الدين دوراً أساسيًا وأيضًا بفكرة المجتمع العقلانى الليبرالى الذى يختفى فيه الدين كمحرك للفكرة والسياسات . وأيضًا آمنت معظم جماعات الأشكناز بفكرة الاندماج الكامل فى المجتمع الغربى الديموقراطى . فالخلاصة أن الدين مقوم ضعيف فى الشخصية الأشكنازية وبعد أن لعب الدين دوره كعامل قومى دافع إلى الهجرة فقد الدين هذا الدور بعد تمام الهجرة حيث عادت الشخصية الأشكنازية إلى طبيعتها الأوروبية الحقيقية كشخصية لا دينية مندمجة وهذا يفسر حقيقة الدور الضعيف للدين فى السياسة

الإسرائيلية فهو دور هامشى جداً ، والأحزاب الدينية ليست لها سيطرة كبيرة أو تأثير كبير على مجريات السياسة الإسرائيلية .

جـ - ضعف العامل الصهيونى :

والمقصود بضعف العامل الصهيونى فى الشخصية الأشكنازية الإسرائيلية أنه بعد قيام الدولة بدأ الصراع بين الإسرائيليين الأشكناز الحاكمين وبين المنظمات والمؤسسات الصهيونية العالمية التى أرادت أن تستمر فى ممارسة الهيمنة على الدولة الجديدة التى نجحت فى إنشائها. بينما تطور شعور إسرائيلى قوى تجاه الاستقلال عن المنظمات الصهيونية وهو بداية لنشأة قومية إسرائيلية أو ما يمكن تسميته تجاوزاً بوطنية إسرائيلية فى مواجهة القومية الدينية والقومية الصهيونية العالمية . والحقيقة أنه كما كان الدين وسيلة تم استغلالها لاقناع اليهودى بالهجرة وإنشاء الدولة بدأت تفقد اليهودية والصهيونية القيمة التى كانت لهما قبل إنشاء الدولة . وهناك شعور لا صهيونى بدأ فى الظهور فى المجتمع مثل جماعات الكنعانيين والحريديم ولكن نقصد به الرغبة فى التخلص من العامل الصهيونى من جماعات الصابرا التى لا تمتلك اعتقاداً أيديولوجيا ولا تتمسك بالإيمان بالصهيونية . فجماعات الصابرا وغيرها تسعى إلى تكوين القومية الإسرائيلية البعيدة عن السيطرة الأيديولوجية وبخاصة من جانب الصهيونية .

د - أن الأشكناز يواجهون الآن تطورات داخل المجتمع الإسرائيلى تحدد من دورهم ومكانتهم بل وتهددها فى الصميم . ومن أهمها زيادة الهجرة السفاردية بعد قيام الدولة وذلك بهجرة يهود البلاد الشرقية العربية والإسلامية وغيرها إلى إسرائيل فى الوقت الذى نضب فيه معين الهجرة الأشكنازية للأسباب السابقة الذكر . وإذا كان غالبية المهاجرين قبل قيام الدولة من الأشكناز فإن غالبية المهاجرين بعد قيام الدولة من السفارديم . وقد شكل المهاجرون من اسيا وإفريقيا نسبة ٤٦٪ من مجموع المهاجرين فى السنوات ١٩٤٨ - ١٩٨٠م . ومن المخاطر الأخرى التى تواجه الأشكناز تعاظم الدور الذى يلعبه الصابرا كما سنوضح بعد قليل .

٢ - أن هجرة السفارديم بعد قيام الدولة أدت إلى إعادة تشكيل البنية السكانية للمجتمع الإسرائيلى . وكما سبق فنسبة المهاجرين منهم فى السنوات من ١٩٤٨ - ١٩٨٠م تشكل ٤٦٪ من مجموع المهاجرين ويشكل السفارديم شريحة اجتماعية مختلفة بل ومتناقضة تمامًا عن الشريحة الأشكنازية فهناك اختلاف شديد فى العقلية ، وفى درجة التقدم العلمى والتكنولوجى لصالح الأشكناز ، وفى العادات والتقاليد وأسلوب الحياة . وهم فى الحقيقة يشكلون إسرائيل أخرى داخل إسرائيل . ويعود هذا كله إلى انتماء الأشكناز إلى الغرب وتقاليده وانتماء السفارديم إلى الشرق وتقاليده . وهناك إذن زيادة مطردة فى أعداد السفارديم ناتجة عن الهجرة من ناحية ، وزيادة

معدلات المواليد من ناحية أخرى . هذا الوضع السياسى الاجتماعى الاقتصادى للسفارديم له دوره فى تشكيل الشخصية الإسرائيلية . ودوره يمكن أن نقول أنه دور سلبى أو أنه يؤدى إلى حدوث ازدواجية فى الشخصية الإسرائيلية . فهناك اختلاف فى مكونات الشخصية بين الشخصية الأشكنازية والسفاردية . والإختلاف جذرى وجوهرى ولا يمكن صهره أو التخلص منه بوسائل الاندماج أو الصهر المختلفة ، فهذا مجتمع شرقى فى مواجهة مجتمع غربى . وستظل هذه الاذواجية صفة أساسية فى الشخصية الإسرائيلية ولن تكون هناك فى الحقيقة شخصية إسرائيلية متكاملة بل ستتطور شخصيتان مستقلتان تجمعهما فقط أمور السياسة والاستراتيجية . أما على المستوى الاجتماعى والدينى والإقتصادى فسيحتفظ السفارديم والأشكناز بهذا الاختلاف الجوهرى فى شخصية كل منهما .

٣ - إذا كان قد نتج عن اختلاف الأشكناز عن السفارديم تطور شخصيتين مختلفتين متناقضتين داخل المجتمع الإسرائيلى فإن الشريحة الثالثة وهى شريحة الصابرا لها وضع خاص فى تشكيل الشخصية الإسرائيلية . وهو وضع سيكون له تأثيره السلبى على المقوم الأشكنازى والسفاردى فى تركيبة الشخصية الإسرائيلية المعقدة . ويعتقد بعض الدارسين للمجتمع الإسرائيلى والشخصية الإسرائيلية أن الصابرا ستمثل فى المستقبل الشخصية الإسرائيلية بشكل أقوى من تمثيل الأشكناز والسفارديم لها . وبعلية يجب أن نشير إلى أن الصابرا يعودون فى

الأصل إلى العنصر الأشكنازى كما أن للسفارديم أبناءهم المولودين فى إسرائيل . فهناك صابرا أشكنازيين وهناك صابرا سفارديم . والمتوقع أن كل فريق من هؤلاء يمثل بيئته ويحتفظ إلى حد كبير بمواصفات الشريحة التى ينتمى إليها أشكنازية كانت أو سفاردية . ولكن رغم هذه الرابطة بين الصابرا وأصولهم فإن هناك خصائص للصابرا ستعطيهم فى المستقبل فرصة تكوين الشخصية الإسرائيلية والتقليل من حدة الإزدواجية الكامنة فيها . والسبب فى ذلك هو أن حجم الصابرا فى ازدياد مستمر وذلك مع دخول جيل الآباء الأشكناز فى مرحلة الشيخوخة ونضوب مصادر الهجرة من ناحية أخرى ويعتقد أنه بعد جيل تقريبًا سيكون معظم الإسرائيليين من الصابرا وتنتهى الازدواجية الأشكنازية السفاردية ولا تبقى إلا فى خلفية الصابرا بحكم عودتهم إلى أصول أشكنازية أو سفاردية .

وستمثل الصابرا الشخصية الإسرائيلية من عدة وجوه أهمها :

أ - كون الصابرا البوتقة التى يمكن أن ينصهر فيها عنصرا الأشكناز والسفارديم وتختفى من خلالها هذه الازدواجية فى تركيبة الشخصية الإسرائيلية .

ب - كون الصابرا لا تحتوى إلا على المولودين فى إسرائيل فالرابطة التى تجمعهم هى الرابطة الإسرائيلية التى ستحل مكان الرابطة الدينية والرابطة الصهيونية . فالإسرائيلية تمثل بالنسبة للصابرا القومية الجديدة والإسرائيلية هى « الوطنية » بمعنى الانتساب إلى

وطن يسمى إسرائيل .

جـ - تخلص الصابرا من كل الارتباطات القومية والدينية اليهودية والصهيونية . فهم تقريبًا بلا أيديولوجية سوى مسألة الانتساب إلى إسرائيل . وهم لم يقعوا تحت التأثير المباشر للصهيونية كأيديولوجية باستثناء أقلية من أوائل الصابرا . وهم يعيشون عصر إفلاس الصهيونية كأيديولوجية . ومن الناحية الدينية معظمهم ليس مرتبطًا باليهودية ارتباطًا قويًا . واليهودية لاتزيد عن كونها مجموعة عادات وتقاليد تؤدى فى بعض المواسم والاحتفالات . ولأن معظم الصابرا أشكناز فخلفيتهم الدينية ضعيفة باعتبار الأشكناز أوربيين علمانيين لا دينيين . وقد ورث الأبناء عن الآباء هذا الاتجاه العلمانى أو الإلحادى . ويمكن أن يكون الوضع الدينى مختلفًا عند أبناء السفارديم المولودين فى إسرائيل بسبب قوة النزعة الدينية عند الشرقيين الذين عاشوا قبل هجرتهم إلى إسرائيل فى بيئات دينية قوية مثل العالم العربى والإسلامى فتمسكوا بدينهم ولم يتعرضوا لما تعرض له الأشكناز من تأثير علمانى غربى أضعف الدين فيهم . ولكن مع ذلك لا نعرف حقيقة الوضع الدينى بالنسبة للجيل الثانى من السفارديم وهو الجيل الأول من أبناء السفارديم المولودين فى إسرائيل . هل من الممكن انصارهم فى المجتمع الإسرائيلى ووقوعهم تحت تأثير فلسفة الصابرا الأشكناز أم سيحدث العكس وهو أن يتأثر الصابرا الأشكناز بقوة النزعة الدينية عند صابرا السفارديم ؟ وهذه

تساؤلات لا يمكن الإجابة عليها الآن قبل أن يحدث انصهار تام لصابرا الأشكناز والسفارديم .

د - لم يمر جيل الصابرا الأشكناز وبالتأكيد لم يمر جيل السفارديم المولود فى إسرائيل بتجارب الأشكناز والتى قامت على أساسها فلسفة الصهيونية وإسرائيل . وهى التجارب التى مر بها الأشكناز فى أوروبا والتى اصطلح على تسميتها عندهم بتجارب « المعاداة للسامية » أى « الكراهية لليهود » و « الاضطهاد » و « الكارثة » أو « النكبة » والمقصود بها التجربة النازية فى حياة اليهود . ولم يمروا أيضًا بتجربة الحياة كأقلية مضطهدة أو غير مضطهدة . وبشكل عام جيل الصابرا جيل جديد لم يعش التجربة اليهودية فى الخارج ولم يجرب الشتات والاضطهاد وحياة الأقلية . فهو جيل خال من مركبات الشخصية اليهودية فى الخارج وهو جيل رافض للصورة التقليدية للشخصية اليهودية فى الشتات وفى الجيتو . إنه بلا عقد يشعر أولا وأخيراً أنه إسرائيلى بلا ارتباطات جذرية بالماضى اليهودى بسلبياته المعروفة .

من خلال هذه الملاحظات عن الصابرا يمكن القول بأنها أقوى العناصر فى المجتمع الإسرائيلى ، وستكون أكثرها تأثيراً فى تشكيل الشخصية الإسرائيلية . وأنها بالتأكيد ستؤدى إلى خلق شخصية جديدة مختلفة عن الشخصية اليهودية فى الخارج تقوم على مقومات

إسرائيلية خالصة متحررة من الروابط اليهودية والصهيونية ومتحررة من ماضى التاريخ والتراث اليهودى ورافضة نمط الشخصية اليهودية التقليدية ومتحررة أيضًا من نمط الشخصية الأشكنازية والشخصية السفاردية .

٤ - بالنسبة لعرب فلسطين فلأنهم عرب مسلمون أو مسيحيون فلن يكون لهم دور فى تشكيل الشخصية الإسرائيلية . ومع ذلك تبقى مشكلة تحديد هوية العرب الفلسطينيين فى مقابل الأشكناز والسفارديم والصابرا داخل المجتمع الإسرائيلى . فالعرب الفلسطينيون إسرائيليون من حيث الجنسية والتبعية ، ويطلق عليهم أحيانًا إسم « الإسرائيليون العرب » أو « عرب إسرائيل » فى المصطلح السياسى الإسرائيلى . ونحن نتحدث عنهم من المنظور الإسرائيلى أما فى المنظور العربى فهم فلسطينيو الأرض المحتلة ، وهم عرب فلسطين ذلك الجزء من الشعب الفلسطينى الذى بقى متشبثًا بأرض وطنه منذ عام ١٩٤٨م وأصبح منذ ذلك الوقت يمثل مشكلة ديموجرافية وتاريخية بالنسبة للكيان الصهيونى وفلسفته . فهم رمز دائم ومستمر إلى أصحاب الأرض الأصليين ، وهم جزء أساسى فى التركيبة السكانية لإسرائيل يختلفون عن بقية عناصر المجتمع فى انتمائهم العربى الفلسطينى وفى اختلافهم الدينى فهم مسلمون ومسيحيون يعيشون وسط الأغلبية اليهودية على اختلاف مذاهبها . وتتوقع الاحصاءات الإسرائيلية وصول عددهم إلى نسبة

٢٢٪ من مجموع سكان إسرائيل مع بداية القرن الحادى والعشرين أى حوالى ٢ ، ١ مليون نسمة مقابل ١ ، ٤مليون يهودى .

وإذا كان اليهود السفارديم يمثلون « إسرائيل أخرى » من منظور اليهود الأشكناز فإن عرب فلسطين كقطاع سكانى داخل إسرائيل يمثلون الإسرائيلى غير اليهودى الذى فرض وجوده على المجتمع الإسرائيلى ببقائه وعدم هجرته وأيضًا بقبوله القهرى للجنسية الإسرائيلية فأصبح يمثل مأزقًا حقيقيًا للهوية الإسرائيلية . وهو من ناحية الشخصية الإسرائيلية لا علاقة له بها من قريب أو بعيد . فالجنسية بالنسبة لعرب فلسطين لا تعنى المشاركة فى تكوين الشخصية إلا بالأسلوب العكسى أو السلبى . فالعربى الفلسطينى يمثل الآخر فى منظور الشخصية الإسرائيلية . وإسرائيليته لا تعنى الاشتراك فى الشعور بالمواطنة أو الأخذ بالانتماء الوطنى لإسرائيل، فالحقيقة أن الانتماء بالنسبة لعرب فلسطين هو انتماء إلى الأرض حتى ولو كانوا خاضعين للقانون الإسرائيلى . وسيظل شعور الإسرائيلى بالوطنية ناقصًا طالما استمر وجود عرب فلسطين ، وستظل الهوية الإسرائيلية ناقصة فى ظل هذا الانتماء الشكلى الظاهرى لعرب فلسطين للتبعية الإسرائيلية . إن هدف الصهيونية فى انشاء دولة يهودية خالصة تنشأ فيها شخصية إسرائيلية خالصة لم يتحقق بفضل هذا الوجود لعرب فلسطين . ولذلك فهم يسمون بسرطان داخل جسم الدولة . ومن الناحية السيكلوجية فإن الوجود

العربى الفلسطينى داخل إسرائيل مهدد للشخصية الإسرائيلية وهى فى مرحلة التكوين . فالعربى الفلسطينى داخل المجتمع الإسرائيلى رمز للوطن المسلوب ورمز للعدو الأصلى صاحب الأرض والمشارك فيها الآن بوجوده رغم القيود الموضوعة على حركته داخل الأرض .

ثالثًا : دور عناصر الشخصية الإسرائيلية فى ظل استراتيجية « حتمية الحروب » واستراتيجية السلام :

استراتيجية « حتمية الحروب » هى بلا شك من صناعة اليهود الأشكنازيم الذين تبنوا الهدف الصهيونى بإنشاء ما يسمى بالوطن القومى لليهود واتخذوا من العنف والحرب مبدأ أساسيًا لتحقيق هذا الهدف . ومع قيام الدولة فى ١٩٤٨م التزم زعماؤها بالاستراتيجية الصهيونية الخاصة بحتمية الحروب وقد نفذتها إسرائيل تنفيذاً حرفيًا وتشهد على ذلك الحروب الكبيرة أولاً وهى حروب ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ١٩٧٣ ومجموعة الحروب الصغيرة التى اختلقتها الدولة ودخلتها مع أطراف عربية كثيرة ومنها حروبها الدائمة مع لبنان . وضربها للمفاعل العراقى ، وسياستها القائمة على العنف مع الفلسطينيين .

فاليهود الأشكناز المؤسسون للدولة هم الذين وضعوا سياسة حتمية الحروب هذه وإليهم يعود الدور الأكبر فى تنفيذ هذه السياسة العدوانية لردع أطراف النزاع العربية من ناحية ، وتربية الشخصية اليهودية من قبل الدولة والشخصية الإسرائيلية بعدها على العنف والعدوانية

واختلاق الحروب لتجسيد هذا المعتقد وخلق متنفس للعدوانية التى أصبحت من سمات الشخصية الإسرائيلية . وقد وضع نظام الحياة الإسرائيلية ليخدم فكرة حتمية الحرب وضرورة التعايش معها . وهذا النظام مسئولية اليهود الأشكناز ، الذين تتكون منهم الزعامات السياسية فى إسرائيل . والذين وضعوا سياسة عسكرية تجعل إسرائيل دائمًا وأبداً فى حالة حرب فهى إما تقود حربًا أو تنتظر حربًا جديدة ، وامتداد فترة الخدمة فى الجيش لتغطى معظم حياة الإنسان الإسرائيلى جعل الشعور بالحرب يسيطر على العقلية الإسرائيلية ويتمكن من الوجدان الإسرائيلى .

أما دور السفارديم فى استراتيجية حتمية الحروب فيبدو أنه تابع لدور الأشكناز وغير مستقل عنه بسبب تأخر ظهور السفارديم على مسرح الحياة الإسرائيلية وعدم اشتراكهم أصلا فى وضع الاستراتيجيات الصهيونية . وبعد هجرتهم إلى إسرائيل انشغلوا بمشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية وقضايا التكيف مع المجتمع الأشكنازى . أما أمور العسكرية والحرب فدورهم فى وضعها وتشكيلها ضعيف . وهم منفذون لما تمليه عليهم سياسة القوة الأشكنازية الحاكمة . ولا شك فى أنهم تشبعوا بروح العدوانية والعنف السائدة لدى الأشكناز والتى ولدها عند الأشكناز تجاربهم مع الاضطهاد النازى . وهى تجارب لم يمر بها السفارديم ولكنهم وقعوا تحت تأثيرها غير المباشر من خلال عدوانية الأشكناز وسياسة حتمية الحروب التى وضعوها .

أما الصابرا فهم أولا عاشوا تجربة الحرب بشكل مستمر . وهى حرب مفروضة عليهم كأداة أو طاقة منفذة لسياسات آبائهم من الأشكناز وتمثل الحرب الحياة الطبيعية بالنسبة لجيل الصابرا ، وهم لم يعرفوا حياة أخرى غيرها وقد اشتركوا فى كل حروب إسرائيل ومارسوا الحياة العسكرية طوال حياتهم . وموقف الصابرا من العنف والعدوانية قد يكون متناقضًا فهم قد تشربوا صفات العنف والعدوانية التى ورثوها عن الجيل السابق عليهم ومع ذلك فإن معظم الصابرا لم يمروا بالماضى اليهودى الذى ولد روح العنف والعدوانية فى الشخصية اليهودية والإسرائيلية . فتجربة النازى غريبة عليهم وتجربة الاضطهاد والشتات لا يعرفونها بحكم ميلادهم فى إسرائيل . وهذه الحقيقة تقضى بأن تكون الروح العدوانية فيهم ليست أصيلة إنما هى مفروضة فرضًا من خلال التربية الصهيونية من ناحية وفلسفة حتمية الحروب من ناحية أخرى وأيضًا من خلال اشتراكهم فى معظم حروب إسرائيل فأصبحت الحرب واقعًا فعليًا بالنسبة لهم .

ويجب أن نذكر أيضًا أن جيل الصابرا هو الذى يعيش الآن منذ مبادرة السلام حالة اللاحرب لمدة تقترب من عشرين عامًا أو تصل إلى خمسة وعشرين عامًا منذ آخر حرب كبرى وهى حرب ١٩٧٣م . هذه الفترة الطويلة نسبيًا والتى عاشتها إسرائيل بلا حرب فيما عدا حرب لبنان ١٩٨٢ وحرب لبنان الأخيرة فى أبريل ١٩٩٦م - نقول أن هذه الفترة ، مع مناخ السلام الذى تولد بعد الدخول فى المفاوضات مع مصر

أولاً ثم مع بقية دول الجوار ومع منظمة التحرير الفلسطينية ، قد تؤدى إلى تغيير حقيقى فى موقف الصابرا من حتمية الحروب . فهم أولا بلا خلفية تربطهم بالماضى اليهودى وتجاربه الاضطهادية أى بلا عقد نفسية تربطهم بالماضى كما أنهم دخلوا فى مرحلة اللاحرب لمدة ربع قرن تقريبًا. وهذان العاملان نعتقد سيكون لهما تأثير فى تشكيل شخصية الصابرا وربما حدوث نزوع إلى السلام بعد التعود عليه لمدة ربع قرن تمثل تقريبًا نصف عمر الصابرا إن لم يزد وبخاصة أن الجيل المتأخر من الصابرا لم يشترك فى حرب واحدة حتى الآن . فالمولودون فى إسرائيل بعد حرب ١٩٥٦م مثلا لم يشاركوا فى حروب ١٩٦٧م و ١٩٧٣م فعمرهم فى حرب ١٩٦٧م لم يصل إحدى عشر عامًا ، وعمرهم فى ١٩٧٣م لم يصل ستة عشر عامًا . وبوضع هذه الحقائق فى الاعتبار يمكن القول بأن جيل الصابرا الحالى يعيش النزاع على مستواه السياسى ولكنه لم يعشه على المستوى العسكرى وبالتالى فحياته طبيعية تقريبًا ولم تتأثر كثيراً بتجربة الحروب وحتميتها ومن ثم فنزوعها إلى السلام أكبر . وإذا سألنا من يتبنى استراتيجية السلام فى إسرائيل من بين هذه العناصر أكثر من الآخر ؟ فإن هذا الرأى السابق عن حتمية الحروب يؤدى بنا بشكل طبيعى إلى الإجابة على هذا التساؤل الأخير على النحو التالى :

إن الصابرا يمثلون الآن وفى المستقبل الشريحة الأساسية والعنصر الأساسى فى بنية المجتمع الإسرائيلى فهم ورثة الأشكناز ويقابلهم جيل سفاردى مولود أيضًا فى إسرائيل وكلاهما معًا يمثلان غالبية الإسرائيليين. وفى ضوء الاختفاء التدريجى للأشكناز وظهور الصابرا .

وأيضًا الاختفاء التدريجى للسفارديم المهاجرين وظهور جيل الأبناء المولود فى إسرائيل ستصبح الغالبية للمولودين فى إسرائيل على وجه العموم سواء من أبناء الأشكناز أو من أبناء السفارديم . فهم تقريبًا الآن أصحاب البنية الغالبة فى المجتمع ، وأى تعامل فى المستقبل سيكون معهم وسياسة إسرائيل فى الحرب والسلام ستكون مرتبطة بهم .

وإذا كانت فلسفة حتمية الحرب ارتبطت بالأشكناز أولا وبالسفارديم ثانيًا كتابعين للأشكناز فى السياسة والعسكرية فلا شك أن الصابرا سواء من الأشكناز أو السفارديم ستكون لهم سياستهم المستقبلية رغم الارتباط بالجذور الأشكنازية أو السفاردية . فالخلفية المختلفة والموقف المختلف من الماضى وضعف الارتباطات الدينية والصهيونية ، والانتماء إل ثقافة خاصة هى ثقافة الصابرا أو المولودين عمومًا فى إسرائيل ... كل هذه الأمور تساعد على بلورة سخصية إسرائيلية جديدة مختلفة عن الشخصية اليهودية والصهيونية القديمة . وإذا أضفنا إلى هذه معاصرة الصابرا لمرحلة السلام وعدم وقوع حروب كبرى بعد ١٩٧٣م يمكن القول أن شخصية الصابرا قد تحررت من كل الارتباطات والقيود التى ارتبطت بها الشخصية اليهودية والصهيونية القديمة .

وتشير هذه الأمور إلى إمكانية :

١ - تبلور شخصية إسرائيلية جديدة مستقلة ومتحررة من كل القيود والسياسات التى فرضتها الزعامات ذات الأصول الأشكنازية والسفاردية .

٢ - أن تأخذ الحياة الإسرائيلية شكلا طبيعيًا بتخلص سكان إسرائيل من عقد الماضى بتأثيراتها العدوانية وبعدم دخول الجيل المتأخر من الصابرا فى تجربة حرب حتى الآن مما يجعل استراتيجية حتمية الحروب استراتيجية معطلة . ونقول معطلة لأنها موجودة لكنها ليست فاعلة .

٣ - أن مفاوضات السلام الحالية غيرت من مناخ الحياة الإسرائيلية القائم على أساس من حتمية الحرب . وجيل الصابرا هو الذى يعيش الآن فى هذا المناخ ويتأثر به أكثر من غيره ، ويتأثر به أيضًا جيل الشباب الذى هو بطبيعة الحال امتداد للصابرا .

إذا صحت هذه الاحتمالات فإن شخصية الصابرا ستكون فى المستقبل أكثر عناصر المجتمع الإسرائيلى ميلا نحو السلام فهو من الناحية السيكلوجية أكثر الإسرائيليين سلامة فى الروح والجسد بمعنى أنه يخلو من الأمراض والعقد النفسية التى اتصفت بها الشخصية اليهودية أشكنازية أو سفاردية . وهذه السلامة النفسية ربما تدفع الصابرا إلى سلوك أكثر طبيعية من سلوك اليهودى ذى الخلفية الجيتوية المعقدة نفسيًا والشاعرة بالاضطهاد وما يولده من مشاعر سلبية مولدة للعنف والعدوانية .

الفصل الثانى

رؤية المجتمع الإسرائيلى للسلام

أولاً : أثر السلام على الصيغة الثقافية للمجتمع الإسرائيلى

١ - ثقافة السلام :

لاشك فى أن السلام كهدف إقليمى فى منطقة الشرق الأوسط له انعكاسات قوية على طبيعة المجتمع الإسرائيلى . وقد أفرز السلام حتى الآن عدة احتمالات لمشاريع ونظم تتم من خلالها صياغة وضع إسرائيلى جديد يناسب عصر السلام القادم . ولعل من أهم المتغيرات المطروحة على ساحة الشرق الأوسط ما يسمى بثقافة السلام ، والثقافة الشرق أوسطية ، والاندماج والعولمة . وهى جميعها صيغ تعبر عن وضع ثقافى جديد ينمو فى الشرق الأوسط بعد السلام ويؤدى إلى حدوث تغيير فى الأوضاع الثقافية داخل المجتمع الإسرائيلى . فمع الحرص على الثقافة اليهودية سيأتى السلام بتطبيع ثقافى من شأنه أن يخلق مناخًا ثقافيًا جديداً يتجاوز حدود الصراع بين الأطراف المعنية ويركز على خلق عقلية قادرة على حسم الصراعات بالوسائل السلمية وعن طريق غرس مجموعة من القيم الخاصة بالتسامح والتعايش والحوار وقبول الآخر والواقعية ولا شك أن هذا التوجه الجديد فى الشرق الأوسط عكس التوجه العالمى بعد نهاية الحرب الباردة والدخول فى نظام عالمى جديد يتجه بالعالم إلى العولمة والاندماج .

وفى الوقت الذى يتناسب فيه هذا التوجه مع طبيعة الثقافة العربية الإسلامية فإنه يأتى بقيم ومفاهيم مضادة لطبيعة الثقافة اليهودية والإسرائيلية حيث تسود نظرة سلبية إلى الآخر مبنية على أساس من الاختلاف والشك كما تقوم على نظرة عنصرية أدت إلى مقاومة الاندماج واتخاذ الحذر من الاختلاط بالآخرين . ولذلك يرى بعض المراقبين أن السلام فى الشرق الأوسط مهدد للهوية اليهودية ولهوية المجتمع الإسرائيلى لأن معناه خروج اليهودى من مجتمعه المغلق والاندماج فى بيئة ثقافية مغايرة للثقافة اليهودية الأمر الذى قد يؤدى إلى ذوبان الشخصية الإسرائيلية فى المنطقة العربية ، والتخلى عن القيم اليهودية والإسرائيلية من ناحية والتخلى أيضًا عن القيم الحضارية الغربية من ناحية أخرى . وفى نفس الوقت من الممكن أن يؤدى السلام فى الشرق الأوسط فى ارتباطه بالنظام العالمى الجديد إلى بقاء الأوضاع الثقافية فى إسرائيل على ما هى عليه . فالثقافة اليهودية الإسرائيلية باقية لأنها مرتبطة بعادات وتقاليد دينية وثقافية داخلية لن تتأثر بالقيم التى سيأتى بها السلام .

ومن ناحية أخرى فالنظام العالمى الجديد يسعى إلى فرض النموذج الثقافى الغربى علي حياة الشعوب بما فيها شعوب الشرق الأوسط وهذا النموذج هو أحد روافد الثقافة الإسرائيلية فلا اختلاف حوله بينما هو نموذج ثقافى غريب على البيئة العربية الإسلامية وستكون إسرائيل أداة ثقافية لتغيير هذا الوضع بعد السلام بمعنى أن ثقافة السلام ستحقق

نوعًا من الغزو الثقافى الغربى للبيئة العربية الشرقية وهذا ليس بجديد لكن الجديد هو أن إسرائيل ستصبح قاعدة هذا الغزو داخل العالم العربى . ولذلك نقول إن تأثير ثقافة السلام سيكون قويًا فيما يتعلق بوضع العالم العربى بينما سيكون تأثيرها على المجتمع الإسرائيلى عاديًا وذلك لوجود أسس للتقارب بين الثقافة الإسرائيلية والثقافة الغربية تجعل من النظام العالمى الحالى خطراً ثقافيًا على العالم العربى ولا يمثل خطراً على الثقافة الإسرائيلية .

وهناك جانب من ثقافة السلام قد يكون له تأثير على المجتمع الإسرائيلى وهو حدوث تغير فى الخطاب الإسرائيلى أو تغير فى العقلية أو الذهنية الإسرائيلية بالتخلى عن لغة الصراع وثقافته والتحول إلى لغة السلام وثقافته . فالحياة الإسرائيلية قامت على أساس من أيديولوجية القوة والعنف التى زرعتها الصهيونية فى النفس اليهودية وجعلتها استراتيجية عامة للدولة اليهودية . فالتحول من ثقافة الصراع إلى ثقافة السلام هو بمثابة تغيير جذرى فى طبيعة الشخصية الإسرائيلية. ولذلك فإن إسرائيل ستأخذ بالشكل الخارجى لثقافة السلام وستحافظ فى الباطن على قيمة الصراع وهى قيمة موروثة من التراث اليهودى من ناحية ومن الحضارة الغربية من ناحية أخرى والتخلص منها بمثابة تخلص من أصل من أصول الثقافة الإسرائيلية المعاصرة . ولذلك فالسلام لن يضع نهاية للصراع ولكن سيؤدى إلى تغيير فى الأدوات والوسائل المستخدمة فى الصراع حيث يأخذ الاقتصاد والثقافة الدور

الأول ويأتى الصراع على المستوى الثقافى والاقتصادى فى المقدمة ويتأخر الصراع على المستوى السياسى والعسكرى . وهو يتأخر شكلا لاموضوعا لأن إسرائيل لن تتهاون أبدا فى مسألة تفوقها السياسى والعسكرى وحرصها على أن يكون ميزان القوى لصالحها .

٢ - الشرق أوسطية :

من المشروعات المطروحة أيضًا مشروع الشرق أوسطية وهو مشروع اقتصادى ثقافى طوره شيمون بيريز منذ عام ١٩٦٧م وأصبح مطروحًا بشكل قوى بعد مفاوضات السلام وكنتيجة للتغيرات السياسية فى المنطقة . ولذلك فقد طور بيريز الفكرة فى كتاب كامل بعنوان « الشرق الأوسط الجديد » . ومشروع الشرق أوسطية مشروع أمريكى إسرائيلى للالتفاف حول قضايا الشرق الأوسط والتمهيد لعصر ما بعد السلام فى المنطقة . وتتلخص فكرة الشرق أوسطية حسب فهم بيريز لها فى تحقيق الاستقرار السياسى مع التخلص من " الأصولية " فى المنطقة ، وتحقيق التعاون الاقتصادى للتنمية والتطوير المشترك بإنشاء منظمة تعاون إقليمية ، ونشر الديموقراطية فى المنطقة كضمان لاستمرار السلام . وخلق أسرة إقليمية ذات سوق مشتركة على غرار السوق الأوروبية لها منظماتها وهيئاتها (٣٥).

ويغلب على هذا الطرح الإسرائيلى للفكرة الشرق أوسطية المفاهيم الجغرافية والاقتصادية على حساب المفاهيم التاريخية والثقافية فهو

مشروع اقتصادى له أبعاد جيوبوليتيكية وأمنية وتمتزج فيه التجارة بالسياسة .

وواضح أن المشروع يهدف إلى تحقيق نوع جديد من الهيمنة على الشرق الأوسط يأخذ شكلا اقتصاديا ويخفى أبعاداً سياسية وأمنية . وهو مشروع يتجاهل القضايا السياسية فى مشكلة الشرق الأوسط مثل قضية الأراضى العربية المحتلة وقضية الدولة الفلسطينية وقضية المستوطنات وقضية القدس . وهو يمكن إسرائيل من الموارد العربية ، ويحول المنطقة إلى سوق للصناعات الإسرائيلية ، ويجعل من إسرائيل عصب النشاط الاقتصادى ومحوره فى المنطقة . ويحقق لإسرائيل أيضًا اختراق الأسواق والاقتصاديات العربية واستبدال المستوطنات السكانية بمستوطنات اقتصادية . هذا بالاضافة إلى التأثير السلبى لهذا المشروع الاقتصادى على الوحدة العربية وبخاصة فى المجال الاقتصادى وتأثيره على القومية العربية ومشروعات النهضة العربية وذلك بالاضافة إلى تحقيقه للمصالح الإسرائيلية الأمريكية على حساب المصالح العربية وذلك بسبب التفوق الإسرائيلى فى كل مجالات الأنشطة الاقتصادية كما يحقق لإسرائيل الرخاء الاقتصادى والتقدم وتهميش الاقتصاد العربى وزيادة التناقضات العربية . وبالاضافة إلى هذه المخاطر فإن مثل هذا المشروع له أبعاده الثقافية من حيث أن الضرورات الاقتصادية للمشروع ستؤدى إلى إباحة بعض المحظورات الوطنية والأخلاقية ، فالتعاون والشراكة والانفتاح عى إسرائيل يستلزم قبول العديد من القيم

والمفاهيم المضادة للاعتبارات الوطنية والأخلاقية . فهناك قدر من التضحية الثقافية على حساب الإنسان العربى خاصة وأن المشروع فى تنفيذه لايهتم بعمليات التمهيد الثقافى لتهيئة المناخ المناسب . فالمنطقة يعاد صياغتها بعيدا عن العامل الثقافى فى تكوين شعوبها بل لقد تم تحديد نوع الثقافة التى ستسود وهي الثقافة الغربية والتى تعد الثقافة الإسرائيلية امتدادا لها فى الشرق الأوسط . فمبادئ التعاون الاقتصادى تصاغ وفق المبادئ الغربية والمعايير المستخدمة معايير غربية ، والترتيبات المأخوذة ضد فكرة العروبة والقومية العربية بل وضد الإسلام أيضًا كموحد للأقطار العربية إلى جانب عروبتها (٣٦). ويتم تنفيذ المشروع فى ظل غياب الوفاق العربى بعد حرب الخليج بما يعنى أن المصلحة العربية العامة ليست فى الاعتبار بينما المصلحة العربية الشخصية تأتى في المقام الأول ومن هنا كانت الهرولة فى التطبيع العربى مع إسرائيل دون استعداد عربى مسبق ودون دراسة عربية لطبيعة المشروع ومخاطره وأبعاده ودخول العرب فيه كجبهة ذات مصالح واحدة وذات هوية ثقافية واحدة يجب الحفاظ عليها قبل الانخراط فى مثل هذه المشروعات المخططة للمنطقة بأبعادها المختلفة .

ومن الواضح أيضًا الربط بين هذه المشروعات والمصالح الإسرائيلية والغربية . فمشروع الشرق أوسطية فى ارتباطه بثقافة السلام يسعى إلى تحقيق المصلحة الغربية الساعية إلى ربط الشرق الأوسط الجديد بنماذج التفكير الغربى . فثقافة السلام جزء من مخطط عالمى لفرض النموذج

الغربى وتحقيق فكرة العولمة والاندماج . وهو جزء من الخطاب السياسى الغربى السائد فى النظام العالمى الجديد . وهو نظام يدعى اعتبار الديمقراطية والتحول إلى اقتصاد السوق واحترام حقوق الإنسان أهم أدواته ولذلك يربط التعاون الاقتصادى والمساعدات الاقتصادية بمدى الاستجابة لشروط هذا النظام .

وترتبط بهذا المشروع أيضًا أبعاد ثقافية عنصرية ففيه تجاهل تام للثقافات فى الشرق الأوسط وفرض ثقافة أجنبية على شعوبه ، ورفض للآخر ومعطياته الثقافية وفتح الباب للانحراف بالقيم والمفاهيم وذلك لغياب الشروط الموضوعية لثقافة السلام ، وتصدير القيم والأفكار التى تتنافى مع طبيعة المجتمع الشرقى ومع طبيعة الإسلام ، وترسيخ قيم اقتصادية غير مقبولة وهو نوع من الاختراق الثقافى فى المجال الاقتصادى .

ويجب أن نلاحظ فى نهاية هذا الكلام عن ثقافة السلام وفكرة الشرق أوسطية أن مثل هذه المفاهيم والمشروعات ليس لها تأثير مباشر من ناحية تغيير الوضع الثقافى لإسرائيل . فهذه المفاهيم والمشروعات الهدف الحقيقى منها هو تغيير الوضع الثقافى للآخر فهى مشروعات موجهة إلى العالم العربى وهى فى نفس الوقت بدائل للصراع الذى لايمكن أن تعيش إسرائيل بدونه فإذا كان السلام قد حجم الصراع فى شكله السياسى والعسكرى فلابد من البحث عن بديل والبديل هو نقل الصراع إلى المستويات الثقافية والاقتصادية .

ومن هذا المنطلق نقول إن الثقافة العبرية المتفردة ستظل هى الأساس فى تشكيل الثقافة الإسرائيلية التى لن يطرأ عليها أى تغيير فهى تمثل صلب الأيديولوجية الصهيونية ومحور التفكير اليهودى بالاضافة إلى الرافد العلمانى الذى اكتسبته الثقافة الإسرائيلية من الحضارة الغربية التى هى فى الحقيقة امتداد لها . فالثقافة الإسرائيلية ثقافة غربية بحتة ومن الصعب عليها أن تخرج على النموذج الغربى فى التفكير . أما مصطلح الثقافة الشرق أوسطية الاندماجية فهو مصطلح غامض فإذا كان المقصود به فكرة الشرق أوسطية على المستوى الذى شرحناه فى الصفحات السابقة فالفكرة ليست سوى مشروع للهيمنة الاقتصادية ولا تخلو من البعد الثقافى حين يرتبط بالنظام العالمى وفرض النموذج الغربى وهو كما قلنا نقل للصراع السياسى العسكرى إلى المجال الثقافى الاقتصادى فالغرب لا يعيش بدون صراع وإسرائيل أيضًا لا تستغنى أبدا عن الصراع المستمد من تراثها وتاريخها المستمد أيضا من ارتباطها بالحضارة الغربية حضارة الصراع والتحدى والاستجابة . أما إذا كان المقصود بالثقافة الشرق أوسطية الثقافة العربية الإسلامية فإن فرصة اندماج إسرائيل فى هذه الثقافة ضعيفة جداً وذلك للحفاظ على الهوية اليهودية من ناحية وعلى الهوية الصهيونية القومية من ناحية أخرى وللحفاظ على السيطرة والهيمنة الثقافية فى نموذجها الغربى من ناحية ثالثة . فهذه هى مكونات الشخصية الإسرائيلية فى الوقت الحالى وهى مكونات لايمكن التنازل عنها فى أى صراع وعلى أى مستوى . بل

إن المطلوب هو تحقيق اندماج العرب فى النموذج الغربى الإسرائيلى بكل مفاهيمه وأبعاده . إن المشروعات المطروحة على الساحة تؤكد هذا التوجه فهى مشروعات ليست من صناعة العالم العربى إنما هى من فكر وتدبير مشترك بين الغرب وإسرائيل لتحقيق الهيمنة على المنطقة فى عصر مابعد السلام (٣٧).

٣ - السلام والخروج من الجيتوية الإسرائيلية إلى حالة الانفتاح على الإنتماء الشرق أوسطى :

لاشك فى أن السلام أدى إلى إحداث بعض التغيير فى النفسية الإسرائيلية التى عاشت زمن الحرب مع العرب فى حالة الحصار النفسى، والشعور الدائم بالخطر ، بل والعمل على خلق الإحساس الدائم بهذا الخطر كنوع من التوتر الذى يجعل الإسرائيلى فى حالة استعداد تام للحرب . وقد استخدمت الحروب كوسيلة دائمة لتحقيق هذا الغرض . والمعنى المباشر للسلام هو وقف الحروب وبالتالى فقدان العامل الرئيسى وراء الإحساس بالخطر وإحداث تغيير فى طبيعة الحياة الإسرائيلية القائمة على أساس من الحرب ، وتغيير طبيعة الشخصية الإسرائيلية التى نمت وتطورت في ظل الحرب . ونتوقع أن السلام الدائم سينهى حالة الحصار النفسى ويلغى التهديد بالحرب ويحقق الأمان وكلها أمور ستنتهى إلى شكل جديد للحياة الإسرائيلية وصياغة جديدة للشخصية الإسرائيلية .

ومما لا شك فيه أن عودة حزب الليكود إلى الحكم عادت من جديد بالشخصية الإسرائيلية إلى الشعور بحالة الحصار النفسى والحاجة إلى الحرب والشعور بعدم الأمان وذلك من خلال إعادة التركيز على موضوع الأمن وربط السلام بالأمن ومن ثم تجاهل سياسة حكومة العمل السابقة بزعامة بيريز صاحب مشروع الشرق أوسطية والتعاون الإقليمى . وحسب بعض التحليلات لسياسة نيتانياهو فإن حكم رئيس الوزراء الجديد يعتمد على قضية الأمن من ناحية ، والميل الإسرائيلى الموروث إلى العزلة والجيتوية ، والتمركز على الذات اليهودية بكل متناقضاتها . والرغبة فى عدم الانخراط الواسع فى تأييد العملية السلمية وتبديد المخاوف الوهمية والنفسية .

بالاضافة إلى أن رؤية الليكود واليمين المتطرف عموما تقوم على أساس من عدم الاعتراف بالآخر ، وبالتالى فالوسيلة الوحيدة المتاحة للتعامل مع الآخر هى وسيلة القوة . وفى كل هذا ضربة قوية لمفهوم الشرق الأوسط الجديد ، ونتج عنها فى نفس الوقت عودة المنطقة إلى مناخ التوتر القديم على المستوى السياسى وربما العسكرى فى الوقت الذى تم فيه تجميد مشروع الشرق أوسطية .

لاشك أن مفهوم القوة من ثوابت حزب الليكود والجماعات المتطرفة الدينية والصهيونية . وبالتالى فإن مفهوم ثقافة الصراع والقوة هو دعامة الحزب الحاكم الجديد في إسرائيل . فهى ثقافة شكلت منها

الصهيونية الشخصية الإسرائيلية ولذلك عاد مفهوم الأمن الإسرائيلى ليسيطر على تفكير الحزب الحاكم ويؤخذ كمنطلق لسياسة هذا الحزب فى المنطقة وهو المرجعية الفعلية لعملية السلام . وتختلط فى فهم حزب الليكود لمفهوم الأمن عدة عوامل بعضها تراثى وبعضها صهيونى حديث ومن ذلك الشعور الدائم بالخوف وحالة الحصار النفسى والحياة فى ظل عدم الأمان والتهديد بالحروب والشعور الدائم بالعزلة والجيتوية وغير ذلك من الأبعاد النفسية لمفهوم الأمن الإسرائيلى . ويرتبط بهذا كله الصبغة الدينية الصهيونية وراء مفهوم الأمن فهو يستند إلى اعتقاد راسخ فى أرض إسرائيل التوراتية تبلور عنها مفهوم لإسرائيل كبرى تبرر عمليات التوسع الإقليمى وتشجيع الاستيطان كوسيلة للتوسع (٣٨).

وإذا أخذنا هذا فى الاعتبار فإن اتجاه حكومة إسرائيل الحالية لا يسعى إلى الإنفتاح على العالم العربى من خلال السلام ولا يشجع مشروع السوق الشرق أوسطية الذى تبنته حكومة حزب العمل على يد شيمون بيريز . ومما لاشك فيه أنه لايمكن الحكم الآن على توجهات حكومة نيتانياهو وبخاصة فيما يتعلق بالشرق أوسطية وإن كانت النجاحات الاقتصادية التى حققتها إسرائيل على المستوى العالمى والإقليمى من خلال الشرق أوسطية وكنتيجة مباشرة من نتائج السلام ربما تدفع حكومة الليكود إلى تبنى سياسة قريبة من سياسة حزب العمل للحفاظ على المكاسب التى تمت من خلال فكرة الشرق أوسطية ومن أهم هذه المكاسب فتح الاقتصاد الإسرائيلى على الاقتصاد العالمى وتحقيق

طفرة للاقتصاد الإسرائيلى من أهم معالمها زيادة معدل النمو للناتج المحلى من ٣.٤٪ عام ١٩٩٣م إلى ٦.٥٪ عام ١٩٩٤م وإلى ٦.٩٪ عام ١٩٩٥م وتحقيق زيادة فى دخل الفرد الإسرائيلى وزيادة الصادرات الإسرائيلية التى تضاعفت ثلاث مرات منذ توقيع اتفاقية السلام عام ١٩٩٣م حيث استفادت إسرائيل من تجميد برنامج المقاطعة العربية ووصلت صادراتها إلى دول إسلامية وإفريقية وإلى دول آسيوية من أهمها اليابان التى زادت معها التجارة بنسبة ١٥٤٪ ونجحت إسرائيل أيضًا فى جذب رؤوس الأموال الأجنبية ، ونمو القطاع الخاص الإسرائيلى وغير ذلك من الفوائد الاقتصادية التى لايمكن التنازل عنها . ويلاحظ أن مشروع الشرق أوسطية نجح بالنسبة لإسرائيل على المستوى العالمى قبل أن ينجح على المستوى الاقليمى . ومع قدوم حكومة نيتانياهو بدأت بعض هذه المكاسب تتعرض لخطر الضياع الأمر الذى يمثل نوعًا من الضغط على حكومة نيتانياهو تجاه الاستمرار فى الإلتزام بالسوق الشرق أوسطية وبالتعاون الاقليمى والاحتفاظ بالمكاسب الاقتصادية وزيادتها(٣٩).

ويمكن التحفظ هنا من ناحية أن حكومة الليكود ستحرص حرصًا شديداً على العزلة وعدم الاندماج والتشبث بروح الجيتوية فى الوقت الذى ستعمل فيه على الاستفادة من فكرة التعاون الاقليمى من خلال مشروع الشرق أوسطية مع عدم الانفتاح على الانتماء الشرق أوسطى .

ثانيًا : السلام ومصير المؤسسة العسكرية :

١ - السلام والحاجة إلى الحليف الاستراتيجى :

إن الاعتماد على قوة عظمى أو عدة قوى عظمى لحماية الدولة هدف استراتيجى من الأهداف الاستراتيجية الشاملة لإسرائيل منذ إعلان قيام الدولة فى ١٩٤٨م . فوثيقة الإعلان التى وقعها بن جوريون نصت على الحصول على الدعم من إحدى الدول الكبرى والحفاظ على روابط وثيقة معها [٤٠]. ويبدو واضحًا أن نظرية الأمن الإسرائيلى منذ قيام الدولة وضعت فى الاعتبار دائما الاعتماد على قوة خارجية داعمة للدولة وحامية لها فى وقت الأزمات ، ومساعدة لها فى نفس الوقت على تحقيق عملية التحكم فى المتغيرات الإقليمية لتكريس الدور السياسى والعسكرى لإسرائيل وتحافظ عى كيانها ووجودها ، ويؤمن الدعم السياسى والعسكرى لها ، ويضمن لها العون الاقتصادى المستمر وكذلك يوفر لها الدعم العلمى والتكنولوجى . وبهذا تتضح أن الحاجة إلى القوة الخارجية لم يكن الهدف منها تحقيق الحماية السياسية والعسكرية فقط ولكن تأمين استمرارية الوجود الإسرائيلى على المستويات الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية .

ورغم اعتماد إسرائيل فى البداية على عدة قوى دولية لتوفير الحماية لها مثل بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية فإن الأوضاع تطورت لكى تصبح الولايات المتحدة الأمريكية القوة العظمى الأساسية التى اعتمدت عليها إسرائيل وستظل تعتمد عليها فى المستقبل .

وقد تطورت العلاقات الإسرائيلية الأمريكية لكى تأخذ شكل التحالفات السياسية والعسكرية . ففى ٣٠ نوفمبر ١٩٨١م تم توقيع اتفاق تفاهم استراتيجى بين البلدين وفى عام ١٩٨٣م تم انضمام إسرائيل لمبادرة الدفاع الاستراتيجى الأمريكية . وفى يناير ١٩٩٦م تم الإعلان عن قيام « حلف دفاعى بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل ليصبح واجب الدفاع والرد الفورى على إسرائيل بينما يصبح واجب الهجوم والردع على إسرائيل والولايات والمتحدة " وقد أعلن كلينتون فى ١٥ مارس ١٩٩٣م " أن مبدأ الولايات المتحدة تقديم أقصى دعم لإسرائيل للحفاظ على تفوقها النوعى العسكرى المطلق"(٤١).

ومع الارتباط الاستراتيجى بحليف دولى قوى تحاول إسرائيل الوصول إلى وضع لايصبح للعرب فيه حليف دولى قوى يماثل وضع الولايات المتحدة الأمريكية مع إسرائيل . وقد ساعدت المتغيرات الدولية فى السنوات العشر الأخيرة على تحقيق هذا الهدف بالنسبة لإسرائيل . فقد انهار الإتحاد السوفيتى وبانهياره ونهاية الحرب الباردة فقد العرب حليفهم الاستراتيجى القديم بل لقد نجحت إسرائيل فى تحييد روسيا بعد انهيار الاتحاد السوفيتى ، ونجحت فى تهجير اليهود الروس إليها . ونجحت أخيراً فى عقد اتفاق تعاون دفاعى وأمنى مع روسيا فى ديسمبر ١٩٩٥م الأمر الذى أدى إلى فقدان العرب لروسيا كحليف تقليدى وكمصدر للتسليح والتكنولوجيا .

وبالاضافة إلى هذا نجحت إسرائيل فى تنمية علاقتها بالصين فحرمت العرب أيضًا من مصدر للسلاح والتكنولوجيا بالاضافة إلى المكاسب السياسية التى حققتها إسرائيل من خلال تعاونها مع روسيا والصين وامكانية تجميد الموقف السياسى للدولتين فى القضايا الإسرائيلية مع العرب .

وبالنسبة للولايات المتحدة كحليف أساسى قوى فإن الاستراتيجية الإسرائيلية تؤكد على " ضرورة مشاركة الولايات المتحدة بصورة مكثفة فى تنفيذ ومراقبة ومواجهة الاجراءات الأمنية كبديل موثق به عن القوات الإسرائيلية خاصة إذا تم توقيع الحلف الدفاعى بين البلدين فتصبح قوات كل منهما جزءًا من قوات الآخر " .

وقد أشار شيمون بيريز إلى حقيقة مهمة جدا وهى أنه فى حالة عدم تحقيق السلام فإن إسرائيل كسبت اتفاقية دفاع مع أمريكا (معاريف ١٩٩٦/٤/٣٠م) وهى ليست مجرد اتفاقية دفاع لكنها تحالف دفاعى يجعل أمريكا شريكة فى الدفاع عن إسرائيل فى حالة تعرضها لأى هجوم عربى ولذلك سماه بيريز بالخيار الجاهز فى حالة فشل السلام[٤٢].

وقد أشار برنامج حزب العمل فى الانتخابات الأخيرة إلى طبيعة العلاقة بأمريكا بأنه " وصلت إلى ذروتها من حيث نوعية العلاقات والصداقة العميقة مع الإدارة الأمريكية والكونجرس والشعب الأمريكى وسوف تعمل الحكومة على إضافة بعد آخر لهذه العلاقات وذلك بإقامة وتطبيق

التحالف الاستراتيجي والتحالف فى الحرب ضد الإرهاب وقد تم تعزيز العلاقة الخاصة بين الدولتين ليس فقط بدافع المصالح الاستراتيجية ولكن بشكل أساسى بدافع القيم الديموقراطية الأخلاقية المشتركة بينهم " (٤٣).

وهكذا يتضح أن الحاجة إلى القوة العظمى ليست محدودة فى وقت الحروب والأزمات ولكنها مطلوبة فى وقت السلم وذلك كعامل للضغط على العرب من ناحية حتى يقبلوا السلام بشروطه الأمريكية الإسرائيلية وحتى لا يتم التفكير مستقبلا فى الخروج من حالة السلام هذه لأن على العرب فى هذه الحالة الدخول فى حرب ليس مع إسرائيل فقط ولكن مع أمريكا كحليف دفاعى وبديل موثوق فيه عن القوات الإسرائيلية .

ويجب أن نشير هنا إلى أن ظهور الولايات المتحدة الأمريكية كحليف استراتيجى لا يعبر فقط عن حاجة إسرائيلية إلى الحليف الدفاعى فى شكل دولة عظمى لأنه لو كان الأمر كذلك لكان من الممكن أو يكون هذا الحليف أية دولة عظمى أخرى أو عدة دول عظمى . ولكن القضية تكمن فى أن إسرائيل تمثل مصلحة استراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية . فهناك اعتقاد سائد داخل العديد من الدوائر السياسية فى أمريكا بأن إسرائيل حليف استراتيجى رئيسى للولايات المتحدة وأنها تمثل ضرورة استراتيجية . ومعنى هذا الكلام أنه ليست إسرائيل فقط هى التى فى حاجة إلى أمريكا كحليف دفاعي ولكن أمريكا تحتاج إلى إسرائيل كحليف استراتيجى . فمن منطلق معاداة الشيوعية نشأ تيار

قوى داخل الكونجرس وداخل الحزبين الجمهوري والديموقراطى وداخل المؤسسات ذات التأثير فى صناعة القرار يؤمن بأن إسرائيل حليف استراتيجى لأمريكا فى مواجهة الشيوعية . ومن أهم هذه القوى تظهر الصهيونية المسيحية كتيار دينى مؤيد لإسرائيل على أسس دينية . فهناك تيار ديني مسيحى يتزعمه الإنجيليون وبخاصة طائفة المعمدانيين الذى يؤمنون بأن القدوم الثانى للمسيح مرهون بجمع الشتات اليهودى فى فلسطين . ومن رؤساء أمريكا الذين تأثروا بخلفيتهم الدينية المعمدانية كل من هارى ترومان وجيمى كارتر وقد تعاطفا مع إسرائيل تعاطفًا مبينا على أسس دينية . وتعتبر الصهيونية غير اليهودية أو الصهيونية المسيحية الحاضن الأساسى للنفوذ الصهيونى اليهودى . وهى التى تصور الحاجة إلى إسرائيل كحليف استراتيجى لأمريكا ويؤمنون بأن إسرائيل تحقق مكاسب استراتيجية للولايات المتحدة وبأنها الحارس القوى على المصالح الأمريكية .

ومن ناحية أخرى تظهر أهمية إسرائيل بالنسبة للسياسة الأمريكية فى مسألة الانتخابات الخاصة بالرئاسة وأهمية الصوت اليهودى والتبرعات المالية اليهودية فى التأثير على العملية الإنتخابية . وبالإضافة إلى السيطرة اليهودية على وسائل الإعلام تلعب هذه العوامل مجتمعة دوراً مهما فى اتخاذ مواقف مؤيدة لإسرائيل داخل الكونجرس وفى الحزبين الجمهورى والديموقراطى وفى دوائر صنع القرار السياسى .

فهناك إذن دور تمثله الصهيونية اليهودية فى التأثير على السياسة الأمريكية فى الداخل وتظهر بقوة فى الحملات الانتخابية للرئاسة والكونجرس وتستغل الصوت اليهودى والمال اليهودى والإعلام اليهودى وتوجهه لخدمة دعم إسرائيل وهناك دور آخر مهم جداً تلعبه الصهيونية غير اليهودية وتمثلها الدوائر المسيحية الصهيونية التى تدعم إسرائيل لأسباب دينية باعتبارها خطوة لتحقيق قدوم المسيح عليه السلام . وهذه تنظر إلى إسرائيل على أنها أيضًا حليف استراتيجى للولايات المتحدة فى مواجهة الشيوعية من ناحية ولتحقيق مصالح الولايات المتحدة الكونية .

ولهذا فنظرية الحاجة إلى حليف قوى تم تفسيرها من منطلق المصالح المتبادلة بحيث تؤدى إسرائيل للولايات المتحدة نفس الوظيفة التى تؤديها الولايات المتحدة لإسرائيل(٤٤).

٢ - السلام والموقف من المؤسسة العسكرية وحتمية الاحتفاظ بقوة الردع العسكرية والنووية :

يجب أن نشير أولا إلى أن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ليست كيانا مستقلا عن الإطار السياسى والاجتماعى والاقتصادى الإسرائيلى.فهى تستمد من هذا الإطار جذورها التاريخية ومقومات بقائها وحدود تطلعاتها . والإطار الطبيعى لهذه المؤسسة هو المجتمع الاستيطانى الصهيونى وهو مجتمع استيطانى استعمارى توسعي .

ولايمكن أيضًا الحديث عن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية بدون ربط ذلك بالشخصية الإسرائيلية وبالأيديولوجية الصهيونية . فمستقبل المؤسسة العسكرية بعد السلام ومكانتها داخل إسرائيل له علاقة عضوية بالصهيونية ومشروعها فى فلسطين والعالم العربى وهى أداته فى تنفيذ هذا المشروع وضمان استمراره . ولذلك فالصلة جوهرية بين الجيش الإسرائيلى والنظام السياسى الإسرائيلى . فالمؤسسة العسكرية الإسرائيلية تدعم النظام السياسى فى وظائفه الأساسية وهى التنشئة السياسية ، وتجنيد القيادات ، والاتصال السياسى (٤٥). والجذور التاريخية للمؤسسة العسكرية تربطها بعملية إنشاء الدولة حيث بدأت هذه المؤسسات فى شكل عصابات عسكرية مسلحة (الهاجاناه - الأرجون ...) ثم اندمجت فى بنية الجيش الإسرائيلى والأحزاب السياسية الصهيونية .

وقد وضعت نظرية الأمن الإسرائيلى المؤسسة العسكرية دائما وأبدا فى مركز القلب فى الدولة .فهى دعامة الحياة الإسرائيلية فالجيش يمثل المدرسة والحقل والمصنع والعلم والثقافة ، وله دور اجتماعى يتمثل فى التجنيد العسكرى والتعليم والدمج الاجتماعى وله دور اقتصادى كبير فى المجتمع بالإضافة إلى علاقاته المتشابكة والمتداخلة بالمؤسسات السياسية مثل الأحزاب والكنيست والهستدروت والوكالة اليهودية ومستوطنات الكيبوتس وتظهر قوة المؤسسة العسكرية فى المجالين الداخلى والخارجى ، حيث يظهر عمق الدور المدنى للجيش ، وعسكرة

الاقـتـصـاد ، وتنامى المجـتـمع الصناعى العـسكرى ودور المؤسـسـة العـسكرية فى صنع القرار السـيـاسى أما الدور الخارجى فـيـتـمـثل فى الحرب وتصدير السلاح ، وفرض الهيمنة الإقليمية وتوجيه العلاقات الدولية لإسرائيل(٤٦) .

إن السلام لن يؤدى أبدا إلى اضمحلال المؤسسة العسكرية فالتجربة الصهيونية فى الماضى أثبتت استمرار المؤسسة رغم تلاشى الوظيفة مثل استمرار الوكالة اليهودية ، والمنظمة الصهيونية العالمية ، ومستوطنات الكيبوتس بعد قيام الدولة رغم انتهاء الوظيفة التى كانت تقوم بها كل من هذه المؤسسات . وبعد السلام ستبقى المؤسسة العسكرية حفاظًا على مصالحها وأوضاعها . كما أن هذه المؤسسة ستبحث لها عن دور جديد مؤثر فى الحياة الإسرائيلية وفى المنطقة العربية ويرى د . عليوه أن هذا الدور سيتمثل فى التحالف مع الرأسمالية البيروقراطية الصاعدة بهدف تحقيق التوسع الصناعى والسيطرة الاقتصادية على المنطقة فى ظل مناخ السلام . إن تحالفا بين العسكرية والرأسمالية الصهيونية سيظهر لتحقيق التوسع الاقتصادى فى ظل السلام .

والحقيقة أن برامج الأحزاب الإسرائيلية فى الانتخابات الأخيرة حافظت جميعها على دور الجيش والمؤسسة العسكرية فى حديثها عن الأمن والسلام . فتحت بند « أمن إسرائيل » نص برنامج حزب العمل على أن " سياسة السلام فى إسرائيل تقوم على قوة الردع لجيش الدفاع

الإسرائيلى وعلى قوته فالسلام المستقر فى حد ذاته عنصر أمنى هام بالنسبة لقوة الدولة . ويقوم هذا الاستقرار على وجود حدود يمكن الدفاع عنها وعلى ترتيبات أمنية أساسية ... سوف تواصل إسرائيل تعزيز أفضليتها النوعية على الجيوش العربية وستعطى أولوية عليا للبحوث العسكرية المستقلة وتنميتها وللتوسع فى الإنتاج المحلى للمعدات العسكرية المتطورة والمبتكرة ... إن الحرب ضد الإرهاب والتدمير يجب أن تكون عنصراً جوهريا فى سياسة السلام والأمن لإسرائيل وسوف يكون لهذا الكفاح طابع هجومى دفاعى . وستعتبر الحكومة الإسرائيلية نفسها حرة فى اختيار المكان والأسلوب والوسيلة والتوقيت المناسب فى الحرب ضد الإرهاب " (٤٧).

أما حزب الليكود الحاكم فقد جعل " الأمن هو أساس السلام الدائم فى منطقتنا وسوف تجعل إسرائيل من الأمن الشرط الأول فى أى اتفاق للسلام "(٤٨) وعلى هذا الأساس فإن جيش الدفاع الإسرائيلى وقوات الأمن الإسرائيلية الأخرى " ستتمتع بحرية حركة كاملة فى كل مكان كما يستدعى الوضع وسوف تبقى المناطق الأمنية الحيوية للدفاع عن إسرائيل والمستوطنات اليهودية تحت السيادة الإسرائيلية الكاملة " (٤٩).

ومن الوظائف الأساسية للجيش الإسرائيلى ضمان وجود دولة إسرائيل كما ورد فى برنامج حزب العمل : " وسيعمل جيش الدفاع الإسرائيلى لضمان وجود دولة إسرائيل ودفاعها وأمنها ووحدة أراضيها

والإجماع الوطنى حول استخدام قوة جيش الدفاع الإسرائيلى يعد مسألة لها أهمية وطنية أساسية ويجب أن تكون من بين اهتمامات جميع الحكومات كما يجب استبعاد الجيش من جميع الحوارات السياسية الحزبية " وفى هذه الجزئية الأخيرة يتفق رأى حزب العمل مع حركة ميرتيس التى نصت فى برنامجها على أن " قوات جيش الدفاع الإسرائيلية هى جيش الشعب ويتعين على الحكومة ألا تورطها فى حرب دفاعية أو تستغلها لأهداف حزبية أو شخصية " (٥٠).

وتساعد التحالفات العسكرية لإسرائيل على استمرار أهمية المؤسسة العسكرية ومن أهم التحالفات العسكرية الجديدة لإسرائيل التحالف مع روسيا بما يسمى باتفاق التعاون الدفاعى والأمن الذى تم فى ديسمبر ١٩٩٥م ، والحلف الدفاعى مع الولايات المتحدة والذى تم فى يناير ١٩٩٦م ، وكذلك التحالف الإسرائيلى التركى الأخير بالإضافة إلى تقوية العلاقات على المستوى العسكرى مع العديد من البلاد وفتح أسواق جديدة للسلاح الإسرائيلى .

ويضاف إلى هذا أن السلام رغم أنه سينهى حالة الحرب مما قد يقلل من قيمة المؤسسة العسكرية لكن المتوقع أن السلام سينهى التفكير فى الحروب الكبرى ولكنه لن يؤدى إلى القضاء على فكرة الحرب تماما فتستمر الحروب لصغيرة من خلال العمليات العسكرية المحدودة والتى لايزال بعضها قائما حتى الآن مثل الوضع فى لبنان وهذا الأمر متوقع فى حالة استمرار حزب الليكود على موقفه المتجمد من عملية السلام .

كما يلاحظ أيضًا أن عمليات تطوير القوة العسكرية فى عصر السلام لن تتوقف ، فالبحوث العسكرية مستمرة ، والاستخدامات الأخرى للقوات المسلحة مثل الردع والدفاع لن تنتهى ، وعمليات تطوير القوة العسكرية ، وتحديث السلاح ، وكذلك التوسع فى انتاج السلاح للتسويق.. كل هذه الأمور لن تتوقف بعد السلام وستعطى للمؤسسة العسكرية بعض أسباب استمرارها وهيمنتها .

ونعتقد أنه فى ظل حكومة الليكود ومع سياسة الأمن فإن المؤسسة العسكرية الإسرائيلية لن تفقد شيئًا من أهميتها ودورها فى المجتمع الإسرائيلى[٥١] . فإن مكونات نظرية نتانياهو تعطى أهمية للحرب وتشير إلى أن حكومته تستند إلى الحرب كوسيلة للحصول على السلام، وسياسة الليكود تدور عامة حول سياسة ردع التهديدات الخارجية فى اعتماد كامل على التحالف الدفاعى مع أمريكا ، والابقاء على توازن القوى الاستراتيجى فى صالح إسرائيل من خلال التفوق النوعى والخيار النووى ، والحرص عى امتلاك الرادع المضاد ويتمثل فى منظومة الصواريخ المضادة للصواريخ ، وتعميق إحساس الإسرائيليين كأفراد بالأمن من خلال مواجهة ما يسمى بالإرهاب وتوسيع نطاق الاستيطان الإسرائيلى وإلغاء قرار تجميد الاستيطان ، وتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، والإبقاء على مصادر المياه الحيوية تحت السيطرة الإسرائيلية ، والإبقاء على المناطق الأمنية الحيوية والمستوطنات . وهذه جميعها سياسات حرب ترفع من شأن المؤسسة العسكرية وتجعلها ذات أهمية خاصة فى سياسة الليكود .

ويضاف إلى هذه الأمور أن حكم الليكود جاء من خلال صعود لليمين المتطرف وبخاصة اليمين الدينى المتطرف الذى يتمسك بالأيديولوجية الصهيونية الدينية المنادية بإسرائيل الكبرى على حسب الأساس التوارنى وفى مثل هذا الموقف المتطرف يصبح العنف والعدوان من أسس السياسة ومن وسائلها فى تحقيق الأهداف الأيديولوجية . ولاشك أن هذا الموقف يعطى أهمية للعسكرية وللحرب وبخاصة مع وجود فئات يمينية متطرفة داخل الجيش الإسرائيلى أشار إليها كتاب أمنون كابيليوك الصحفى الإسرائيلى بقوله :

" إن نصف ضباط الجيش الإسرائيلى سيرتدون القلنسوة الدينية على رؤوسهم بعد عشر سنوات فقط . إن جنود الجيش الإسرائيلى سيجدون أنفسهم أمام خيار خطر : إما طاعة قائدهم العسكرى أو طاعة الحاخام ... ومن الممكن أن يرفض ضباط وجنود الجيش الانصياع لأوامر الحكومة خاصة فيما يتعلق بالانسحاب من الأراضى العربية المحتلة " ومن المعروف أن بعض الحاخات دعوا الجنود الإسرائيليين إلى عصيان أوامر الانسحاب من المستوطنات لأن ذلك يتعارض مع قوانين التوراة . إن تفشى ظاهر التطرف الدينى فى إسرائيل ستؤدى حتما إلى زيادة فى اللجوء إلى العنف والعدوان . ومع وجود مؤيدين للتطرف الدينى وزيادة لنفوذه داخل الجيش فإن اللجوء إلى الحرب أمر محتمل كسياسة للدولة وبضغط من عناصر التطرف الدينى المتزايد فى الجيش الإسرائيلى .

٣ - السلام والشعور بالتفوق وحق الهيمنة والسيادة فى المنطقة :

إن الاعتقاد الصهيونى الإسرائيلى فى التفوق اعتقاد راسخ يستمد أصوله من عقيدة الإختيار الإلهى لبنى إسرائيل والفهم العرقى العنصرى الذى تطور حول هذا الاختيار وما نتج عنه من إيمان بالعبقرية اليهودية والتميز على بقية البشرية وليس فقط التميز على العرب . وقد أضافت الحياة اليهودية فى الغرب بعدا جديدا إلى هذا الشعور بالتميز فقد اكتسب اليهود النزعة العنصرية فى الحضارة الغربية وأضافوا بعدا جديدا إلى شعورهم الخاص بالتميز فأصبح هذا الشعور مركبا فى النفس اليهودية من عنصر تراثى يهودى وعنصر حضارى غربى يؤكد على العنصرية والتميز ويقويهما .

هذا الشعور بالتميز الإسرائيلى ليست له علاقة بالحرب أو السلام فهو شعور ثابت لايخضع للمتغيرات . ولذلك نقول إن إسرائيل لن تتغير بعد السلام فيما يتعلق بهذا الاعتقاد فى التميز بل إنها ستوظف هذا الشعور لخدمة مصالحها وسيكون دليلها فى التعامل مع العرب فى وقت السلم .

ويجب أن نشير بداية إلى أن المشروع الصهيونى فى الشرق الأوسط ينظر إليه على أنه مشروع حضارى للمنطقة فإسرائيل حاملة الحضارة الغربية هى قاعدة حضارية غربية تعمل على تحويل منطقة الشرق الأوسط من منطقة متخلفة إلى منطقة متحضرة على يد الصهيونية التى

تدعى أن فلسطين نفسها تم تحويلها إلى المدنية على يد الصهيونية بعد أن كانت أرضًا بلا شعب وبلا حضارة حسب الفهم الصهيونى . وقد تبنى بعض زعماء الصهيونية الأوائل الأيديولوجية الصهيونية من خلال هذا البعد الحضارى وذلك مثل موشى هس وغيره ممن اعتقدوا أن الصهيونية لها رسالة حضارية تقوم بأدائها فى فلسطين والشرق العربى بنقل هذه المنطقة إلى المدنية والعمل على رقيها ودخولها فى الحضارة والمدنية ولذلك فالحديث عن التميز والرسالة الحضارية حديث قديم فى الأيديولوجية الصهيونية وهو القاعدة التى لم يتخل عنها حكام إسرائيل خلال سنوات الحرب . أما بعد السلام فستكون الأرض ممهدة لكى تلعب إسرائيل هذا الدور الحضارى فى العالم العربى فالسلام سيعطيها الفرصة الحقيقية للعمل الثقافى وللتوسع الحضارى فى المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية إلى الحد الذى يمكن أن نقول معه أن الحرب أو الصراع انتقل من المجال السياسى والعسكرى فى زمن الحرب إلى المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية في زمن السلام . إن إسرائيل ستتعامل مع العرب بعد السلام من منطلق تميزها العرقى وتفوقها الحضارى وقدراتها الاقتصادية والفكرية وخبراتها العلمية والتكنولوجية ، وقاعدتها الديموقراطية حيث تدعى أنها البلد الديموقراطى الوحيد فى الشرق الأوسط . وهذا يدخل أيضًا ضمن اعتدادها بنفسها وشعورها بالتميز على جيرانها على المستوى السياسى وليس فقط فى المجالات المذكورة سابقا .

وبالإضافة إلى الشعور بالتميز فى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والعلمية والتكنولوجية فإنها تملك إمكانات الانتشار الواسع من خلال تفوقها الإعلامى والدعائى ، وامتلاكها هى والقاعدة اليهودية فى الخارج لقدرات إعلامية من خلال سيطرة على وسائل الإعلام المختلفة ستمكنها من نشر نموذجها الثقافى والعمل على تنفيذ المشروع الحضارى الصهيونى لمنطقة الشرق الأوسط . ويشعر الإسرائيليون أن العرب لايملكون هذه الإمكانات والخبرات وبالتالى لن يتمكنوا من منافسة إسرائيل على كل المستويات السابقة الذكر .

ومن خلال قراءة برنامج حزب العمل وحزب الليكود وغيرها من الأحزاب الإسرائيلية يمكن الخروج بصورة واضحة للتصور الحضارى الإسرائيلى بعد السلام والمستقبل الثقافى والاقتصادى والاجتماعى للمنطقة فى ظل السلام وفى ظل التفوق الإسرائيلى . فحزب العمل مثلا وضع برنامجه فى الانتخابات الأخيرة من خلال رؤية جديدة لشرق أوسط جديد تتحقق فيه هيمنة إسرائيلية من نوع جديد عبر عنها البرنامج على النحو التالى :

" يتطلع حزب العمل للتوصل إلى شرق أوسط جديد ... وسوق مشتركة يتوفر فيها الرى الإقليمى والسياحة والنقل وأنظمة الاتصالات والتعاون فى مجالات الثقافة والعلوم ... وسوف ينتج عن إنهاء النزاع شرق أوسط جديد . وستقوم المنطقة على علاقات التعاون فى قطاعات

اقتصادية جديدة وعلى الاتصال المتبادل فى الثقافة والعلوم والتكنولوجيا ، وعلى تحقيق مستوى معيشى أعلى ، ورفاهية المجتمعات ، وضمان مستقبل أفضل ، وفرص متنوعة واسعة للأجيال القادمة فى منطقتنا ... وهدف التفاوض هو التوصل إلى سلام شامل ودائم فى المنطقة وتدعيم الأمن الوطنى لإسرائيل ، والسماح لها بالتوسع الاقتصادى والرفاهية الاجتماعية والفردية ... يعتبر حزب العمل تحقيق السلام الإقليمى عنصراً أساسيا فى جهده لخلق شرق أوسط جديد .... وسوف يتم التركيز على العناصر الاقتصادية والأمنية لعملية السلام وعلى التعاون فى أمور مثل مصادر المياه والبيئة والثقافة والعلوم والتكنولوجيا ... وفى الإطار علقت إسرائيل أهمية كبيرة على التركيبة الاقتصادية والاستراتيجية للشرق الأوسط فى زمن السلم محاولة تشكيل حقيقة إقليمية جديدة .... بالإضافة إلى ذلك ستسعى الحكومة إلى مواصلة جهودها لإضفاء الصفة الرسمية على العلاقات فى المنطقة ... لتشجيع الاستثمار فى القطاع الخاص بالشرق الأوسط وتنمية نظام إقليمى للتجارة والسياحة " إضافة إلى ذلك فإن المقاطعة العربية ستنتهى ... " ولقد خلقت التطورات فى عملية السلام نظامًا دوليا جديدا لإسرائيل التى لها علاقات دبلوماسية مع ١٥٨ دولة سوف تحاول الحكومة تحقيق الامكانيات الواسعة لهذه العلاقات والتى يمكن أن تعود على البلاد بمنافع عظيمة وسيتم التركيزبشكل خاص على تنمية علاقات اقتصادية وتجارية دولية بين إسرائيل ودول أخرى لها اقتصاديات واسعة

مثل أمريكا الشمالية وأوروبا والشرق الأقصى . وستواصل إسرائيل بالطبع تعزيز العلاقات فى السياحة مع الدول فى مختلف أنحاء العالم ، وتقوية الروابط فى مجالات الثقافة ، والتعليم والعلوم والزراعة والتكنولوجيا والطب . وترغب إسرائيل فى أن تصبح بلداً مساهمًا بقدر أكبر من النشاط من واقع الخبرة التى جمعتها وذلك لصالح الدول النامية(٥١)" .

هذا هو برنامج حزب العمل بعد السلام . والبرنامج يشير إلى قدرة إسرائيلية على الدخول فى مرحلة جديدة من العلاقات مع شعوب العالم واعتقاد إسرائيلى فى مساهمة إسرائيلية فى تنمية العالم الثالث استناداً إلى الخبرات العلمية والتكنولوجية التى جمعتها إسرائيل . إن طموحات إسرائيل فى هذه الناحية تتجاوز حدود الشرق الأوسط ودوله إلى العالم بأكمله .

ووضح برنامج حركة ميرتيس نفس الاتجاه والإيمان الذى يسيطر على حزب العمل حيث ينص البرنامج على أنه : " مع اقتراب إسرائيل من عام ٢٠٠٠ فإنها ستواصل تحقيق خطوات مؤثرة فى الجوانب الاقتصادية والتكنولوجية والعلمية والثقافية . وتستطيع إسرائيل أن تكون قائدة بين الدول فى مجال التعليم ، وفى مستوى المعيشة ، وفى طبيعة حياة سكانها ، وفى نفس الوقت تستطيع إسرائيل أن تخلق مجتمعًا يضمن الفرص المتساوية ويصلح التصدعات الاجتماعية ، ويرسخ ديموقراطية والتزامه بالحقوق الإنسانية والمدنية "(٥٣) .

ولا شك فى أن الرؤية الشرق أوسطية التى بلورها حزب العمل بزعامة شيمون بيريز قد فتحت الطريق أمام إسرائيل للتوسع الاقتصادى من خلال الانخراط فى منظمات إقليمية وعربية توفر لها مشروعية ومصداقية على الصعيد العالمى وسيحقق مشروع الشرق أوسطية مكاسب عديدة لإسرائيل منها الاستفادة من ثروات الشرق الأوسط الطبيعية والمالية والتغلغل فى الشرق الأوسط فضلا عن الاستفادة الاقتصادية على المستوى العالمى . ولاشك فى أن هذه ستكون سياسة الليكود بعد انتهاء فترة الجمود السياسى ودخوله فى معترك المفاوضات على المسارات المختلفة .

هذا التصور الجديد لشرق أوسط جديد ولدور إسرائيلى كبير فى نشاطه مبنى أصلا على اعتقاد ضمنى فى التفوق والتميز وامتلاك الخبرة العلمية والتكنولوجية وكلها أمور تساعد إسرائيل على التوسع الاقتصادى وتحقيق الهيمنة الاقتصادية على المنطقة بالإضافة إلى التوسع الثقافى .

ونعتقد أن الليكود سيضع برنامجه الاقتصادى على نفس منوال برنامج حزب العمل وأنه رغم تحفظه لن يتنازل عن المشروع الشرق أوسطى وعن الدور الإسرائيلى فيه . إن براجماتية نيتانياهو ستدفعه إلى الأخذ بمشروع السوق الشرق أوسطية حتى لا تخسر إسرائيل المكاسب التى تم تحقيقها والتى ستتحقق لها فى المستقبل القريب . ورغم قصر

الفترة التى مارسها حزب العمل فى إطار مشروع الشرق الأوسط الجديد فقد تحققت عدة مكتسبات مهمة لإسرائيل من الصعب لليكود أو لأية حكومة إسرائيلية أخرى التنازل عنها أو إهمالها . ومن أهم هذه المكتسبات التى جنتها إسرائيل بعد توقيع إتفاقية السلام مع الفلسطينيين فى نهاية عام ١٩٩٣م ومع تبلور فكرة الشرق أوسطية :

١ - فتحت إسرائيل اقتصادها على اقتصاد العالم داخل وخارج منطقة الشرق الأوسط ، وحققت طفرة للاقتصاد الإسرائيلى وزادت من معدل النمو للناتج المحلى الإجمالى من ٣.٤٪ عام ١٩٩٣م إلى ٦.٩٪ عام ١٩٩٥م وانعكاس هذا على دخل الفرد الإسرائيلى الذى زاد من ١٣ ألف دولار عام ١٩٩٤م إلى ١٦ ألف دولار عام ١٩٩٥م، وتضاعفت الصادرات الإسرائيلية ثلاث مرات بعد عام ١٩٩٣م حيث تم تجميد برنامج المقاطعة العربية ووصلت تجارة إسرائيل إلى البلدان الآسيوية ومنها اليابان والصين وكثير من البلاد العربية والإسلامية فى آسيا وكذلك البلدان الإفريقية .

٢ - نجاح إسرائيل فى جذب رؤوس الأموال الأجنبية وتعددت أنواع الصناديق الاستثمارية فى إسرائيل ، وتم تسجيل أكثر من سبعين شركة إسرائيلية فى البورصات العالمية ، وزادت القروض الاستثمارية من أسواق المال العالمية عن خمس مليارات دولار وبسعر منخفض وبضمان الخزانة الأمريكية .

٣ - نمو القطاع الإسرائيلى أكثر من ١٢٪ وزيادة أرباحه عن ٢٠٪

مثل هذه المكاسب التى جنتها إسرائيل من فكرة الشرق أوسطية ومن السلام بعد ١٩٩٣م لايمكن التنازل عنها ولذلك سيحرص الليكود على الحفاظ على هذه المكاسب ودعمها(٥٤) .

إن فكرة الشرق أوسطية تعكس اعتقاداً إسرائيليا بالتفوق والتميز داخل منطقة الشرق الأوسط وهو اعتقاد مبنى على أسس تراثية وعلى أساس من الانتماء إلى الحضارة الغربية ولا ننسى أن فكرة الشرق أوسطية تم طرحها بواسطة الإسرائيليين من خلال برنامج بيريز وحزب العمل وبدعم أمريكى . وهذا جعل المحللين السياسيين يرون أن الشرق أوسطية تتبلور حول إسرائيل فهى نظام محوره إسرائيل وهدفه بلورة مكانة إسرائيل فى الشرق الأوسط بعد السلام فالهدف تشييد نظام إقليمى جديد تكون إسرائيل محوره أى شرق أوسط إسرائيلى أمريكى . ويركز المحللون العرب أيضًا على أن الشرق أوسطية فى ظاهرها عملية اقتصادية بينما جوهرها سياسى وأنه لابد من التركيز على أهمية العامل السياسى لا العامل الاقتصادى فى مشروع الشرق أوسطية (٥٥).ومن ناحية أخرى تشير بعض التحليلات إلى الخطورة الثقافية من خلال إعادة تشكل العقول والأفكار وذلك بالايحاء بأن المستقبل فى الشرق أوسطية وأنها تمثل مسيرة التاريخ وأنها مرتبطة بالرخاء والديموقراطية ونبذ الحروب ورفض الإرهاب . وفى النهاية فإن التقدم هو فى الانتماء إلى

الشرق أوسطية والتخلف فى تركها . إنها محاولة للسيطرة الثقافية من خلال العلاقات الدولية . والشرق أوسطية أيضًا يشرحها بعض المحللين بأنها جزء من تخطيط تاريخى . ومن هنا تحذر الدراسات من أن تكون الشرق أوسطية هى الصياغة الوحيدة للنظام الإقليمى فى المنطقة وضرورة خلق نظم إقليمية محورها عربى لا إسرائيلى والاحتياط من اتخاذ مشروع الشرق أوسطية لتفكيك النظام العربى العربى وإنهاء الحقبة العربية فى الشرق الأوسط والدخول فى الحقبة الإسرائيلية (٥٦).

إن إسرائيل تدرك أن المستقبل فى الشرق الأوسط هو للتفوق الاقتصادى والعلمى والثقافى وأن السيطرة لن تكون عن طريق الحرب إنما ستكون عن طريق الشرق أوسطية بظاهرها الاقتصادى وبعدها السياسى والثقافى . ويلاحظ إن إسرائيل لم تتخل عن تفوقها فى مجال التسليح بتشبثها ببرنامجها النووى والتفوق النوعى فى الأسلحة وإذا أضفنا إلي هذا التفوق العسكرى التفوق الاقتصادى من خلال مشروع الشرق أوسطية فإن المسيرة ستؤدى إلى أن تصبح إسرائيل القوة العظمى الوحيدة فى المنطقة والتى ستخضعها بالوضع النووى والهيمنة الاقتصادية . إن إسرائيل معنية بإعادة تنظيم منطقة الشرق الأوسط سياسيًا واقتصاديًا على حساب النظام العربى وعلى أنقاض هذا النظام ولذلك فمشروع الشرق أوسطية هدفه البعيد طمس الهوية العربية وخلق شرق أوسط جديد محوره إسرائيل .

ثالثًا : الاحتمالات المستقبلية لآثار السلام على المجتمع الإسرائيلى:

يبدو التغيير الطارئ على المجتمع الإسرائيلى والشخصية الإسرائيلية فى المرحلة الحالية فى تأثير السلام على هذه الشخصية التى جعلت من الحرب أسلوب حياة وجعلت من الشخصية الإسرائيلية شخصية تتعاطى الحرب وتتعامل معها كنوع من الإدمان وذلك على المستوى الشخصى وعلى المستوى الجماعى داخل إسرائيل . والأيديولوجية الصهيونية اعتمدت الحرب كمقوم أساسى للحياة الإسرائيلية ، وحول الحرب تدور كل أنشطة المجتمع الإسرائيلى ، وحول الحرب تتمحور الشخصية الإسرائيلية كما شكلتها الصهيونية . والآن يدخل الإسرائيليون فى مرحلة السلام مع العرب والتعامل مع السلام من جانب إسرائيل إما ، يكون تعاملا حقيقيا مخلصًا أو أن يكون تعاملا ظاهريا فيه مسايرة للضغوط الدولية وتلبية غير صادقة أو مراوغة للتوجه العالمى إلى السلام وبخاصة فى منطقة الشرق الأوسط .

وإذا كان التعامل الإسرائيلى مع السلام مراوغًا فهذا يتماشى مع السياسة الإسرائيلية الصهيونية التى عهدناها منذ نشأة الصراع ولا جديد فى هذا . أما إذا كان الموقف الإسرائيلى من السلام موقفا إيجابيا ويتم عن إخلاص حقيقى للسلام فإن هذا يتطلب بالضرورة حدوث تغيير تدريجى فى الشخصية الإسرائيلية وفى طبيعة المجتمع الإسرائيلي لكى

يتحول من مجتمع حرب إلى مجتمع سلام ، وتتحول الشخصية الإسرائيلية من شخصية محاربة وعدوانية إلى شخصية مسالمة متسامحة. فالأمر الأول يتعلق بتغيير المجتمع والأمر الثانى يتعلق بتغيير الشخصية وهما أمران حتميان فى حالة قبول السلام والإخلاص له . والمشكلة هنا هى أن إسرائيل ليست مثل غيرها من الدول التى تحيا حياة طبيعية تتعرض فيها لمشاكل سياسية قد ينتج عنها مواجهات عسكرية فتعالج هذه المشاكل المعالجة السياسية العسكرية اللازمة ثم تعود بعد زوال المشكلة إلى سابق حياتها الطبيعية . وهذا هو وضع معظم دول العالم فيما عدا إسرائيل التى نهجت فى حياتها نهجًا غير طبيعى يقوم على أساس أن الحرب هو الأصل فى الحياة وأن السلام هو الأمر الطارئ ، فالحرب هى القاعدة والسلام هو الاستثناء . وقد نظمت حياة الدولة الإسرائيلية كما شكلت حياة الأفراد على هذا الأساس وتم افتراض وجود عدو متحفز بشكل مستمر ويستعد للهجوم على إسرائيل والإسرائيلين فى أية لحظة من اللحظات ولذلك نظمت أمور الدولة على هذا الافتراض ، بل إن الدولة الإسرائيلية تعمدت إثارة المشاكل السياسية مع جيرانها والدخول فى معارك عسكرية والتسبب فيها والتحريض عليها لكى تجعل الحرب أمراً ليس طارئًا بل هو الأصل فى الحياة الإسرائيلية . وشكلت المؤسسات ووضعت النظم الإدارية فى ضوء الحرب وليس فى ضوء الحياة الطبيعية السلمية . إن مؤسسات إسرائيل المدنية مؤسسات حربية والصناعات الأساسية موجهة لخدمة الحرب ،

وأسلوب بناء الدولة وعمارتها أسلوب حربى ، وأسلوب بناء الإنسان الإسرائيلى هو أيضا الأسلوب الحربى . فالدولة تعيش الحرب فى فكرها وبنائها واستراتيجيتها القصيرة المدى والطويلة المدى على السواء . ولذلك فالأدب الذى أنتجته الدولة هو فى معظمه أدب حرب يعيش على مشاعر القتال والعداء والكراهية ويروى أخبار الحروب وذكرياتها وهو لذلك اكتسب صفة الأدب الوثائقى التقريرى الذى يسجل حياة الحرب . والعلاقات بين المواطنين علاقات عسكرية ، والدولة فى مجموعها عبارة عن مجموعة ثكنات عسكرية ومستوطنات تدار بالأسلوب العسكرى الحربى ، كما أن النظم التربوية والتعليمية فى الدولة تركز على تنمية هذا الشعور بالحرب وبالحياة فى ظل الحرب لدى تلاميذ المدارس منذ الحضانة وحتى الدكتوراه . إنها باختصار دولة حرب لا تعترف بأسلوب للحياة سوى أسلوب الحياة الحربية وتخضع كل ما هو مدنى للعسكرى .

فى مثل هذا الوضع الناتج عن فكر أيديولوجى صهيونى يصعب على الدارس الموضوعى أن يتصور حدوث تحول مفاجئ في حياة الإسرائيليين يتناسب مع التغيرات السياسية الطارئة على منطقة الشرق الأوسط ودخول المنطقة فى مرحلة سلام حقيقى . فبالنسبة للدول العربية لم تغير هذه الدول من نظام حياتها خلال سنوات الصراع العسكرى مع إسرائيل وتعاملت هذه الدول - وبخاصة دول الجوار - مع الحروب الإسرائيلية على أنها حروب مؤقتة وطارئة قد تتطلب بعض الإجراءات العسكرية فى إطار الجيوش المقاتلة ولكن ليس لها تأثير كبير على الحياة المدنية ،

وإذا حدث تأثير فـو تأثير مؤقت لا يتجاوز أيام الحروب ثم تعـود الحيـاة المدنيـة إلى طبيعتـها بعد نهاية الحرب مباشرة . وينطبق هذا أيضـا على الفلسطينيين الذين رغم كـونهم المسـتـهدفين فى كل حـروب إسرائيل لم تأخذ حياتهم فى ظل الاحتلال شكل الحياة العسكرية الخالصة بل عاشوا حاتهم الطبيعية وتعـاملوا مع الحروب التعـامل الطبيعى وإن كـان ذلك بصفة يومية كما حدث فى أيام الانتفاضة .

إن تحـول إسـرائيل مـن حيـاة الحـرب إلى حيـاة المدنيـة فـيـه تـنازل أيديولوجى كبير من جانبها . إنه يمثل إسقاط لمبدأ صهيونى ظل محورا أساسيا للحياة اليهودية والإسرائيلية منذ نهاية القرن التاسع عشر ومع تدشين الحركة الصـهيـونية فى شكلها السـياسى العسكرى . ويتطلب التنازل عن فكرة الحرب كفكرة أيديولوجية التخلص من مبدأ صهيونى آخر هو مـبدأ العنف الذى ارتبط بالأيديولوجيـة الصـهيـونيـة ارتباطا عـضـويا . فـالحرب والعنف مظهـران أسـاسـيـان من مظاهر القـوة التى التزمت بها العـسكرية الإسرائيلية وجعلتها الأساس فى التعـامل مع العرب . والقوة تعنى بالنسبة للإسرائيليين التفوق فى المجال العسكرى ، واللجوء إلى الحرب كوسيلة لإظهار القوة وفرضها ، واللجوء أيضا إلى العدوان فـالقوة تعنى القوة العدوانية والاعتـماد دائمًا على الهـجوم ، واللجوء إلى الحرب الوقائية ، والتعامل مع العدو بالعنف اللازم لإبراز القوة . وكل هذه مفاهيم وضـعتـها العـسكرية الإسرائيلية فى منظومة واحدة كـونت الأيديولوجيـة العـسكرية الإسـرائيليـة المسـتـمـدة من الأيديولوجية الصهيونية .

ولم تتضح بعد الصورة التى سيكون عليها الموقف الإسرائيلى من السلام فيما يتعلق بمستقبل مفاهيم القوة والحرب والعنف ولا نتصور أن يكون التغيير هنا جذريا خاصة بعد أن أصبح العنف سمة أساسية من سمات الشخصية الإسرائيلية فضلا عن كونه إحدى خصائص المجتمع الإسرائيلى . وبالتالى فستبحث إسرائيل عن بدائل للقوة والحرب والعنف إما باعادة توظيف هذه المبادئ لخدمة أهداف أخرى بالنظر إلى هذه القوة على أنها طاقة يمكن أن تستخدم فى وقت السلم كما استخدمت فى وقت الحرب ويتطلب هذا خلق إنسان إسرائيلى جديد ، أو إعادة توعية الأجيال الحالية وتوجيه نشاطها العدوانى إلى مجالات جديدة . وقد يتبلور هذا فى إقامة الأنشطة الإسرائيلية مع العرب بعد السلام على أساس من تحقيق مبدأ السيادة للإسرائيليين وبخاصة فى المجالات الاقتصادية والفكرية فتعمل إسرائيل من منطلق القوة وتعتبر نشاطها الجديد مجالا جديداً لممارسة القوة والحرب والعنف . ففى المجال الاقتصادى مثلا يمكن أن تميل إسرائيل بالفطرة إلى الحرب الاقتصادية بينها وبين العرب وبدلا من التعاون الاقتصادى البناء تتحول بطبيعتها العدوانية إلى المنافسة الاقتصادية المدمرة للآخر والمحققة للقوة على حساب الاقتصاد العربى . وقد يتحول التعاون الصناعى والزراعى إلى مجال لممارسة الأنشطة التخريبية التى تؤدى إلى تخلف الصناعات العربية والزراعة وتحول المنطقة إلى سوق كبير للانتاج الصناعى والزراعى الإسرائيلى . وفى المجال الفكرى الفرصة متاحة لإسرائيل

لكى تفسد الذوق الفكرى العام لدى العرب وتحقق غزوا ثقافيا ممكنا بقاعدتها الغربية وبما يتوفر لديها من إطار أو نسق للقيم مضاد تماما للقيم العربية والإسلامية . ويكفى فى هذا المجال السماح للبث التليفزيونى الإسرائيلى بتغطية العالم العربى والسماح للفكر اليهودى والإسرائيلى باختراق الثقافة العربية من خلال التطبيع الثقافى الذى يحتاج إلي درجة كبيرة من الوعى واليقظة العربية وهى ليست متوفرة فى الوقت الحالى ولم يتم الاستعداد لها عربيا على أى مستوى من المستويات .

كل هذه مجالات من الممكن أن تمثل بدائل لممارسة العدوانية الإسرائيلية وتحقيق مبدأ القوة ونقلها من مجال الحرب إلى مجال السلم لتستمر فى الوجود كمبدأ أيديولوجى ثابت من ناحية وتستجيب للطبيعة الإسرائيلية القائمة على العنف والعدوان من ناحية أخرى .

ومن الناحية النظرية والعلمية نعتقد أن الأيديولوجية الإسرائيلية القائمة على مبادئ القوة والعنف والحرب قد لاتتغير بعد السلام محافظة على هذه المبادئ كأسس استراتيجية فى التعامل مع العرب وتظل موجودة فى الخلفية لحين الاستخدام فى حالة فشل عمليات السلام ، أو حدوث أى تغير فى المواقف ينتج عن أى تغير فى الأوضاع السياسية سواء داخل إسرائيل أو فى العالم العربى . وسيظل السلام موضعا للاختبار يخضع للظروف والمتغيرات الدولية والإقليمية والمحلية أو القطرية .

١ - رؤية المجتمع الإسرائيلي للسلام :

ينقسم المجتمع الإسرائيلى فى الوقت الحالى فى موقفه من السلام إلى ثلاثة أقسام :

أ - قسم يرى إمكانية الوصول إلى سلام حقيقى ينتقل بإسرائيل من حياة الحرب غير الطبيعية إلى الحياة الطبيعية . وهذا القسم يضم المنادين بالسلام مثل « حركة السلام الآن » وغيرها كما يضم الحكومة الإسرائيلية والرأى العام المؤيد لها فى مسيرتها السلمية . وهذا القسم قوة لايستهان بها وتعبر عن الالتزام الرسمى بالخطوات التى تمت وبالسياسات السلمية التى سيتم تطبيقها لإكمال المسيرة السلمية . ومع هذا القسم المؤيد للسلام والمنفذ لإجراءاته على المستوى الرسمى والشعبى لا نتوقع تنازلا عن مبادئ القوة والحرب والعنف أو إبطالا لمفعول هذه المبادئ . فستظل هذه المبادئ موجودة كأساس للتعامل فى حالة فشل السلام من ناحية وكعوامل ضرورية لتحقيق سياسة الهيمنة على المستويات السياسية والعسكرية وهى سياسة لن تتنازل عنها إسرائيل رغم اندماجها فى عمليات السلام وانخراطها فى المفاوضات .

ب - أما القسم الثانى من المجتمع الإسرائيلى فهو ينظر إلى السلام مع العرب على أنه مجرد هدنة ، ويعتبر التطبيع مجرد مرحلة لالتقاط الأنفاس وسيعود بعدها الوضع مع العرب إلى حالة الحرب . والهدنة

تعنى مراجعة حسابات القوة والضعف ، واتخاذ خطوات الاستعداد اللازمة للمواجهة الجديدة والتدريب على السياسات العسكرية وتطوير الاستراتيجيات العسكرية بما يناسب المرحلة . ولن تتوقف الآلة العسكرية الإسرائيلية فى مجال الانتاج العسكرى بل ستستمر وربما تضاعف من انتاجها لتأمين الاحتياجات العسكرية الإسرائيلية وتطوير صناعة الأسلحة وتحديثها ، والتوسع فى مجال بيع الأسلحة وتسوقها . وربما يؤدى السلام مع العرب إلى فتح الأسواق العربية أمام السلاح الإسرائيلى كنوع من التعاون العسكرى الذى سيمليه التطبيع أو كنتيجة من نتائج الهرولة العربية إلى التطبيع مع إسرائيل والاستفادة من خبراتها فى مجال التسليح والتدريب العسكرى وكمصدر لبيع السلاح فى السوق العربية التى لن تستغنى عن السلاح لتعدد مشاكلها وقضاياها السياسية والعسكرية . فالحقيقة أن إسرائيل لم تكن تمثل سوى جبهة واحدة من عدة جبهات فى حالة بعض الدول العربية . وفى حالة بعض الدول العربية الأخرى لم تكن إسرائيل تمثل جبهة عسكرية مضادة إنما كانت ولاتزال مشاكلها العسكرية مع بلاد عربية مجاورة . ونضرب مثالا بمشاكل الحدود بين الدول العربية أدت إلى وقوع عدة حروب قوية منها حرب الخليج والتى سببها مشكلة الحدود بين العراق والكويت وحرب اليمن الأخيرة ونزاعات اليمن مع المملكة العربية السعودية وسلطنة عُمان ، والنزاعات على الحدود بين دول مجلس التعاون الخليجى ، والنزاع

الأخيـر بين اليـمن وارتريا ، والنزاع بين إيران والإمـارات ، وبين السودان ومصر ، وبين السودان وعدة دول إفريقية مجاورة هذا فضلا عن الحروب الداخلية العديدة مثل حروب الأقليات الكردية فى العراق وسوريا وتركيا ، والحروب الداخلية فى الصومال والحرب اليمنية الأخيـرة والنزاعـات الداخليـة فى لبنان ... كل هذه الحـروب والصراعات العسكرية ستجعل الحاجة إلى السلاح مستمرة . وتعتبر إسرائيل بعد السلام مصدراً للسلاح يغذى المنطقة بأكملها وربما مصدراً للخبرة العسكرية يستعان بها فى إدارة الحروب الداخلية وتوجيه النزاعات الداخلية . وفى ظل الهرولة واللاوعى ستصبح إسرائيل شريكة بخبرتها وإنتاجها العسكرى فى كل النزاعات المنطقة الداخلية .

إن السلام كهدنة مبدأ تستفيد منه إسرائيل لاختبار السلام من ناحية ولاستمرار أيديولوجيتها المبنية على القوة والعنف والحرب من ناحية أخرى . وليس بالضرورة أن تدخل إسرائيل فى حروب جديدة ولكنها بالضرورة ستشترك بقوة فى صنع السياسات العسكرية فى المنطقة من منطلق الشريك والخبير والمنتج للسلاح الذى تحتاجه المنطقة . وستحرص إسرائيل كما سيحرص الغرب عموما على ضرورة وجود عدو للمنطقة يتمثل فى العراق بالأمس واليوم ويتمثل فى إيران ، كما يتمثل فى « الأصولية » إلى غير ذلك من نماذج للعدو الذى يجب أن يكون موجودا وبصفة مستمرة حتى لا تركن

المنطقة إلى الهدوء والسلام فتستغنى عن الغرب وإسرائيل مابعد السلام ، وحتى لا تتوقف الآلة العسكرية عن الانتاج والتدريب وبيع السلاح للأسواق المتعطشة إليه عربية كانت أو غير عربية .

جـ - أما القسم الثالث من المجتمع الإسرائيلى فموقفه واضح وهو رفض السلام . ويمثل هذا القسم اليمين المتطرف داخل إسرائيل ويغذيه اليمين المتطرف من يهود العالم . وبالنسبة لهذا القسم التمسك بالقوة والحروب والعنف أمور بديهية تستند فى مواجهة العرب إلى كراهية متأصلة للعرب واعتقاد متشدد فى العنصرية والتميز . وهو قسم لا يقبل الضغوط السياسية الداخلية أو الخارجية ولا يتفاعل معها ولديه استعداد للجوء إلى العنف داخليًا كما يحدث فى التعامل مع العرب في المستوطنات والمدن العربية المحتلة . وقد أصبح اليمين المتطرف دولة داخل الدولة ترفض سياسات الدولة الخاصة بالسلام ، وتضع العقبات فى طريقها ، وترفض إخلاء المستوطنات وتلجأ إلى العنف والقوة فى سياستها ، وعنفها موجه أساسا للعرب وفى المرحلة الأخيرة بدأ يوجه ضد الحكومة الإسرائيلية ذاتها واخذ ذروته فى اغتيال رابين والتهديد باغتيال زعامات إسرائيلية أخرى .

ولا شك فى أن القاسم المشترك بين هذه الأقسام الثلاثة داخل المجتمع الإسرائيلى هو التمسك بمبادئ القوة والحرب والعنف مع توظيف مختلف لهذه المبادئ يتناسب مع موقف وتوجهات كل قسم تجاه السلام مع

العـرب ومع عـدم التـخلى عن هذه المبـادئ باعـتـبـارها من أسس الاستراتيجية الإسرائيلية مهما تغيرت الظروف .

٢ - الموقف من السلام وهل يهدد وحدة إسرائيل فى المستقبل ؟

يختلف الموقف من السلام حسب اختلاف الخلفيات السياسية والدينية داخل المجتـمع الإسـرائيلى . وعلى وجه العـمـوم يمكن تقـسيم المجتـمع الإسرائيلى إلى مجموعتين متميزتين لكل منها موقف محدد من السلام . المجموعـة الأولى هى مجمـوعـة اليـمين المتطرف بما فيـه اليـمين الدينى المتطرف والمجموعـة الثانيـة هى مجموعة اليسار بما فيـها حزب العـمل وكتلة ميريتس .

ومجموعة اليمين المتطرف لا يهمها السلام فى حد ذاته كمفهوم وذلك لأن البنيـة الدينيـة والسـيـاسـيـة لهذه المجـمـوعة بنيـة صـهـيـونيـة قـوية وأهدافها توسعية قائمة فى معظم الأحوال على المفهوم التوراتى التراثى لأرض إسرائيل ، ولذلك فهى تتبنى الأيديولوجية الصهيونيـة التوسعية ولا تعطى اعتباراً للآخر فهى تتوسع على حسابه وهدفها استئصاله تماما من فلسطين ومن الحـدودالتـوراتيـة لأرض إسـرائيل حـسب التـعـبـيـرات المستخدمة .

ونظراً لأن الانتـخابات الإسرائيليـة الأخيـرة شـهـدت ظاهرة غلبة نزعـة التـصـويت وفق الاتجاهات الأيديولوجيـة والفكرية على نزعـة التـصـويت الشـخصـى فإن الذين اختـاروا نيـتانيـاهو اختـاروه لرؤية سياسيـة مضـادة

لاتفاقيات السلام ومضادة لسياسة حزب العمل وميريتس المعروف بعدائه للمتدينين . وقد أصبح على نيتانياهو أن يتبنى سياسة ترضى المتدينين الذين ساندوه . ومن أهم مظاهر هذه السياسة إبراز الهوية الدينية للدولة، وكذلك اتخاذ خط معادٍ للسلام ومساراته المختلفة لهذا السبب أتت تصريحات نيتانياهو حتى الآن تصريحات معادية للسلام بل هى بمثابة إعلان حرب على الفلسطينيين وعلى العالم العربى وهى اللاءات الثلاث المعروفة لا للدولة الفلسطينية ، ولا لتقسيم القدس ولا للانسحاب من الجولان والمستوطنات . وكان من الواضح أن الهدف الرئيسى من هذه التصريحات إعلان سياسة مضادة تمامًا لسياسة الحكومة السابقة وعدم الاعتراف بالاتفاقات التى تمت بينها وبين العرب والعودة بالمنطقة إلى فترة ما قبل المفاوضات وتصفية العملية السلمية . وهكذا يتضح أن المعسكر الدينى القومى هو صاحب التأثير السلبى على عملية السلام ، وحجم هذا المعسكر كبير وأضخم بكثير من نسبة تمثيله فى الكنيست ، وسيشاهد الكنيست عهداً جديداً يزخر بالنشاط الدينى والسيطرة على قطاعات حكومية متعددة وإخراج اليساريين من العديد من القطاعات التى سيطروا عليها زمن حزب العمل . وسيبرز الوجه الدينى للدولة بشكل لم يحدث من قبل وبخاصة بعد سيادة للتيار المعادى للدين فى ظل تعاون العمل مع كتلة ميرتيس . إن انتصار نتيانياهو هو تغلب وجهة النظر الدينية القومية الشرقية (فى معظمها) على وجهة النظر الليبرالية الأشكنازية (فى معظمها) ولذلك ينظر إلى

نتيجة الانتخابات الأخيرة على أنها انقلاب اجتماعى ودينى فى نفس الوقت إضافة إلى أنها انقلاب سياسى .

تمر الشخصية الإسرائيلية فى الوقت الحالى وبعد السلام مع العرب بأزمة يمكن أن نعتبرها جزءاً من أزمة هوية لأن إسرائيل إذا أخذت السلام مأخذ الجد وسارت فيه إلى نهايته وأخلصت له فإنها بذلك تجرى تغييراً جذريا لعقليتها وتحاول أن تصبح عقلية إسرائيلية جديدة تتواكب مع طبيعة المرحلة القادمة .

وبداية يبدو أن السلام قد أدى إلى حدوث انقسام ظاهر داخل المجتمع الإسرائيلى بين مؤيدى السلام مع العرب والذين يرفضون الدخول فى سلام مع العرب . وقد أصبح هذا الانقسام أكثر حدة بعد حادث اغتيال رابين الذى يشير إلى أن اليمين الرافض للسلام مستعد للدخول فى مرحلة من العنف الداخلى لكى يفرض رؤيته الرافضة للسلام على المجتمع الإسرائيلى .

ومن ناحية يبدو أن إسرائيل مابعد اغتيال رابين بدأت تأخذ مساراً مختلفًا عن إسرائيل قبل اغتيال رابين . فالظاهر أن حادثة الاغتيال قد تعتبر فاصلا بين عصرين فى التاريخ الإسرائيلى المعاصر . فهى من ناحية تشير إلى ظهور قوة جديدة داخل المجتمع الإسرائيلى لم تؤخذ فى الحسبان من الجانب الإسرائيلى الحاكم وهى قوة اليمين المتشدد الذى يتصف بالعنف والعدوانية ليس فقط فى علاقته بالعرب وهو أمر

معروف ولكن أيضًا بالنسبة لسياسته الداخلية فى إسرائيل حيث يبدى هذا اليمين المتطرف استعداداً واضحًا للدخول فى صراع سياسى داخلى مسلح من أجل تنفيذ سياسته . واغتيال رابين يمثل أول بادرة لجوء إلى القوة لتصفية صراع داخلى بين المتشددين الرافضين للسلام من داخل المجتمع الإسرائيلى وبين التى بدأت تخطو تجاه السلام مع العرب . هذه القوة المتطرفة النامية داخل المجتمع الإسرائيلى ستصبح فى المستقبل مصدر تهديد للداعين إلى السلام سواء من الإسرائيليين أو من العرب وستستطيع استقطاب كل الجماعات الرافضة للسلام مع العرب وتكوين جبهة داخلية مضادة للحكومة الإسرائيلية . وينبئ هذا الوضع الجديد بإمكانية تطور صراع داخلى مؤثر على مسيرة المفاوضات السلمية . وربما يؤدى تنامى هذا الصراع إلى تغيير فى الأوضاع السياسية ليس فى صالح السلام مع العرب وبخاصة إذا تحالف اليمين اليهودى المتطرف فى الداخل مع اليمين اليهودى المتطرف فى الخارج والذى يدعم التطرف الداخلى ويحرضه على تسبيب مضايقات للحكومة الإسرائيلية .

ومن الواضح أن مثل هذا الدعم اليهودى الخارجى لليمين المتطرف فى الداخل قد يؤدى إلى انشقاق بين يهود الداخل ويهود الخارج أو لنكون أكثر دقة قد يؤدى إلى انقسام بين السائرين فى طريق السلام فى الداخل حكومة وشعبًا وبين يهود الخارج المؤيدين لليمين المتطرف للسلام . وربما يكون هذا هو أيضًا أول صراع قوى ينشب بين الداخل والخارج منذ قيام إسرائيل ومحاولتها الاستقلال عن المنظمة الصهيونية العالمية وما أثاره

ذلك من مشاكل حول علاقة يهودالخارج بإسرائيل وقضية الهوية الإسرائيلية والهوية اليهودية ، ودور الصهيونية بعد قيام إسرائيل وهل انتهى هذا الدور وما نتج عن ذلك من إعادة تنظيم العلاقة بين إسرائيل والمنظمات الصهيونية على أساس من الاستقلال التام للدولة وفتح مجالات للتعاون بينها وبين المنظمات الصهيونية فى الخارج .

إن تدخل اليمين اليهودى المتطرف فى الخارج مثل دائمًا مشكلة داخلية بالنسبة لإسرائيل . فقد تصرف اليمين اليهودى المتطرف فى الخارج بشكل أثار حفيظة الحكومات الإسرائيلية . ونذكر أن الحاخام مائير كهانا قبل مقتله كان مصدر إزعاج دائم للسلطات الإسرائيلية لأنه مارس الإرهاب ضد الفلسطينيين والعرب بشكل مستقل عن سيادة الدولة ، وكان الأب الروحى للتطرف داخل إسرائيل وخارجها فهو مؤسس اليمين المتطرف فى الخارج وبالذات فى الولايات المتحدة الأمريكية . وفى نفس الوقت شجع التطرف والإرهاب ضد العرب فى الداخل بعد إقامته فى إسرائيل ، وأصبح ممولاً ومخططًا للعديد من العمليات الإرهابية الخاصة ضد العرب وأحيانًا كثيرة بشكل مستقل وبدون تنسيق مع الحكومة الإسرائيلية . ومما لاشك فيه أن مقتل كهانا أدى إلى زيادة حدة التطرف والعنف لدى اليمين المتطرف فى الداخل والخارج ويشهد على ذلك قوة وعنف العمليات الإرهابية التى قامت بعد مقتله .

وربما يكون من النتائج الإيجابية لظهور اليمين المتطرف بقوة على مسرح السياسة الإسرائيلية تكّون جبهة داخلية فى إسرائيل ضد التطرف

الذى يبديه اليمين ويستخدمه لممارسة الضغوط على الحكومات الإسرائيلية وبخاصة عندما يتحول التطرف إلى قوة مضادة للدولة ومهددة للحكومة ، وحادثة اغتيال رابين والتهديد باغتيال بيريز هى بمثابة مؤشرات إلى بداية اتخاذ اجراءات مشددة من الحكومة الإسرائيلية ضد اليمين المتطرف اتخذت مظهراً واضحا فى القبض على العديد من الأعضاء المنتمين إلى اليمين المتطرف والتحقيق معهم ومحاولة نزع سلاحهم ، وفرض رقابة الجيش عليهم ، ومنع اتصالهم بيهود الخارج المؤيدين لهم ، ورفض دخول يهود من الخارج ينتمون إلى اليمين المتطرف إلى إسرائيل .

وبالإضافة إلى هذا الموقف الحكومى الذى تبلور بعد اغتيال رابين هناك بالتأكيد موقف شعبى مواز للموقف الحكومى ويؤيده ويتكون من المؤيدين للسلام من ناحية والرافضين لنشوب صراع داخلى فى المجتمع الإسرائيلى بين أنصار السلام والحكومة وبين الرافضين للسلام والانسحاب من الأراضى العربي المحتلة والرافضين إخلاء المستوطنات فى الضفة الغربية والجولان .

ونعتبر هذه النتائج إيجابية لأنها خلقت صراعًا داخليًا عنيفًا اعتمد العنف كوسيلة لتنفيذ السياسات ولجأ إلى تصفية الزعامات السياسية التى اختارت طريق السلام مع العرب وهو صراع لايزال فى أوله ولا يمكن الحكم على الدور الذى سيلعبه بعد فى الحياة الإسرائيلية رغم حدة بداية

الصراع ممثلة فى اغتيال رابين . ورغم أن هذا الاتجاه مضاد للسلام ويضع العقبات فى طريقه فإن الصدع الذى يحدثه داخل إسرائيل فى غاية الأهمية . فمفاوضات السلام ستسير فى طريقها ولا يخشى عليها من تأثير اليمين المتطرف لأن السلام ومفاوضاته تحكمه السياسة الدولية والضغوط الخارجية التى تمارسها القوى الكبرى على شعوب وحكومات المنطقة للوصول إلى حل سلمى مفروض بما يلزم أطراف النزاع من ضرورة الإخلاص للسلام كحل نهائى والتوجه بالمنطقة عمومًا إلى مرحلة جديدة فى تاريخها ، وتوجيه الأطراف المعنية إلى ضرورة قبول بعض التنازلات والدخول بالمنطقة إلى عصر تطبيع العلاقات مع إسرائيل بإنها حالة الحرب وبداية مرحلة العلاقات الطبيعية على المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية . هذا الثقل الدولى والالتزام السياسى لجميع الأطراف فى المنطقة وخارجها سيؤدى بمسيرة المفاوضات إلى تطبيع العلاقات بصرف النظر عن مواقف اليمين المتشدد سواء فى إسرائيل أو فى العالم العربى والإسلامى . وفى إسرائيل بدأت المواجهة مع اليمين اليهودى المتشدد فى الداخل والخارج . وعلى المستوى الفلسطينى ظهرت مبادرات للتقارب بين منظمة التحرير وحركة حماس وعلى المستوى السورى يتم التوجه أيضًا إلى السلام على حساب العلاقات مع إيران الموجهة لليمين المتطرف ممثلا فى حزب الله والذى سيعنى مستقبلا وضع القيود السورية على حركة حزب الله والتحجيم من سياستها وعملياتها ضد إسرائيل .

هذه الأمور توحى جميعها بأن اليمين المتطرف سيتم التحكم فيه بالوسائل المختلفة التى يراها كل طرف من أطراف النزاع أو التى يراها الأطراف مجتمعين . وتبقى حقيقة أساسية وهى الصدع الذى سيحدثه اليمين المتطرف الإسرائيلى داخل إسرائيل والمواجهة الناشئة بين الحكومة الإسرائيلية ونسبة كبيرة من مواطنيها وبين اليمين المتطرف وبخاصة إذا قوى الدعم اليهودى الخارجي للتطرف الداخلى بما يؤدى إلى اتخاذ الصراع بينهما شكلا داخليًا وخارجيا يحدث انشقاقًا داخليًا وخارجيًا فى آن واحد ويساعد على تفتيت المجتمع الإسرائيلى من الداخل وزيادة حدة مشاكله السياسية والاجتماعية .

ومن نتائج السلام التى تجعل الحرب مهمة فى الاستراتيجية الإسرائيلية أن السلام إذا أخذه الإسرائيليون مأخذ الجد سيؤدى إلى تفجير القضايا والمشاكل الداخلية فى إسرائيل والتى كانت الحرب إحدى وسائل إسرائيل للتغطية عليها ، والتوجه بالعنف الإسرائيلى إلى الخارج بدلا من تفريغ شحنته فى الداخل . فالمجتمع الإسرائيلي يقوم على أساس من عدة متناقضات اجتماعية فى بنيته . فهو مجتمع شتات لم تتمكن الصهيونية من القضاء على مشاكله الداخلية والتى تعود إلى اختلاف بيئات الإسرائيليين وخلفياتهم الاجتماعية والفكرية والدينية والتى لم تفلح الصهيونية فى خلق وحدة واحدة منها فظل المجتمع رغم قوته العسكرية ضعيفًا فى بنيته الداخلية لتعدد الأيديولوجيات والخلفيات الاجتماعية والاقتصادية وتعدد المذاهب الدينية والفكرية .

وكانت الحرب وسيلة أساسية لتوحيد هذا الشتات الاجتماعى الفكرى حول هدف واحد وهو مواجهة الخطر الخارجى . وكانت الحروب وسيلة لعلاج المشاكل الداخلية بإبعاد الأنظار عنها والتركيز على العدو . ومعظم حروب إسرائيل مع العرب اصطنعتها إسرائيل وخلقتها لتوحد الإسرائيليين حولها .

والآن بعد السلام ستظهر مشاكل المجتمع الإسرائيلى الحقيقية وتبدأ مرحلة من الصدام الداخلى والصراع الطبقى بين فئات المجتمع اليهودية حيث يبرز الصراع بين الأشكناز والسفارديم أو يهود الغرب والشرق وكذلك الصراع بينهم وبين اليهود العرب وصراع آخر على مستوى الأقليات المسلمة والمسيحية من الفلسطينيين والذين يسمون بعرب إسرائيل والذين يقعون فى أدنى السلم الاجتماعى فى إسرائيل ولهم مشاكلهم الخاصة مع المجتمع الإسرائيلى . وتعدد أشكال الصراع الداخلى فى إسرائيل بين صراعات دينية وعرقية وصراعات أيديولوجية وثقافية وكانت الحرب وسيلة ناجحة لكبت هذه الصراعات الداخلية وتوحيد الجبهة الداخلية ضد العدو الخارجى .

٣ - السلام وتغيير العقلية الإسرائيلية :

بعد هذا العرض السابق للتغييرات الطارئة على الشخصية الإسرائيلية والمجتمع الإسرائيلى يمكن أن نطرح هذا الافتراض النظرى وهو : هل يمكن أن يؤدى السلام إلى تغيير فى العقلية الإسرائيلية ؟ وقبل أن نجيب لابد من تحديد مواصفات هذه العقلية الإسرائيلية وظروف

تكوينها لنرى إن كان من الممكن لها أن تتغير فى ظل ظروف علاقاتها بجيرانها من الحرب إلى السلام . وهل من الممكن للسلام أن يكون حقيقيا بحيث يؤدى إلى تغيير فى العقلية الإسرائيلية وهل العقلية الإسرائيلية قابلة للتغيير تحت أى ظرف من الظروف .

وعلى الرغم من أن الصفحات السابقة تعرضت لبعض هذه الأمور نقدم هنا الإجابة فى شكل أكثر تركيزاً وإيجازاً فنبدأ بتحديد مواصفات العقلية الإسرائيلية .

ويمكن بايجاز وصف الشخصية الإسرائيلية بأنها شخصية معقدة فى بنيتها لأنها جمعت عناصر مستمدة من عدة مصادر تراثية بالنسبة للتكوين الشخصى للإسرائيليين . فهناك صفات إسرائيلية مكتسبة من العقيدة اليهودية ، وهناك صفات مكتسبة من الحضارة الغربية بالإضافة إلى صفات تطورت خلال المرحلة الإسرائيلية ويمكن وصفها بأنها صفات إسرائيلية . ويلاحظ أن هذه المصادر متشعبة ولا يمثل كل مصدر منها وحدة واحدة ، فالعقيدة اليهودية ليست واحدة ولكنها مقسمة إلى عدة فرق مختلفة عقديًا ، كما أن الصهيونية موزعة ما بين ثقافة أوروبا الغربية وثقافة أوروبا الشرقية والثقافة الأمريكية فى قارة أمريكا اللاتينية ، وأخيراً الثقافة الإسرائيلية ليست واحدة بل هى مستودع لكل هذه الانقسامات والتشعبات على مستوى العقيدة والصهيونية والحضارة الغربية .

ومن خلال هذه المصادر التراثية لتكوين الشخصية الإسرائيلية اختلطت فى هذه الشخصية عدة صفات متناقضة يمكن أن نلخصها فى أن الشخصية الإسرائيلية شخصية يهودية غربية عنصرية استعلائية عدوانية انعزالية عقلانية علمانية إلحادية وأيضا شخصية متطرفة فى تدينها إذا لم تكن علمانية ، وهى أيضا شخصية يغلب عليها الغرور والصلف والشعور بالتميز والتفوق ، كما أنها شخصية غير سوية فى معظم الأحوال ومعقدة نفسيا لأسباب تعود إلى طبيعة الديانة وإلى أحداث التاريخ اليهودى .

لقد عاشت الشخصية الإسرائيلية بهذه الصفات الموروثة ويمكن القول بأن الشخصية اليهودية على وجه العموم عاشت بهذه المواصفات فى عصور أزماتها السياسية وأيضا فى عصور السلام التى مرت بها ولا نتوقع أن يحدث تغير فى موقف الشخصية الإسرائيلية بسبب السلام مع العرب فستظل هذه الشخصية محتفظة بصفاتها الأساسية غير القابلة للتغيير . فالصفات المستمدة من العقيدة يصعب تغييرها رغم اعترافنا بأن اليهودية ديانة تاريخية خاضعة للتطور التاريخى وتتكيف مع العصور التاريخية المختلفة . فالصفة الدينية المبنية على خصوصية الاعتقاد المبنى على خصوصية الإله وخصوصية الشعب لن تتغير ، كما أن الصفة العنصرية الاستعلائية الانعزالية فى الشخصية اليهودية والإسرائيلية موروثة عن الفهم القومى العرقى للدين بما ولده من شعور بالتميز الدينى الذى انقلب إلى تميز عنصرى واستعلاء جنسى وبالتالى

انعزال اختيارى عن بقية البشر . وقد أدى الاندماج فى الحضارة الغربية الحديثة إلى التأكيد على التميز فى شكله الحضارى فاكتسب اليهودى والإسرائيلى الصفات الحضارية للرجل الأبيض . فاجتمعت فى اليهودى والإسرائيلى الغربى صفات عنصرية مستمدة من الدين أكدت عليها صفات عنصرية مستمدة من حضارة الغرب فبرزت صفات التميز والاستعلاء ومشاعر التفوق والعبقرية . وقد أضافت الحضارة الغربية بعض الصفات غير الدينية التى أدت إلى تناقض الشخصية اليهودية والإسرائيلية والتى انقلبت من شخصية دينية إلى شخصية علمانية عقلانية إلحادية بتأثير من الثقافة اللادينية للغرب . فالعلمانية التى أخذ بها اليهود علمانيةعقلانية أدت إلى هجر اليهودية التى لم تقو على مواجهة النقد العقلى الخالص فوقع اليهودى والإسرائيلى المعاصر فى الإلحاد الناتج عن العلمانية والعقلانية المنفصلة عن الدين . والبقية التى تمسكت بالدين ولم تهجره غرقت فى التشدد والتزمت والتطرف الدينى وما يولده من إرهاب وعنف . وفضلا عن هذا اكتسبت الشخصية الإسرائيلية - دينية أو غير دينية - بعض الصفات التى تركتها أزمات التاريخ اليهودى العام على الشخصية اليهودية . وهذه الصفات فى مجموعها تكّون شخصية غير سوية فالشخصية اليهودية والإسرائيلية لاتعرف الاعتدال فى حياتها . فهى تجمع بين الشعور بالتميز والاستعلاء والتفوق والعبقرية فى نفس الوقت الذى تشعر فيه بالضعف والذلة والمهانة واحتقار الذات وكراهية النفس . وهى تجمع أيضا بين

الشعور الشديد بالضعف والشعور بالقوة الخارقة المولدة لمشاعر الغرور والصلف . وهى شخصية وقعت فى تاريخها تحت كل أصناف الاضطهاد التى ولدت مشاعر الاستكانة والمذلة والشعور بالضعف والعزلة والكراهية والحقد ، وعندما أتيحت لها فرصة السيطرة على الآخرين مارست معهم كل أشكال الغطرسة والانتقام والغرور ومشاعر القوة . ويغلب على الشخصية اليهودية والإسرائيلية مشاعر الاغتراب والوحدة والتشاؤم والعزلة والعداء للآخرين وكراهية الأجنبى .

هذه أهم مقومات الشخصية الإسرائيلية والتى كانت من قبل ولا تزال هى مقومات الشخصية اليهودية عمومًا ، وربما زاد عليها ما اكتسبه الإسرائيلى من صفات خاصة بعد قيام الدولة ميزته قليلا عن يهود الخارج . وعمومًا فالشخصية الإسرائيلية معقدة نفسيا وجمعت فى ذاتها صفات متناقضة موروثة عن ماضى التاريخ اليهودى ولايمكن للسلام مع العرب أن يغيرها . ونتوقع أن ما سيحدث هو نوع من التكيف السياسى مع أوضاع السلام بدون حدوث تغيير جذرى فى الشخصية الإسرائيلية .

إن العامل الأساسى فى حدوث التغيير هو خروج الإسرائيلى على عزلته التقليدية الموروثة ، وفتح أبواب الجيتو الإسرائيلى، والاندماج فى بيئة الشرق الأوسط وهى بيئة عربية شرقية مغايرة تمامًا لبيئة الإسرائيلى الغربية ولعقلية الجيتو التى عاش بها الإسرائيلى داخل إسرائيل . فالصهيونية خلصت اليهودى من حياة الجيتو الصغير لتبنى له جيتو

كبيراً فى شكل دولة عزل الإسرائيلى نفسه داخلها ولم يحاول الخروج عليها والاختلاط بالبيئة الكبرى المحيطة به .وسيظل مفعول السلام الحالى باطلا إذا لم ينجح السلام فى إخراج الإسرائيلى من حارته الكبرى إسرائيل التى أنشأتها له الصهيونية . وهى حارة قابلة للتوسع ولكنها ليست قابلة للاندماج فى بيئتها ، وبمفهوم الحارة اليهودية أحاطت نفسها بسياج يسمح لها بالخروج والتوسع ولا يسمح لها بالاختلاط والاندماج . ومع عمليات التوسع يتغير موضع السور وتظل الحارة كما هى بعقليتها التراثية لاتقبل التغير . وستظل إسرائيل إذا تمسكت بمفهوم الحارة اليهودية وعقليتها كيانا منغلقًا على نفسه لايؤثر فى غيره ولا يقبل التأثير من غيره ، والتأثير الوحيد المتوقع فى عصر السلام هو نفس التأثير الذى تم فى عصر الحروب . فمفهوم التوسع سيظل المفهوم المسيطر على الإسرائيليين فى الحرب والسلم وسيقبل الإسرائيليون التوسع بالمفهوم الاقتصادى النفعى مع وجود الحاجز أو السور أو السياج الذى يحفظ لهم خصوصيتهم ويمنع من الاندماج العقلى فى المنطقة العربية . وهذا التوسع امتداد لمبدأ الهيمنة السياسية والعسكرية وتطبيق له فى المجالات المتاحة بعد السلام وأهمها المجال الاقتصادى والتجارى . إن التطبيع المتوقع من جانب إسرائيل لن يتسع لكى يخرجها من عزلتها الاختيارية ، ولن يعنى فتح أبواب الجيتو الإسرائيلى للأغيار . فالخروج من هذا الجيتو محسوب سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا ، وكذلك الدخول إلى الجيتو الإسرائيلى محسوب على المستويات المذكورة

. فالعقلية الإسرائيلية رغم نشاطها الظاهرى المتعدد الجبهات عقلية جيتوية أى عقلية الحارة اليهودية المغلقة على أهلها والذين يخرجون منها لتحقيق مصالحهم وقضاء حاجاتهم ولن يسمحوا لغيرهم بدخول الحارة إلا لتحقيق هذه المصالح والحاجات . فالمصلحة اليهودية الإسرائيلية أولا وأخيراً . والجيتو الإسرائيلى مكان تستطيع أن تسيطر منه على العالم العربى دون أن يصل العالم العربى إليه كما كان الجيتو اليهودى فى المدينة الأوروبية والإسلامية مكانًا للانطلاق إلى العالم والسيطرة عليه دون أن يصل العالم إليه . وستتمكن إسرائيل بعقليتها الجيتوية من السيطرة على السلام وترشيد مساراته والتحكم فى تياراته فتحقق مصالحها وأهدافها دون أن يحصل أحد على نصيبه المشروع من كعكة السلام فتكون بذلك منتصرة فى الحرب والسلم ومستغلة لهما أحسن الاستغلال بتحقيق التوسع لنفسها والتضييق على غيرها إلى أقصى حد ممكن ، وبالخروج إلى غيرها دون السماح له بالدخول إليها . وهذه عقلية الجيتو اليهودى فى الماضى والحاضر والمستقبل .

الفصل الثالث

الموقف من الأيديولوجية الصهيونية والأصولية اليهودية بعد السلام

أولاً : الموقف من الأيديولوجية الصهيونية :

الحركة الصهيونية هى المسئولة عن نشأة إسرائيل ولذلك كانت الأيديولوجية الصهيونية ولاتزال تمثل الإطار الفكرى العام للدولة . صحيح أن الفكرة الصهيونية تلقت العديد من التغييرات بعد قيام الدولة نتيجة للصراع الذى نشأ بين الدولة الناشئة والمنظمات الصهيونية بسبب رغبة الأخيرة فى فرض الهيمنة على الدولة ورغبة الدولة فى الاستقلال التام عن المنظمة الصهيونية ووكالاتها المختلفة ، وترتيب نوع من العلاقة يحقق استقلال الدولة عن المنظمة مع تحقيق الاستفادة من المنظمة فى الخارج على المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية .

١ - موقف حزب الليكود من الصهيونية :

ويظهر هذا الارتباط بالصهيونية فى مواقف الأحزاب الإسرائيلية المختلفة من الأيديولوجية الصهيونية . ويعتبر حزب الليكود من أقوى الأحزاب ارتباطًا بالأيديولوجية الصهيونية . وتظهر النزعة الصهيونية فى معظم بنود برنامج الليكود ومن أهم مظاهر هذه النزعة تكرار المصطلحات الصهيونية فى برنامجه وفى أنشطته وسياساته .

يبدأ البرنامج الانتخابى لحزب الليكود فى الانتخابات الأخيرة بمقدمة تعكس الرؤية الأيديولوجية الصهيونية للحزب على النحو التالى:

" إن حق الشعب اليهودى فى أرض إسرائيل هو حق أبدى غير قابل للنزاع ويتضمن الحق فى الأمن والسلام "(٥٧) . والجزء الأخير من هذا الاقتباس يشير إلى المفهوم الجديد الذى أتى به الليكود ليحدد موقفه من السلام . أما الجزء الأول فيعبر تعبيراً مباشراً عن الأيديولوجية الصهيونية للحزب .

ويعرف البرنامج الصهيونية على النحو التالى : " الصهيونية هى حركة تحرير الشعب اليهودى والوفاء بها يأتى على رأس أولويات حكومة إسرائيل وسوف يتم فتح الباب لمزيد من الهجرة وستدعم المستوطنات ويلغى قرار تجميدها "(٥٨) وهذا التعريف للصهيونية هو التعريف التقليدى لها ولأهمية الهجرة والاستيطان فى الأيديولوجية الصهيونية تم التركيز عليها فى برنامج حزب الليكود . ويشير البند الثالث فى البرنامج إلى رفض إقامة أية دولة فلسطينية مستقلة ، ويشير البند السادس إلى الحفاظ على المستوطنات اليهودية تحت السيادة الإسرائيلية الكاملة .

٢ - موقف حزب العمل :

وفى الوقت الذى اهتم فيه برنامج الليكود بالأيديولوجية الصهيونية نجد العمل يركز فى برنامجه على الشرق الأوسط الجديد الذى سينشأ

نتيجة للسلام ويتعهد الحزب بمقاومة ما يسميه بقايا الشرق الأوسط القديم والقوى الأصولية والإرهابية التى تسعى إلى تدمير عملية السلام. وفيما يتعلق بأمن إسرائيل فيشير البرنامج إلى أن سياسة السلام فى إسرائيل تقوم على قدرة الردع لجيش الدفاع الإسرائيلى وعلى قوته فالسلام المستقر عنصر أمنى هام بالنسبة لقوة الدولة . وستواصل إسرائيل تعزيز أفضليتها النوعية على الجيوش العربية وتعطى أولوية للبحوث العسكرية والتوسع فى انتاج المعدات العسكرية المتطورة . ويركز التقرير على الحرب ضد الإرهاب كعنصر أساسى فى سياسة السلام والأمن فى إسرائيل . وبالنسبة للتسوية مع الفلسطينيين فهى تقوم على اتفاقات أوسلو مع التمسك بالقدس عاصمة موحدة لإسرائيل واعتماد سياسة الفصل بين الإسرائيليين والفلسطينيين بشكل " يلبى احتياجات الأمن والهوية الوطنية " وتسوية مشكلة اللاجئين خارج حدود إسرائيل ورفض حق العودة[٥٩] .

وهكذا يتم عرض البرنامج الخاص بحزب العمل بدون وضعه داخل إطار الأيديولوجية الصهيونية كما فعل حزب الليكود وهذا لا يعنى التخلى عن الأيديولوجية من جانب حزب العمل ولكن يبدو أن برنامج الانتخابات لم ير ضرورة لوضع برنامج الحزب داخل سياق صهيونى فى الوقت الذى شدد فيه حزب الليكود على هذه الواجهة الصهيونية لبرنامجه . وقد يعبر نجاح الليكود فى الانتخابات عن أهمية هذا الإطار الأيديولوجى الصهيونى بالنسبة للناخب الإسرائيلى . وهذا النجاح فى

حد ذاته نجاح للصهيونية . فاليمين المتطرف يعبر عادة عن التوجهات الأيديولوجية الصهيونية وبخاصة اليمين الدينى المتمسك بالمبادئ الصهيونية الأساسية .

٣ - موقف حركة ميريتس من الأيديولوجية الصهيونية :

هدف حركة ميريتس أن تكون إسرائيل دولة يهودية ديموقراطية لكل مواطنيها اليهود والعرب على السواء ، ولا يعترض أنصار الحركة على قيام دولة فلسطينية إلى جانب إسرائيل فى إطار اتفاق سلام دائم يؤدى إلى واقع جديد : دولتان منفصلتان لهما سيادة تعيشان فى سلام . وبالنسبة للقدس فالحركة تؤمن بقدس موحدة عاصمة لإسرائيل مع إعطاء الاعتبار لمختلف الأديان والقوميات والعرقيات لسكان القدس . وبالنسبة للاستيطان فالحركة تعارض سياسة الاستيطان فى الأراضى العربية المحتلة وتطالب بفك المستوطنات الصغيرة خلال فترة المفاوضات، وتطالب أيضًا بتقليل أعداد السكان الفلسطينيين تحت الحكم الإسرائيلى أو السكان الإسرائيليين تحت الحكم الفلسطينى . وبالنسبة للسلام مع سوريا فله أهمية استراتيجية لأنه سيزيل خطر الحرب المفاجئة ويوفر الهدوء على الحدود الشمالية لإسرائيل . وبالنسبة لقوات الدفاع الإسرائيلية فالحركة ترى أنها جيش للشعب ولا يجب على الحكومة أن تورطه فى حروب غير دفاعية أو تستغله لأغراض حزبية ويجب أن يلتزم الجيش بالمبادئ الأخلاقية والعمل وفق القانون . وتطالب الحركة بوضع

دستور إسرائيلى يتضمن المساواة وحرية الأديان والفكر والتعبير وأن يحل القانون الإسرائيلى محل اجراءات الطوارئ الأمنية واضفاء الوضع القانونى على المواثيق الدولية التى تتضمن حقوق الإنسان التى وقعت عليها إسرائيل . وتطالب الحركة بتطبيق القانون ضد التحريض العنصرى وحظر نشاط الجماعات العنصرية وتعزيز القيم الخاصة بالديموقراطية والإنسانية رالتعايش (٦٠).

وفى النواحى الدينيـة تطالب الحركـة بأن تكون قـواعـد الاعـتـراف بالوضع اليهودى متعددة وليبرالية وتعارض الحركة أى شكل من أشكال الإجبار فى الشئون الدينية وإلغاء القوانين التى تستهدف فرض طقوس دينية على مواطنى الدولة والأخذ بمبدأ حرية الأديان والفصل بين الدين والدولة . وتطالب الحركة بضم المواطنين العرب فى الخدمة المدنية بما فى ذلك مناصب الوزراء فى الحكومة . واستئصال كل وسائل التفرقة تجاه السكان العرب . واعتبار اللغة العربية لغة ثانية لإسرائيل ، والاعتراف بالقرى العربية غير المعترف بها الآن وتنمية المناطق العربية (٦١).

وواضح من الرؤية السياسية العامة لحركة ميريتس أنها حركة غير عنصرية تسعى إلى تحقيق المساواة وبخاصة بالنسبة للسكان العرب ولا تعارض قيام دولة فلسطينية . وسياستها عمومًا معارضة للأيديولوجية الصهيونية .

٤ - موقف حركة الطريق الثالث :

تتشابه هذه الحركة مع الليكود فى الاهتمام بالمشروع الصهيونى والعمل بالأيديولوجية . وينص برنامج الحركة فى أول بنوده على الصهيونية والأمن والسلام بالنص على أن الحركة تحارب من أجل الاستمرار فى تحقيق الصهيونية والاستيطان فيما تسميه " أرض إسرائيل مع السعى إلى السلام " وضمان المصالح الحيوية ونمو وأمن المشروع الصهيونى " (٦٢) وتدعو الحركة إلى التنمية المستمرة للاستيطان اليهودى فى إسرائيل . وتؤكد الحركة على صهيونيتها من خلال مبادئ ترتيب الوضع النهائى حيث تنص على أن الشعب اليهودى " له الحق فى أرض إسرائيل وطنه التاريخى ومن حق إسرائيل الاحتفاظ بالأراضى التى استولت عليها فى حرب الدفاع عن النفس . هوية إسرائيل كوطن قومى للشعب اليهودى سوف يحتفظ بها . هوية إسرائيل كدولة يهودية ديموقراطية ملتزمة بحماية حقوق الإنسان . وتؤيد الحركة الانتشار الحالى للاستيطان اليهودى الإسرائيلى ولا توافق على إزالة المستوطنات . ولا توافق على قيام دولة فلسطينية بل إقامة حكم ذاتى فلسطينى مستقل مع الفصل السياسى بين السكان الإسرائيليين والفلسطينيين فى يهودا والسامرة وغزة "(٦٣) وتنادى الحركة بفرض السيادة الإسرائيلية على المناطق الحيوية بالنسبة لبقاء إسرائيل للحيلولة دون تحجيم إسرائيل . وتعتبر تنمية المستوطنات ضرورة . وبالنسبة للقدس فهى عاصمة إسرائيل الموحدة غير المقسمة ومركز الشعب اليهودى وتطالب بدعم وضع

القدس الموحدة فى قلب الخريطة الإسرائيلية . ودعم الاستيطان فى كل الأراضى العربية المحتلة (٦٤).

ويتضح من برنامج حركة الطريق الثالث أنها حركة تأخذ بالفكر االصهيونى حرفيًا وتعمل على تحقيق المشروع الصهيونى ومصطلحات البرنامج الحزبى للحركة مصطلحات تعبر عن أيديولوجية صهيونية .

٥ - موقف المفدال (الحزب القومي الدينى) من الصهيونية :

تظهر الأيديولوجية الصهيونية لحزب المفدال فى اعتقاده المبدئى بوحدة التوراه والشعب والأرض حيث يتمسك هذا الحزب الدينى بما يسمى بالمبدأ المرشد للصهيونية الدينية وهو " أرض إسرائيل لشعب إسرائيل فى ضوء التوراه "(٦٥) وهو يسعى لتحقيق هذا المبدأ .

وفى إطار هذه الأيديولوجية الصهيونية الدينية يرفض الحزب رفضًا باتًا فكرة قيام دولة فلسطينية ولا يعترف بأى دولة أو كيان أجنبى بين نهر الأردن والبحر المتوسط والقدس عاصمة أبدية لشعب إسرائيل ، والاستيطان فى كل انحاء " أرض إسرائيل " هو أساس السيطرة على البلاد وأساس أمن إسرائيل ، ولايقبل الحزب انتزاع أية مستوطنة يهودية ومرتفعات الجولان جزء لايتفصل عن دولة إسرائيل ، ويقبل الحكم الذاتى للفلسطينين ، ويعارض حق السكان العرب فى العودة إلى المناطق الإسرائيلية . ويطالب الحزب بمنحه حرية اتخاذ أى اجراء ضرورى فى الأراضى العربية المحتلة (يهودا أو السامرة وغزه) . ويطالب بالقدس الكبرى ، وإنهاء أنشطة السلطة الفلسطينية فيها وتوسيع المستوطنات

فى القدس الشرقية ، ويطالب بضمان وضع جبل الهيكل باعتباره أقدس مكان للشعب اليهودى . ويطالب بدعم الاستيطان فى الأراضى المحتلة وتطبيق السيادة الإسرائيلية عليها " (٦٦).

* * * * *

هذا العرض العام لمواقف الأحزاب الإسرائيلية من الأيديولوجية الصهيونية يشير إلى قوة الفكر الصهيونى وتأثيره المباشر على الحياة السياسية والعسكرية فى إسرائيل .وعلى الرغم من فتور العلاقة مع المنظمة الصهيونية فى الخارج بعد قيام الدولة بسبب الرغبة فى الاستقلال عن الصهيونية العالمية فإن قادة إسرائيل لم يتخلوا أبداً عن الأيديولوجية الصهيونية.والحقيقة أن السلام المنتظر مع العرب بعد نهاية المفاوضات فى مسارتها المختلفة لن يؤدى إلى نهاية المشروع الصهيونى. فهذا المشروع يمثل استراتيجية شمولية تتحقق على مراحل تدريجية منها مراحل قبل الدولة وبعدها ،ومنها مراحل قبل السلام وبعده .

ويجب أن نشير إلى أن الصهيونية العالمية ستعود من جديد لتلعب دوراً أساسيا بعد السلام . وقد أعلن شيمون بيريز عن هذه العودة للصهيونية العالمية فى خطاب ألقاه تاريخ ١٥ ديسمبر ١٩٩٥م أعلن فيه الاستعداد للاحتفال بمرور مائة عام على المؤتمر الصهيونى الأول الذى انعقد فى عام ١٨٩٧م . وسيتم الاحتفال من خلال عقد مؤتمر يهودى عالمى لوضع خطة عمل للشعب اليهودى خلال السنوات المقبلة والنشطة

فى عدة قضايا صهيونية منها العلاقة بين يهود إسرائيل ويهود الخارج أو يهود المنفى كما يسمون وكذلك النظر فى العلاقة بين المتدينين والعلمانيين فى العالم اليهودى (٦٧).

وقد أعلن بيريز أيضًا عن بداية الدخول فى المرحلة التالية من المشروع الصهيونى والجزء الثانى من تحقيق الأيديولوجية الصهيونية وهو إقامة مركز روحى فى إسرائيل ليهود العالم وتحويل إسرائيل من مركز روحى إقليمى إلى مركز روحى وأخلاقى ليهود العالم . ويوضح خطاب بيريز المحافظة على روح الصهيونية ، ودعم الأيديولوجية الصهيونية فى مرحلة السلام ودعم الطابع اليهودى الصهيونى لإسرائيل وتحويل إسرائيل إلى مركز الصهيونية العالمية والمركز الروحانى الأساسى لكل اليهود فى العالم (٦٨).

ثانيًا : الموقف من الدين والقوى الأصولية :

١ - الموقف من الدين :

أثبتت الانتخابات الإسرائيلية الأخيرة زيادة واضحة فى النفوذ السياسى لليمين الدينى المتطرف . وهى زيادة أدت كما يعتقد بعض المحللين إلى حدوث انقلاب اجتماعي داخل إسرائيل . ففى جريدة معاريف ١٩٩٦/٦/٢م أعلن الكاتب يوسف لابيد أن إسرائيل ما بعد الانتخابات دولة جديدة مختلفة عن إسرائيل ما قبل الانتخابات والشكل الجديد للكنيست يثبت أن انقلابًا اجتماعيا حدث فى إسرائيل يتطلب

جهداً ثقافياً ونفسياً لاستيعابه ، لقد تغلبت وجهة النظر الدينية - القومية الشرقية على وجهة نظر ليبرالية اشكنازية فى معظمها . واستخدم البروفيسور شلومو بن عامى عبارة « القدس هزمت تل أبيب» حيث ترمز القدس إلى التيار الدينى القومى المتشدد بينما تشير تل أبيب إلى التيار الليبرالى العلمانى . وأصبح الجميع يخشى من سيطرة الدوائر المتعصبة دينيا وتهديدها لأسلوب حياة المجتمع الإسرائيلى . لقد أصبح المجتمع الإسرائيلى منقسماً بين عالم دينى تقليدى تحاول أن تشكل وحدة حكم ذاتى غير مرتبطة بالعلمانية وتيار مركزى يتطلع لمزج قيم الصهيونية بأسلوب حياة بورجوازى مبنى على مبادئ الحضارة الغربية . ويعتقد بهض المحللين أن نتنياهو سوف يسعى إلى خلق توليفة إسرائيلية تمزج بين ثقافة الحياة الغربية والقومية اليهودية فيكون بهذا الوريث المخلص لجابوتنسكى . وتحض بعض الدوائر التى تخشى انطواء نيتانياهو تحت جناح اليمين المتطرف على احتضان نيتانياهو قبل أن يقع فى أسر المتعصبين دينياً وقوميا .

ويلاحظ فى الانتخابات الأخيرة أن ٩٩٪ من المتدينين قد صوت مع نيتانياهو ضد بيريز . ولقد نشأ فى إسرائيل صراع ثقافى بين المتدينين والعلمانيين وبخاصة مع ازدياد نفوذ اليمين المتطرف .ومن وجهة نظر أورى أفنيرى التى عبر عنها فى معاريف ١٩٩٦/٦/١٠م أنه قد تمخضت الانتخابات الأخيرة عن ازدياد الفجوة بين المجتمع المتدين والمجتمع العلمانى إلى حد يمكن الحديث معه عن وجود صراع ثقافى وعن

تغـيـيـر فى شكل الدولة وعـن صراع بين القـدس وتل أبيب بالمعنى الذى شرحناه منذ قليل . ويحلل افنيرى نتـائج الانتـخابات بأنهـا تشيـر إلى انقسـام شديد داخل المجتمع الإسرائيلى الذى ينقسم إلى شعبين مختلفين لكل منهـمـا هويتـه ومعتـقـداته ووجهة نظره الخاصـة . الشعب الأول هو الشق الإسرائيلى للطائفة اليـهـودية فى العـالم الذى هو استمرار للشعب اليهودى التاريخى وهو شعب يكره الأجانب ويحتقرهم وتتناقض ثقافته مع ضرورات الأمـة المستقرة فوق أرضهـا وهو شعب لايستطيع أن يكون ديموقـراطيًا فـمن وجهـة نظر أفنيـرى أن الشـريعـة الدينية والديموقراطيـة لايلتـقـيـان لأنهـمـا مـتنـاقـضـان . وأبناء هذا الشـعب هم يهـود أولا وإسرائيليون ثانيا (٧٠).

أما الشعب الثانى فهو الشعب الذى ولد داخل فلسطين خلال المائة سنة الأخيرة ، ويكون أمة عبرية - إسرائيلية ، وانتهت جهوده إلى قيام الدولة . وهى أمة على معرفة بجذورها اليـهودية ، ولكن توجهها إلى العـالم الواسع فهى جزء من الثـقـافـة الحديثـة فـهى ديموقراطيـة ليـبراليـة بطبيـعتـهـا ولها مـلامحها الواضحة فى الحياة داخل إسرائيل وتتطلع إلى السـلام مع جيرانها وإلى إيجـاد مكان لها فى المسـاحة الجـغرافيـة الى تعـيش فـيـهـا . وهؤلاء ينظرون لأنفسـهم على أنهم إسـرائيليـون أولا وإيمانهم بالدولة يسبق إيمانهم بأى شئ آخر (٧١).

فـالشـعب الأول يتطلع إلى أن تكون إسرائيل هيكلا داخله القـوميـة الدينيـة الواحدة التى يحكمها التشريع الدينى بينمـا يتطلع الإسرائيليون

إلى نموذج معاكس تمامًا وهو نموذج الدولة الديموقراطية التى تؤمن بالتعددية ولها قانون صارم يفرق بين الدين والدولة ونموذجهم فى ذلك الولايات المتحدة الأمريكية . ويشبه أفنيرى نيتانياهو بأنه إسرائيلى غربى وأمريكانى تنكر بنجاح فى زى يهودى(٧٢) .

ومما لاشك فيه أن نتائج الانتخابات الأخيرة تشير إلى توجهات الشارع الإسرائيلى . وتشير هذه النتائج إلى أن حجم الكتلة الدينية فى إسرائيل أضخم بكثير من نسبة تمثيلها فى الكنيست فقد وصل حجم تمثيل المتدينين فى الكنيست إلى ٢٤ مقعداً . واسترد حزب المفدال أصوات مؤيديه الذين صوتوا من قبل للكتل العلمانية . ويعتقد أن الكنيست الجديد سيشهد نشاطًا دينيًا كبيراً وسيشهد سيطرة المتدينين على قطاعات عديدة داخل الحكومة وبخاصة القطاعات التى أطاحت فيها حكومة العمل السابقة بالمتدينين فى مواقع النفوذ فيها . وقد ورد فى جريدة هاتسوفيه ١٩٩٦/٥/٣١م أن إسرائيل ستشهد عودة الهوية اليهودية لدولة إسرائيل . تلك الهوية التى تحطمت تحت أقدام اليسار المعادى للدين فى حكومة العمل (٧٣). ويؤكد يعقوب أو لشتاين هذا الرأى بقوله : يتعين على نيتانياهو أن يثبت للأحزاب الدينية التى ساندته أنه يستحق هذا التأييد . ويتعين عليه اتباع سياسة تتماشى مع القيم اليهودية الدينية التى من شأنها إبراز هوية الدولة اليهودية ، وقد أحس الحاخامات وكبار رجال الدين أن فوز أى حكومة قومية دينية يعنى اتساع مساحة الحركة للأحزاب الدينية (٧٤).

ويتضح الموقف من الدين فى المفاوضات التى يجريها حزب الليكود مع الأحزاب الدينية والخاصة بموقف الإئتلاف من الأمور الدينية ومن أهم هذه الأمور التى أعلنتها الأحزاب الدينية قيام الحكومة بإضفاء الطابع اليهودى على الدولة [٧٥]. ويقول دوف الفويم إن قائمة المشروعات فى المجالات الدينية والتى تطالب بها الأحزاب الدينية ستؤثر على شكل الدولة وتسعى هذه الأحزاب أولاً إلى تغيير شكل المحكمة العليا والقضاء على التمثيل الإصلاحى « العلمانى » الموجود إلى جانب المجالس الدينية . وتخطط الأحزاب الدينية لاستخدام الكنيست فى سن التشريعات وذلك للالتفاف حول المحكمة العليا . وتسعى أيضا إلى تجميد أغلب القوانين الأساسية الجاهزة ، والموافقة فقط على القوانين التى لاتمس القضايا الدينية . وستسعى الأحزاب الدينية للتصدى للمعسكر الإصلاحى فى الدولة ، وتعديل قانون تغيير الديانة وعدم تهويد أى فرد إلا بموافقة الهيئة الحاخامية الرئيسية [٧٦]. وعدم الاعتراف بإجراءات التهويد التى تتم بالنظم الإصلاحية كما ستحاول تغيير قانون الآثار وذلك بمنع التنقيب عن الآثار فى الأماكن التى بها مقابر قديمة ، وستحاول أيضًا غلق المحال التى تفتح فى أيام السبت وبخاصة المؤسسات الكبيرة فى أطراف المدن وفى الكيبوتسات ، وكذلك مد العمل بالقانون الخاص بحظر استيراد اللحوم غير المذبوحة حسب الشرع ، وكذلك منع الدفن بإجراءات علمانية . وبالإضافة إلى هذا سيسعى المتدينون إلى التدخل فيأزسلوب التعليم فى المدارس الحكومية

وتغيير النظام التعليمى . كل هذه الأمور ستؤدى حتمًا إلى تغيير شكل الدولة بفرض الطابع الدينى عليها وعدم الفصل بين الدولة والدين [٧٧]. (يديعوت أحرونوت ١٩٩٦/٦/٣) .

ولاشك أن الصراع الحالى بين المتدينين والعلمانيين قد تحول إلى ما يشبه الحرب الثقافية . ويتحدث العلمانيون عما يسمونه بالإكراه الدينى الذى يمارسه المتدينون فى حزب الليكود ومن مظاهره بخلاف ما سبق ذكره إغلاق صالات الديسكو وفرض تقاليد السبت والأعياد على المحال التجارية . ويرد المتدينون بأنه لايوجد إكراه دينى إنما المطلوب هو العودة إلى مصادر اليهودية وإلى مبادئ الدين والتقاليد التى بفضلها استمر الشعب اليهودى إلى اليوم . وتشير جريدة هاتسوفيه إلى أن جمهور المتدينين أصبح هو الذى يحدد نهاية الصراع بين اليمين واليسار فى انتخابات رئاسة الحكومة (هاتسوفية ١٩٩٦/٦/٤م) [٧٨].

٢ - دعم الأصولية اليهودية ونتائجه العكسية :

إن نتائج الانتخابات الإسرائيلية الأخيرة لاتشير فقط إلى انقلاب على المستوى السياسى ولكن الأكثر دلالة هو الانقلاب الدينى الذى نتج عن الانتخابات . فالقوائم الدينية تشكل الآن مايزيد عن ثلث إجمالى عدد أعضاء الكنيست مما يعنى زيادة قوة التيار الدينى فى الحكومة الإسرائيلية . ومما لاشك فيه أن هذا التغير سيؤدى إلى دعم الأصولية اليهودية وزيادة قوة اليمين الدينى فى المجتمع الإسرائيلى . فالمسألة

ليست مجرد تغيير حكومة بحكومة لكنه تغيير فى شكل الدولة وفى شكل المجتمع حيث ستتغير مكانة الدين وموقعه فى بناء الدولة ، كما ستتغير مكانة الأحزاب الدينية وموقعها فى هيكل السياسة الإسرائيلية. وستلعب الأحزاب الدينية دوراً مهمًا فى ازدياد سلطة الأصولية اليهودية وفى قدرتها على توجيه السياسة الإسرائيلية . ولارتباط الأصولية اليهودية بالعنف فإن الاستجابة لمطالبها فى الحكومة الجديدة سيؤدى إلى تقوية عوامل العنف وتعميق مشكلة الأمن لدى المواطن الإسرائيلى . لقد أسفرت الانتخابات عن نتيجة خطيرة ومثيرة وهى أن المتدينين المتطرفين أصبحوا يمثلون القوة الثالثة فى إسرائيل وأنهم ربما يصلون إلى زمام الحكم فى المستقبل القريب . وهذا انتصار للأصولية اليهودية التى سيكون لها تأثيرها الكبير على الداخل والخارج معًا . ففى الداخل ستتمكن من تغيير شكل الدولة والحكومة والمجتمع . وفى الخارج ستتخذ مواقف متشددة من عملية السلام ومن العلاقات مع العرب ومن إقامة الدولة الفلسطينية ومن وضع القدس كعاصمة أبدية موحدة لإسرائيل .

وسيؤدى دعم الأصولية اليهودية إلى نتائج عكسية قد تكون مؤثرة فى مسيرة المجتمع الإسرائيلى وفى تحديد علاقته بيهود الخارج . ومن أهم هذه النتائج العكسية ما يلى :

١ - بداية حدوث تغيير فى شكل الدولة وهويتها . ومن أهم مظاهر

هذا التغيير قبول وضع الدولة العادية من المنظور السياسى ، وبداية التخلى عن المفهوم الصهيونى القديم الذى يجعل من كل يهودى إسرائيليًا له حق الحصول على الجنسية الإسرائيلية .

٢ - الاتجاه إلى قبول فكرة الدولة التى تكون لها حدود مع جيرانها من الدول الأخرى بعد أن كانت إسرائيل دولة لاتعترف بوجود حدود فاصلة بينها وبين جيرانها . وذلك لجعل باب التوسع مفتوحًا للأيديولوجية الصهيونية ، ولإرضاء اليمين اليهودى المتطرف المؤمن بالحدود التوراتية من النيل إلى الفرات .

٣ - المطالبة بتغيير قانون العودة ووضع شروط جديدة للعودة من أجل مواجهة اليمين اليهودى المتطرف فى الخارج والذى يدعم بقوة اليمين المتطرف فى الداخل . وربما يؤدى هذا التطور إلى وقف منح حقوق المواطنة ليهود الخارج والذى يسمح بالجمع بين الجنسيتين الإسرائيلية والجنسية الخارجية ولا يشترط الهجرة إلى إسرائيل . وقد أدى هذا الوضع إلى جعل باب إسرائيل مفتوحا على مصراعيه للهجرة اليهودية من ناحية وللتمويل والدعم الخارجى لها من ناحية أخرى . ولاشك فى أن تغيير قانون العودة يهدف إلى الحد من تسرب جماعات اليمين اليهودى المتطرف إلى الداخل مما يضعف اليمين اليهودى المتطرف فى الداخل . وهذه بلا شك إحدى ايجابيات السلام من المنظور العربى . وهى تمثل تطوراً سلبيًا بالنسبة للمجتمع

الإسرائيلى فى علاقته بيهود الخارج . ولذلك نعتبرها من التأثيرات السلبية على إسرائيل .

٤ - سيؤدى الصراع الذى نشأ بين الإسرائيليين ويهود الخارج إلى التأكيد على الصفة الإسرائيلية للدولة بعد أن كان التأكيد الصهيونى دائمًا على يهودية الدولة . ويحقق هذا الاتجاه عدة أمور منها القضاء على فكرة الدولة اليهودية القائمة على دعوى الحقوق الدينية ، والوقوف بهذه الدولة عند حدود جغرافية واضحة ومحددة بدلا من الحدود المفتوحة فى ظل الدولة اليهودية . وقد يؤدى هذا أيضا إلى الفصل الفعلى بين القومية والدين والذى يحول الإيمان بالدولة من الإيمان العقدى بها إلى الانتماء السياسى والثانى أقل خطورة من الأول فى المنظور العربى . وربما يؤدى هذا التوجه إلى الصفة الإسرائيلية إلى تخفيف حدة الصراع على المستوى الدينى ، فلا تنظر الدولة إلى الصراع بينها وبين العرب على أنه صراع بين اليهودية والإسلام كما هو الحال عند اليمين المتطرف. وربما يؤدى هذا التطور إلى التوقف التدريجى عن تشويه صورة الإسلام داخل إسرائيل وفى الغرب وإلصاق تهمة الإرهاب والتطرف به ، وتوقف أجهزة الإعلام والدعاية الإسرائيلية عن الربط بين الإسلام والرهاب . وتأثير هذا لن يكون محدوداً داخل إسرائيل ولكنه سيؤثر على النظرة العامة إلى الإسلام فى الغرب . فالصورة التى كونها الإعلام الغربى عن الإسلام صورة مصنوعة فى إسرائيل ومصدرة إعلاميا إلي الغرب.

٥ - من أهم التأثيرات المهمة للسلام بداية تبلور الصراع بين الداخل والخارج وزيادة حدة الصراع المسلح داخليًا بين اليمين اليهودى المتطرف وبين بقية المجتمع الإسرائيلى . وهو صراع تمكنت إسرائيل من كبته من خلال الحروب المتواصلة مع العرب . والآن مع السلام سيزداد الصراع الداخلى حدة وسيأخذ شكلا مسلحًا ، الأمر الذى سيساعد على تفكيك المجتمع الإسرائيلى من الداخل ، وإظهار وحدته المصطنعة ، والكشف عن الشقاق الداخلى وزيادة انقسام المجتمع إلى علمانيين ومتدينين متشددين يأخذون بالقوة ويميلون إلى العنف والإرهاب . ولن يتوقف الأمر عند حد التناقض الداخلى بين الجانب العلمانى والدينى وما ينتج عن هذا التناقض من صراع ، ولكن سيتجاوز ذلك إلى إحداث شقاق بين أنصار العلمانيين واليمين المتطرف فى الخارج وذلك لأنه سيأخذ فى هذا الصراع الداخلى جانب اليمين اليهودى المتطرف فى الداخل مما يعتبر تدخلا فى الشئون الداخلية للدولة وانتصارا لطرف على آخر داخل الدولة . بل نتوقع أيضا أن تسوء العلاقة فى الخارج بين التياراليهودى المتطرف والتيار اليهودى العلمانى فى الساحة الأوروبية والأمريكية .

الفصل الرابع
الموقف من الدولة الفلسطينية والقدس

أولاً : الموقف من الدولة الفلسطينية :

١ - الموقف العام للأحزاب الإسرائيلية :

منذ إعلان المجلس الوطنى الفلسطينى فى الجزائر فى نوفمبر ١٩٨٨م عن قيام الدولة الفلسطينية أعلنت حكومة شامير معارضتها الشديد لقيام دولة فلسطينية فى ما أسماه « أرض إسرائيل » . وتختلف الأحزاب الإسرائيلية حول موضوع الدولة الفلسطينية فالأحزاب الدينية ترفض التسليم بفكرة الدولة الفلسطينية المستقلة . ومعروف تطرف الأحزاب الدينية فى مواقفها انطلاقا من توجهاتها الدينية القائمة على أساس من مفهوم « أرض إسرائيل التوراتية » وبالتالى تدعو هذه الأحزاب إلى المطالبة فى المفاوضات بعودة السيادة الإسرائيلية إلى الضفة الغربية وقطاع غزة كما تطالب الحكومة الإسرائيلية بتشجيع العرب على الهجرة (٧٩).

أما الأحزاب اليمينية والتى تضم كتلة ليكود وغيرها من الحركات اليمينية مثل هتحيا وتسوميت فهى ترفض أيضًا فكرة الدولة الفلسطينية وترى منح العرب حكما ذاتيا داخل حدود الدولة الإسرائيلية ويعامل العرب على أنهم أقلية قومية فى " أرض إسرائيل " تقع تحت سيادة الأغلبية . وهذا الحكم الذاتى يتصل بالشئون الدينية والثقافية

والاجتماعية ، أما السلطة والتشريع فمن اختصاص الأغلبية اليهودية . وذلك يعنى منح الفلسطينيين حق الإدارة الذاتية وهو تفسير بيجن لعبارة " الحق المشروع " التى وردت فى وثائق كامب ديفيد . وتفهم الليكود الحكم الذاتى على أنه يشمل السكان وليس الأرض لأن الأرض ملك الشعب اليهودى وحده وللدولة حق إقامة المستوطنات فيها . وقد حرصت حكومة بيجن على عدم ترجمة الحكم الذاتى ترجمة تؤدى إلى خلق دولة فلسطينية (٨٠).

ومن الأحزاب اليمينية المتطرفة من ينادى بسياسة طرد العرب ، وتوطين الفلسطينيين فى البلاد العربية ، وضم الضفة والقطاع .

وبالنسبة لليكود لم تتغير سياسته أو موقفه من موضوع الدولة الفلسطينية وتبنى الليكود سياسة العنف فى قمع الإنتفاضة الفلسطينية ودفع حركة الاستيطان الصهيونى .

أما أحزاب الوسط واليسار الصهيونى فهى أقل تصلبًا من الأحزاب الدينية واليمينية . ومع ذلك فأحزاب العمل والمابام وحركة شينوى ترفض مبدأ إقامة دولة فلسطينية فى الضفة والقطاع . أما حركة راتس وحراش والجبهة الديموقراطية للسلام فهى مقتنعة بحق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره وإقامة دولة مستقلة .

وقد كرر زعماء حزب العمل رفض فكرة الكيان الفلسطينى المستقل منذ حرب ١٩٦٧م واعتبروها جميعًا فكرة غير واقعية واقترح بعضهم أشكالا للوضع السياسى الفلسطينى تحت السيادة الإسرائيلية من بينها

اقتراح أبا إيبان بعودة السيادة الأردنية على الضفة الغربية ، واقتراح موشى ديان عام ١٩٦٨م إقامة إدارة ذاتية فلسطينية فى ظل السيادة الإسرائيلية . وقد رفض عام ١٩٧٠ فكرة إقامة حكومة فلسطينية لإدارة الشئون المحلية ، وأعلن عام ١٩٧٣م رفضه النهائى لفكرة الدولة الفلسطينية . واقترح إيجال آلون عام ١٩٧١م إقامة اتحاد كونفدرالى بين إسرائيل والأردن يخضع له الفلسطينيون . وفى عام ١٩٧٢ اقترح شيمون بيريز إقامة إتحاد فيدرالى بين إسرائيل ودولة عربية فى الضفة الغربية . وحتى عام ١٩٨٨م رفض شيمون بيريز التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية وقبل أن يتم التفاوض مع وفد أردنى يضم ممثلين عن الفلسطينيين على ألا ينتهى الأمر إلى قيام دولة فلسطينية .

ويرى حزب مابام حق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم ويقبل التفاوض مع منظمة التحرير ويشترط أن يتم تقرير المصير فى إطار أردنى فلسطينى يتحقق من خلاله الاستقلال الذاتى للفلسطينيين .

وترفض حركة شينوى فكرة إقامة الدولة الفلسطينية وتقترح الانسحاب من الضفة وتسليمها إلى الأردن مع تحريرها من السلاح وبقاء القدس عاصمة أبدية لإسرائيل .

وتعترف حركة حداش بحق تقرير المصير للفلسطينيين وتقبل إقامة دولة فلسطينية مستقلة إلى جانب دولة إسرائيل . وترى حركة راتس نفس الشئ مع اشتراط ارتباط الدولة الفلسطينية المستقلة بالأردن أو

بإسرائيل فى المستقبل وهذا يجعل حركة راتس قريبة فى موقعها من حزب المابام وحزب العمل [٨١].

وتؤيد الجبهة التقدمية للسلام إقامة دولة فلسطينية إلى جانب دولة إسرائيل مع بقاء القدس موحدة تحت سيادة فلسطينية إسرائيلية مشتركة وتؤيد حق اللاجئين فى العودة أو التعويض . وأيدت الانتفاضة كوسيلة للتعبير عن نضال الشعب الفلسطينى لإقامة دولته المستقلة . ويتفق مع هذا الرأى أيضًا حركة معسكر السلام الإسرائيلى [٨٢].

هذا هو رأى الأحزاب الإسرائيلية فى موضوع الدولة الفلسطينية . ويلاحظ على هذه الآراء وتطورها خلال العشرين سنة الأخيرة وحتى عام ١٩٨٨م قوة اليمين المتطرف وقوة الأحزاب الدينية مع هامشية القوى الإسرائيلية المؤيدة لفكرة الدولة الفلسطينية وتسير اتجاهات المجتمع الإسرائيلى وفق الآراء الحزبية المذكورة مع اتساع نطاق تأييد القوى اليمينية المتطرفة المتمسكة بالأراضى العربية المحتلة وبرفض الدولة الفلسطينية والمناداة بالقدس كعاصمة موحدة أبدية . وقد ازدادت الأحزاب الدينية قوة واستعادت مكانتها عند الناخبين وحدث تراجع فى مكانة الأخحزاب التقدمية وضآلة التأييد لها .

وهكذا يتضح أن الرأى الغالب لدى الأحزاب الإسرائيلية والرأى العام الإسرائيلى يعكس ازدياد الاتجاه نحو اليمين المتطرف الدينى والعلمانى وهو يعكس التوجهات الصهيونية التقليدية . ففى رفض فكرة الدولة

الفلسطينية تشبث بالمفاهيم الصهيونية الخاصة بأرض إسرائيل وأرض الميعاد التوارتية . " والدولة اليهودية " ودولة إسرائيل " الكبرى " والاستيطان والهجرة وغير ذلك من المفاهيم الصهيونية . فالقبول بقيام دولة فلسطينية معناه خيانة هذه المبادئ الصهيونية الأساسية . كما يلاحظ أيضًا أن مفهوم الأمن الإسرائيلى مفهوم مضاد لإقامة الدولة الفلسطينية لما تمثله هذه الدولة من خطر . وهكذا تتحكم الأيديولوجية الصهيونية فى اتجاهات المجتمع الإسرائيلى فيما يخص موضوع الدولة الفلسطينية .

إن احتمالات تغير الموقف الإسرائيلى تجاه الدولة الفلسطينية ضعيفة وذلك بسبب الضعف العربى من ناحية والدعم الأمريكى من ناحية أخرى . ولكن فى الإمكان تغيير الموقف الإسرائيلى من خلال التحرك العربى القوى ، ومواصلة النضال الفلسطينى ، والتأثير على الرأى العام . والضغط من أجل تغيير الموقف الأمريكى . وهناك عوامل أخرى مهمة ومساعدة من أهمها استمرارية النشاط السياسى وتنمية القدرة الفلسطينية والعربية على مواجهة السلطة الإسرائيلية ، والعمل على إقامة منظمات سياسية للتعبير عن الرأى الفلسطينى ، وضرورة المحافظة على الهوية الفلسطينية العربية ، ومقاومة سياسة التهويد والتمسك بالأرض، والتضامن مع سكان الأرض المحتلة إلى غير ذلك من الوسائل المعينة على الوصول إلى هدف إقامة الدولة الفلسطينية [٨٣].

وبالإضافة إلى هذه العوامل السابقة فهناك عناصر قوية مهمة تساعد الفلسطينيين على السير تجاه إقامة الدولة ومن ذلك عدالة قضية الفلسطينيين ، وحقهم التاريخى ، وقبول الرأى العام العالمى لقضيتهم ، ووجود عرب فلسطين فى الداخل كحليف أساسى للقضية مع زيادة مكانتهم السياسية ووجود الحركات المؤيدة للسلام داخل إسرائيل .

٢ - موقف حكومة نيتانياهو من الدولة الفلسطينية :

بعد فوز حزب الليكود فى الانتخابات الإسرائيلية الأخيرة تبلور موقف سياسى واضح من خلال تصريحات بنيامين نيتانياهو ومضمون هذا الموقف عدم الأخذ بالاتفاقات السابقة لحكومة العمل مع الأطراف العربية ورفض المعاهدات التى تم التوقيع عليها وأعلن الحزب عدم اعترافه بمبدأ الأرض مقابل السلام ، وعدم الاعتراف بإنشاء دولة فلسطين المستقلة ، والاكتفاء بخلق مؤسسة رئاسة فلسطينية ومجلس للوزراء في إطار صلاحيات محدودة للحكم الذاتى ، وهيمنة إسرائيلية كاملة على الأراضى الفلسطينية المحتلة بالإضافة إلى رفض الانسحاب من الجولان والتمسك بالقدس عاصمة موحدة أبدية لإسرائيل .

وتعتبر خطة نيتانياهو للسلام والمواقف من الدولة الفلسطينية بمثابة عودة إلى خطة شامير القديمة وهجر تام لكل ما تم التوصل إليه خلال حكم بيريز فبالنسبة لموضوع الدولة الفلسطينية فقد اسقط حزب العمل خلال فترة بيريز اعتراضه على قيام الدولة الفلسطينية ، كما ظهر اتجاه إلى قبول أن تصبح القدس موحدة وعاصمة لإسرائيل ولدولة فلسطين

باعتبار القدس العربية عاصمة للدولة الفلسطينية . هذا التوجه لحكومة العمل قبل سقوطها تم رفضه بواسطة الحكومة الجديدة التى أظهرت معارضة شديدة لفكرة قيام الدولة الفلسطينية وعادت إلى فكرة الحكم الذاتى الفلسطينى تحت السيادة الإسرائيلية (٨٤). وقد عبرت خطة نيتانياهو عن هذا الوضع فى القرارات التالية التى أقرها مجلس وزراء حزب الليكود برئاسة نيتانياهو : " تعارض إسرائيل إقامة دولة أخرى فى قطاع غزة وفى الأراضى الواقعة بين إسرائيل والأردن . وأنه لن يطرأ تغيير على مكانة « يهودا والسامرا » وقطاع غزة إلا وفقًا للخطوط الأساسية للحكومة . والدعوة إلى بذل جهود دولية لحل مشكلة سكان مخيمات اللاجئين العرب فى « يهودا والسامرة » وقطاع غزة من أجل تحسين ظروف معيشتهم وإعادة تأهيلهم . وفى الفترة الانتقالية يمنح السكان العرب الفلسطينيون فى هذه المناطق حكمًا ذاتيًا يتولون فيه بأنفسهم إدارة شئونهم فى مجالات الحياة الجارية . أما إسرائيل فستبقى المسئولة عن شئون الأمن والعلاقات الخارجية وعن كل ما يتعلق بمواطنى إسرائيل « المستوطنين » فى يهودا والسامرة وقطاع غزة " .

وفى هذا التقرير السابق توضيح للموقف الرافض الذى تبناه حزب الليكود تجاه موضوع الدولة الفلسطينية . إن تحالف الليكود يقوم على أساس من التطرف الأيديولوجى والنظرة إلى السلام تقوم على مفهوم جديد للسلام والأمن بدلا من مفهوم مبادلة الأرض مقابل السلام . والمفهوم الجديد يقف بقوة فى طريق قيام الدولة الفلسطينية (٨٥).

ثانيًا : موقف الشخصية الإسرائيلية من القدس :

تعتبر قضية القدس ووضعها فى الصراع العربى الإسرائيلى من أعقد مشاكل هذا الصراع . ولذلك تم الاتفاق على تأجيل المفاوضات حولها إلى نهاية مسيرة المفاوضات الحالية وبعد الوصول إلى حلول لكل القضايا الأخرى . والخطر الحقيقى الذى مثله هذا التأجيل للمفاوضات حول القدس يكمن فى وقوع المدينة تحت السيطرة الإسرائيلية واستمرارية عمليات تهويد المدينة . بحيث من المنتظر أنه مع بدء المفاوضات حولها ستكون القدس قد تم تهويدها تمامًا ولن يتبقى منها شئ قابل للتفاوض. فإسرائيل تفرض الأمر الواقع . وهى تغير الواقع بشكل مستمر وحسب خطط استراتيجية موضوعة .

وبداية نقول إن القدس تمثل بؤرة الصراع ومحوره الرئيسى والطرف الإسرائيلى يدعى أن المدينة يهودية ، ويؤرخ لها منذ عصر داود عليه السلام وقد تم الاحتفال هذا العام بمرور ثلاثة آلاف عام على نشأة « أورشليم » حسب التاريخ اليهودى لها . أما الطرف الفلسطينى والعربى عمومًا فيعتبر المدينة عربية النشأة والتاريخ فهى مدينة يبوسية كنعانية وتاريخها العربى يعود إلى خمسة آلاف عام . وتاريخ المدينة سابق على تاريخ بنى إسرائيل كما أن كل الأسماء التى أعطيت للمدينة فى تاريخها أسماء عربية بما فى ذلك الإسم " أورشليم " والذى يفضله اليهود على غيره من المسميات التى أطلقت عليها . والصفة اليهودية

الوحيدة التى وصفت بها المدينة هى « مدينة داود » أى نسبة المدينة إلى داود . وهى ليست تسمية كما هو ملاحظ .

ومع قيام إسرائيل تم إدعاء المدينة والقول بالحقوق التاريخية والدينية لليهود فيها كجزئية من الإدعاء العام بالحقوق التاريخية والدينية لليهود فى فلسطين . وقد تمت كتابة تاريخ القدس كتابة تؤكد على يهودية المدينة عبر التاريخ القديم والوسيط والحديث ، كجزء من عملية إعادة كتابة تاريخ فلسطين بشكل يؤكد يهوديتها عبر التاريخ . وقد وصل تزييف تاريخ القدس وتشويهه حداً يجعل من المدينة يهودية حتى فى عصريها المسيحى والإسلامى [٨٦]. وهو تزييف لا يلتزم بحقائق التاريخ ولا بالعصور التاريخية ولا يرى وجوداً غير يهودى فى المدينة ويحول الأقلية اليهودية بقدرة قادر إلى أغلبية ليس فقط فى التاريخ السابق على الميلاد بل فى التاريخ المسيحى وفى التاريخ الإسلامى . وهى جرأة وقدرة على التزييف لايقدر عليها إلا المؤرخ اليهودى الصهيونى الذى يفسر التاريخ تفسيراً يهودياً فى تجاهل تام لحقائق التاريخ ومعطياته وثوابته .

ووجهة النظر الإسرائيلية الرسمية التى تبلورت عن القدس - وبخاصة بعد حرب ١٩٦٧م والاستيلاء على القدس الشرقية ووقوع المدينة بكاملها تحت السيطرة الإسرائيلية - تدعى التالى :

" القدس عاصمة إسرائيل المقدسة الموحدة ذات التاريخ المتصل لمدة ثلاثة آلاف عام . ومستقبل المدينة ورخاؤها هو استمرار لماضيها . ويوجد بالمدينة أماكن مقدسة للمسيحيين والمسلمين[٨٨] . والعبارة الأخيرة تؤكد على القداسة الكلية للمدينة عند اليهود بينما توجد بها فقط بعض الأماكن المقدسة بالنسبة للمسيحية والإسلام .

وقد أصدر قسم الإعلام بوزارة الشئون الخارجية الإسرائيلية فى عام ١٩٧٢م نشرة عن القدس تتناول تاريخها ووضعها الحالى ومستقبلها من وجهة النظر الإسرائيلية . كما تناقش النشرة أيضًا علاقة الأردن بالقدس ومسألة تدويل القدس ، وتعطى فى النهاية الموقف الإسرائيلى الرسمى من ثلاثة مواقف أو رؤى حول القدس .

وفيما يتعلق بالجانب التاريخى تم تهويد تاريخ المدينة فاعتبرت مدينة يهودية فى كل التاريخ القديم من عصر داود وحتى دمارها عام ٧٠ م . ووصفت عصور الحكم الأخرى للقدس بأنها عصور حكم فيها الأجانب القدس . ومن بين عصور الحكم الأجنبى للقدس العصر البيزنطى المسيحى ٣٢٤ - ٦١٤ وحكم الفرس ٦١٤ - ٦٣٨م ، وحكم العرب (وليس المسلمون) ٦٣٨ - ١٠٩٩م وحكم الأيوبيين والمماليك ١١٨٧ - ١٥١٧م ، والحكم العثمانى لها ١٥١٧ - ١٩١٧م . وهكذا تم اعتبار الحكم الإسلامى للقدس حكمًا أجنبيًا يوضع إلى جانب الحكم الصليبى (١٠٩٩ - ١١٨٧) والانتداب البريطانى (١٩١٧ -

١٩٤٨) والحكم الأردنى للقدس الشرقية (١٩٤٨ - ١٩٦٧) . ويلاحظ تركيز النشرة على عدم اعتبار المدينة إسلامية منذ ظهور الإسلام بل اعتبارها تحت الحكم العربى ثم تحت الحكم الأيوبى والمملوكى والعثمانى والأردنى وكأن هذه الشعوب ليست مسلمة ولكنها ممثلة لقوميات مختلفة حكمت القدس لفترات زمنية محددة [٨٩].

وتدعى النشرة أن يهود القدس لهم تاريخ طويل متصل فى المدينة . كما تدعى النشرة كون القدس عاصمة لإسرائيل منذ ١٩٤٨م فهى مقر الرئاسة والكنيست ، والمحكمة العليا ، والوزارات والحاخامية ، والوكالة اليهودية والمنظمات الصهيونية والكثير من المؤسسات اليهودية . وأنه فى عام ١٩٦٧م عادت المدينة إلى وحدتها كعاصمة أزلية لإسرائيل .

وتتناول النشرة علاقة المدينة بالمسيحيين والعرب (تصر النشرة على عدم استخدام كلمة إسلام أو مسلمين) فتحاول تحجيم هذه العلاقة والتقليل من شأنها ووصف الحكمين المسيحى والعربى بأنهما حكم أجنبى للمدينة ، كما تحجم أعداد السكان المسيحيين والمسلمين لكى يظهروا دائمًا وأبداً كأقلية فى المدينة فى مقابل أغلبية يهودية .

وبالنسبة للحكم الإسلامى تدعى النشرة أن الحكم الإسلامى لمدة ٤٨٠ عامًا من ظهور الإسلام وحتى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى . ومنذ ذلك التاريخ وحتى عام ١٩٤٨م لم يتجدد الحكم العربى (الإسلامى) مرة أخرى وإن حكمت المدينة عناصر إسلامية غير عربية

مثل الأكراد والأتراك وغيرهم . وفي هذه محاولة واضحة لتفتيت التاريخ الإسلامي وعدم النظر إليه على أنه تاريخ واحد بصرف النظر عن العنصر الحاكم والتركيز على العرقية أو القومية الحاكمة (مثل الكردية والعثمانية وغيرها) والحكم في النهاية بأن العرب لم يحكموا القدس سوى الفترة الأولى من العصر الإسلامي . ويعكس هذا الرأى المنظور التاريخي اليهودي الصهيوني للتاريخ الإسلامي . وتدعى النشرة أن الدين الإسلامي لايطالب بسيادة سياسية إسلامية على القدس . والدليل على ذلك كما تدعى النشرة أيضًا قبول الدول العربية لتدويل القدس . وأن القدس لم تكن أبداً عاصمة سياسية للمسلمين . وتدعى النشرة أيضًا أن الحكم (العربي) للقدس لم يكن حكمًا ثابتًا أو آمنًا وظلت المدينة بعيدة عن مراكز النشاط السياسي والثقافي للمسلمين . بل لقد تعرضت المدينة للدمار على يد المسلمين الذين أحرقوا الكنائس والمعابد(٩٠) .

وتواصل النشرة أكاذيبها فتدعى أن سائحًا مسيحيًا أحرق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م ، وأن إسرائيل منعت حرق المسجد الأقصى باستدعائها للمطافي وأن إدارة الوقف الإسلامي حاولت منع قيام إسرائيل بإصلاح المسجد .

مسألة تدويل القدس :

بعد إعطاء هذا التاريخ اليهودي الخالص للقدس ، وإخراج العرب والمسلمين من تاريخ القدس ، واعتبار القدس عاصمة موحدة لإسرائيل

تعطى النشرة أسباب الرفض الإسرائيلى لتدويل القدس . وأسباب الرفض هى أن السيادة الإسرائيلية على القدس تستند إلى حقوق تاريخية وأنها لا تتعارض مع المصالح المسيحية والإسلامية فى المدينة، وأن الديانات المعنية لاتعتبر التدويل واجبًا دينيًا كما أنه ليس الطريقة الوحيدة لضمان المطالب الشرعية لهذه الديانات فهناك طرق أكثر فاعلية من التدويل والمقصود طبعًا أن السيادة الإسرائيلية هى التى تضمن تحقيق هذه المطالب . وأنه أيضا لايمكن تقرير مصير مدينة منفصلة عن مصير سكانها وشعبها المرتبط بها لمدة ثلاثة آلاف عام . ولايمكن لسكان المدينة أن يضعوا مصلحتها فى يد هيئة دولية غامضة ، وأن فرض التدويل على السكان معناه سلبهم حق تقرير المصير ، وأن حماية الأماكن المقدسة لايبرر تدويل مدينة بأسرها وبسكانها وإلا فإن تدويل مكة وربما يصبح ضرورة أو تدويل باريس بما فيها من كنوز فنية عزيزة على الجميع [٩١]. إن أفضل وسيلة لحماية المقدسات هو أن تخلع عنها الصفة السياسية وتعين سلطة إدارية عليها وإسرائيل قادرة على فعل هذا وأنه لايمكن تحقيق شئ أفضل مما حققته الإدارة الإسرائيلية من حماية للمقدسات . فإسرائيل تمتنع عن التدخل فى شئون المقدسات وهى معنية فقط بحمايتها وتأمينها . ولاتوجد هيئة دولية تنجح فى إدارة موقع ما لفترة طويلة من الزمن فمثل هذه الهيئة تخضع للمصالح السياسية للدول الأعضاء الذين إذا اختلفوا أصيبت هذه الهيئة الدولية بالشلل[٩٢] .

وتعود النشرة لتؤكد من جديد أن القدس الكاملة الموحدة عاصمة إسرائيل وغالبية سكانها يهود إسرائيليون وكما أن السعودية ترفض تدويل مكة وإيطاليا ترفض تدويل روما فإسرائيل أيضا ترفض ترك القدس لإدارة دولية تصبح مصدراً للصراع والتوتر ولا تصبح مدينة السلام وحكومة إسرائيل مستعدة للالتزام دوليًا لتأمين مصالح كل الأديان في القدس .

أما عن الوضع الحالى للمدينة فتلخصه النشرة فى أن القدس مدينة مفتوحة للجميع وأنها مدينة تمارس فيها حرية الأديان وحماية المقدسات فيها مضمونة . وهى مدينة تحت سيادة حكومة واحدة وطنية وليست أجنبية ، وأن المدينة تتمتع بالرخاء الذى لم تشهده طوال تسعة عشر قرنًا من الزمان .

وتتحدث النشرة الرسمية عن مستقبل القدس فتشير إلى ضرورة تطوير القدس وتنميتها لمواجهة المشاكل الاجتماعية والاقتصادية للمدينة وزيادة الحركة السكانية فيها بعد تحويلها إلى مدينة مفتوحة منذ عام ١٩٦٧م . كما أنها تحتاج إلى عناية خاصة لكونها مركزاً روحيًا وثقافيًا. وقد حددت النشرة أنواع التنمية المطلوبة للمدينة وذلك من خلال التنمية الصناعية وخطط التعمير أو التمنية السكانية وإنشاء المدارس والجامعات والمعاهد العليا لمواجهة النمو السكانى للمدينة .

وتعطى النشرة فى النهاية مقارنة بين وضع المدينة الموحدة تحت السيادة الإسرائيلية والمدينة المقسمة تحت السيادة الأردنية والمدينة فى ظل التدويل لتخرج بنتيجة مسبقة أن سيادة إسرائيل على المدينة هى أفضل الطرق لحمايتها وتنميتها [٩٣].

القدس فى السياسة الإسرائيلية الحالية :

يمكن القول بأن هذا الوضع الرسمى للقدس فى السياسة الإسرائيلية لم يتغير بل ازداد تأكداً وتثبيتًا مع مرور السنين . وقد ادركت السلطات الإسرائيلية منذ عام ١٩٦٧م أن السيطرة السياسية على المدينة مرتبطة بالسيطرة الديموجرافية . ولذلك عملت السلطة الإسرائيلية على تغيير الوضع السكانى للمدينة وأصبح نسبة عدد السكان اليهود حسب الاحصاءات الإسرائيلية ٢ . ٧٤٪ فى عام ١٩٦٧م ونسبة ٨ . ٢٥٪ من غير اليهود وأغلبهم عرب فلسطينيون . ويشكل الإسرائيليون الأغلبية فى المناطق التى ضمت بعد ١٩٦٧م . وتؤدى السيطرة الديموجرافية إلى تقليص الخيارات السياسية الممكنة فى أية تسوية سلمية . ولذلك فعملية تهويد المدينة سكانيًا تسير بخطى واسعة لفرض الأمر الواقع فى التسوية السياسية .

والموقف الإسرائيلى من الناحية الدينية لايزال على ماهو عليه فالأماكن المقدسة لاتحتاج إلى نظام دولى خاص . ولايزال الإسرائيليون يشيرون فى مناقشاتهم إلى وضع مكة وروما واستنبول كأماكن مقدسة

بالنسبة للمسلمين والكاثوليك والأرثوذوكس الشرقيين على التوالى . وتضيف إليها المؤسسات الإسلامية فى الهند والأماكن المقدسة للشيعة فى العراق ففى كل هذه الأماكن لم يتم طلب وضعها تحت الحماية الدولية .

هذا وقد قام مركز يافى للدراسات الاستراتيجية بعمل دراسة حديثة عن وضع القدس (٩٤). وقد قام بهذه الدراسة دورى جولد Dore Gold مدير مشروع « السياسة الأمريكية الخارجية والدفاعية » فى مركز يافى للدراسات الاستراتيجية والتابع لجامعة تل أبيب . وقد كان جولد مستشاراً فى الوفد الإسرائيلى إلى مؤتمر مدريد ومحادثات واشنطون عام ٩١ - ١٩٩٢م وقد حدد جولد فى دراسته مواقف الأطراف الرئيسية فى قضية القدس فى دبلوماسية الشرق الأوسط ، وقد ربط السيطرة السياسية على القدس بالسيطرة الديموجرافية كما أشرنا من قبل . وأن هذا الربط سيكون له تأثيره الكبير فى أية مفاوضات بشأن القدس بين إسرائيل والفلسطينيين . وأكد على رفض اختيار تدويل القدس بسبب المقدسات التابعة للأديان المختلفة فيها مقارنًا ذلك بوضع المقدسات الدينية فى العالم وكيف أنها لا تخضع لنظام دولى خاص . وأكد على أن القدس مركز دينى سياسى لليهودية وللشعب اليهودى وهى مركز للتطلعات الدينية والقومية اليهودية وأشار إلى مكانة القدس فى التعاليم اليهودية . وأنها إحدى البؤر المركزية للوعى الدينى اليهودى . وأن الارتباط اليهودى ليس بالأماكن المقدسة فى القدس ولكن هو

ارتباط بالقدس كلها . وفى مقابل هذا أشار إلى أن القدس فى الإسلام ليست لها مكانة القدس فى اليهودية فهى ليست دائمًا فى قلب الوعى الإسلامى وأن سقوطها فى يد الصليبيين لم يحدث ردة فعل أولية قوية عند الخلافة العباسية وأن بعض علماء المسلمين مثل ابن تيمية انتقد التبجيل المبالغ فيه للقدس وأن هذا مأخوذ من اليهودية . وأكد أيضا على أن القدس عاصمة سياسية وروحية لليهود ، بينما هى مجرد مركز روحى عند المسلمين وليست مركزاً سياسيًا[٩٥] .

ولم تختلف سياسة حزب العمل عن حزب الليكود فيما يتعلق بالوضع السياسى للقدس وفرض السيادة السياسية عليها كمدينة موحدة . وقد وافق الكنيست على بيان مقدم من حزب الليكود فى أغسطس ١٩٩٤م على بقاء القدس الموحدة تحت السيادة الإسرائيلية " عاصمة إسرائيل الأبدية وعاصمتها وحدها " وتمت الموافقة على البيان بأغلبية ٧٧ صوتا فى مقابل ٩ أصوات وأيده كل الوزراء فى حكومة رابين .

وتطرح رؤية جولد ثلاثة حلول ممكنة لقضية القدس وهى الحل الجغرافى والحل الدينى والحل البلدى . أما الحل الجغرافى فيتمثل فى تجزئة السيادة على المدينة بحيث تصبح القدس الشرقية تحت الحكم العربى بما فيها البلدة القديمة . وهذا الحل لايقبله الإجماع الحالى للرأى العام الإسرائيلى حيث يعارضه حزبا العمل والليكود وسيكون بمثابة "هزيمة دبلوماسية " كبرى لإسرائيل لأنه مناقض جوهريًا للتطلعات

السياسية لكل الحكومات الإسرائيلية منذ ١٩٦٧م وسيؤدى هذا الحل إلى انقسامات شديدة داخل إسرائيل لم ولن تحدث مع أماكن أخرى مثل سيناء والجولان والضفة الغربية . وحسب رأى يهودا بن مئير هذا الحل يرفضه الرأى العام الإسرائيلى بقوة وكذلك يرفضه اليهود فى العالم، وسيسبب أزمة كبرى بين إسرائيل ويهود الخارج ، وستفقد أية حكومة إسرائيلية شرعيتها فى حالة قبولها للتقسيم أو التخلى عن السيادة الإسرائيلية على أى جزء من القدس (٩٦).

أما الحل الدينى فهو الحل المفضل عند كل الحكومات الإسرائيلية منذ ١٩٦٧م ويتمثل فى السيادة الإسرائيلية على القدس الموحدة مع حماية الأماكن المقدسة وضمان حرية العبادة فيها . ويمكن أن يصبح الحل الدينى فى مفاوضات الوضع النهائى أساسا لتفاهمات مؤقتة خاصة بشأن القدس وينبه التقرير الذى قام به جولد إلى أن على إسرائيل أن تركز على قضايا الإدارة مع إبقاء مسألة السيادة على القدس الموحدة مغلقة . والتنبيه أيضًا إلى محاولات استغلال أى تنازل إسرائيلى فى موضوع الإدارة لتحقيق أى نوع من السيطرة الجغرافية تحت غطاء الوقف .

أما الحل البلدى فهو وسيلة للتعامل مع المطالب الفلسطينية فى القدس . وهذا الحل البلدى تبناه رئيس بلدية القدس السابق تيدى كوليك. فقد تقدم بمفهوم البلدة الحى لطمأنة الفلسطينيين فى القدس إلى

أن السيادة الإسرائيلية لن تهدد نمط حياتهم . وقد اقترح إقامة شبكة مكونة من بلدات صغيرة أو أحياء تتمتع بحكم ذاتى محلى على غرار بلديات لندن حيث تتمتع كل بلدة / حى بميزانية خاصة وبقدر من الاستقلالية . وهو تخطيط لنظام البلدة يقوم على أساس الانتماء الدينى القومى النابع من طبيعة التوزع الديموجرافى للجماعات السكانية فى القدس (٩٧).

ويحذر جولد من استغلال الفلسطينيين لهذا الحل البلدى وذلك بالسيطرة على تخطيط المناطق وتصاريح البناء فى مسائل بلدية لكنها تنطوى على مضامين سياسية متصلة بالتوازن السكانى بين العرب واليهود فى القدس كلها وقد يصل الصراع فيها إلى المستوى القومى حين يحاول الفلسطينيون الانتقال من الحل البلدى إلى الحل الجغرافى كاستراتيجية أساسية للفلسطينيين . ويحذر التقرير من إنشاء بلدية مستقلة فى القدس فى إطار الانتخابات البلدية الفلسطينية ستساهم كخطوة فى تعزيز فكرة القدس كعاصمة ثنائية القومية من ناحية المفهوم حيث تشير إلى الشرعية والتكافؤ فيما يتعلق بالمطالب الفلسطينية فى المدينة وحيث سيدير الفلسطينيون شئون حياتهم اليومية ، وسيعززون مؤسساتهم ووجودهم ، ويستقلون بالتدريج عن المؤسسات والخدمات الإسرائيلية فيما يوصف باسم السيادة " الزاحفة " لتأكيد السيادة المنفصلة ويشير إلى مطالبة منظمة التحرير الفلسطينية عام ١٩٩٣م بإعادة إنشاء بلدية القدس الغربية التى ألغتها إسرائيل عام ١٩٦٧م

كما أن المجلس الوطنى للقدس أنشئ عام ١٩٩٤م كبلدية ظل للعرب الفلسطينيين فى القدس الشرقية وكمركز تنسيق شئون السلطة الفلسطينية .

ويصل التقرير فى النهاية إلى أن الخلافات حول القدس لايمكن التوفيق بينها ولذلك يجب على إسرائيل أن تحمى مصالحها فى هذه المسألة من خلال خطوات محددة هى :

١ - تجنب إقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية . وذلك بحصر الدولة الفلسطينية فى قطاع غزة لتبرز مدينة غزة كعاصمة طبيعية لفلسطين أما إقامة دولة فى الضفة الغربية فمعناه تحول أكبر مركز تجمع سكانى لهم فى القدس الشرقية إلى عاصمة سياسية . ويطالب التركيز على الخيار الأردنى الكامل لتسوية مشكلة الضفة الغربية وذلك ليقل الضغط لإقامة عاصمة سياسية فى القدس الشرقية .

٢ - تجنب وضع المنطقة المحيطة بحدود المدينة مباشرة تحت السيادة الفلسطينية حتى لاتسعى السلطة الفلسطينية إلى إيجاد تواصل جغرافى بين المراكز السكنية التابعة لها فى الضفة الغربية والقدس الشرقية . ويصف التقرير الوضع السكانى فى منطقة القدس الكبرى بأنه لايدعو إلى الاطمئنان حيث أن التوازن السكانى متعادل ويخشى من رجوح كفة السكان الفلسطينيين فى منطقة القدس الكبرى وسيكون لذلك تأثير فى الأمن . ولذلك يجب تعديل كفة

النمو المتواصل للفلسطينيين والقيام بمشاريع إسكان واسعة والعمل على تدفق المهاجرين اليهود إلى القدس ، وعملت حكومة رابين على إقامة حزام إسرائيلى حول القدس الكبرى كما أن حركة البناء فى القدس الكبرى على أشدها .

٣ - أن تطالب إسرائيل بعد الانسحاب الكامل إلى حدود ١٩٦٧م لإقامة حدود للدفاع عنها وإقامة عمق استراتيجى للقدس لحمايتها . ويجب أن تسعى إسرائيل إلي تحقيق تواصل جغرافى بين منطقة القدس الأمنية وشمال البحر الميت لتعزيز محيط القدس الدفاعى، وتقوية وضع المدينة الاقتصادى مستقبلا والحماية من أى تدهور أمنى داخلى ممكن فى مناطق الحكم الذاتى القريبة من القدس ، كما أن هذا سيحول دون تحويل الحل الدينى أو البلدى إلى حل جغرافى . فالسيطرة الجغرافية سينتج عنها قطاع عربى منعزل فى القدس الشرقية عن باقى الضفة الغربية ولايمكن أن يتحول إلى عاصمة وطنية (٩٨).

٤ - التركيز على الأردن كشريك إسلامى مجاور فى مسألة القدس فهو يمثل الحل الدينى والابتعاد عن الفلسطينيين الذين يمثلون الحل الجغرافى ، وجعل الأردن الشريك الأول لإسرائيل فى إدارة الأماكن المقدسة أفضل من أن يكون الشريك تجمعًا للدول العربية مع الاستعداد لتأليف هيئة إسلامية يقبلها الأردن ترعى المصالح الإسلامية على مستوى الحل الدينى بدلا من الحل الجغرافى الخالص .

٥ - الإسراع فى وتيرة تطبيع العلاقات الإسرائيلية مع الدول العربية والإسلامية لأن ذلك يقلل من قدرة منظمة التحرير الفلسطينية على تعبئة الرأى العربى والإسلامى بشأن القدس . فهذه الدول لن تكون مستعدة للتضحية بمصالحها الحيوية مع إسرائيل دعمًا للمصالح الفلسطينية فى القدس . كما أن هذه الدول بعد التطبيع ستتبنى مواقف واقعية بشأن القدس تأخذ فى الاعتبار الحد الأدنى المقبول عربيًا وإسلاميا .

٦ - ضرورة إقناع العالم العربى بحجج إسرائيل الخاصة بالاحتفاظ بالسيادة الإسرائيلية على القدس .

٧ - الاعتماد على الولايات المتحدة الأمريكية فى تعيين حدود واقعية لمواقف الأطراف فى مسألة القدس . وتقوية اتجاه الولايات المتحدة نحو الحل الدينى بتأكيد دور الأردن الدينى الخالص فى الأماكن المقدسة فى القدس . وعلى الولايات المتحدة الأمريكية ضمان عدم استخدام القدس كأداة لتقويض عملية السلام ككل . وضرورة التوصل إلى تفاهم مبكر مع أمريكا ينشأ عنه نمط من التعايش فى ظل تسوية مؤقتة غير رسمية بشأن القدس . وأن تقوم أمريكا بنقل سفارتها إلى القدس الغربية لتحسين وضع إسرائيل التفاوضى حول القدس (٩٩).

وفى النهاية يستنتج التقرير أن لجوء الفلسطينيين إلى استئناف الانتفاضة من أجل القدس لن يحقق شيئًا لأن الصراع على القدس ينطوى على قيمة مركزية للحركة الصهيونية ولليهودية بخلاف أى موقع آخر تضعف فيه الإرادة الوطنية الإسرائيلية أمام الإرادة الفلسطينية كما حدث بالنسبة لغزة والضفة .

سياسة الليكود تجاه القدس :

سبقت الإشارة إلى اتفاق الحزبين الرئيسيين ، العمل والليكود ، على بقاء القدس عاصمة موحدة لإسرائيل وقد أكدت سياسة بنيامين نيتانياهو هذا الخط الاستراتيجى الأساسى بالنسبة للقدس .

وقد نشرت جريدة معاريف مسودة برنامج حكومة نيتانياهو وقد ورد فيها بشأن القدس ما يلى :

" القدس الكاملة عاصمة إسرائيل الخالدة هى مدينة واحدة تحت سيادة إسرائيل وغير قابلة للتقسيم وستعمل على ضمان حرية العبادة والوصول الحر إلى الأماكن المقدسة لكل الأديان وستحبط الحكومة كل محاولة للمس بوحدة القدس ، وستمنع كل نشاط لاينسجم مع السيادة المطلقة لإسرائيل على المدينة ، وستضع الحكومة تحت تصرف بلدية القدس مصادر معتبرة لحث البناء وتحسين الخدمات البلدية للسكان العرب وترسيخ المكانة الاقتصادية والاجتماعية للقدس الموسعة " .
"جريدة معاريف يوليو ١٩٩٦م"(١٠٠) .

وقد بدأت الحكومة الإسرائيلية الجديدة مواصلة السياسة السابقة فيما يتعلق بالقدس وذلك لاستكمال تهويد المدينة ، وطمس هويتها العربية الإسلامية وهدف الليكود يتمثل فى القدس الكبرى الموسعة اليهودية الخالصة وذلك من خلال الدمج التام بين شرق المدينة وغربها وتحويل الأحياء العربية إلى مناطق منعزلة مفتتة إلى وحدات سكنية صغيرة ، وإنجاز تطويق القدس بالحزام الاستيطانى ، وقطع التواصل الجغرافى بين المدن العربية فى الضفة وتمزيق الوحدة الجغرافية للضفة الغربية . وتتولى حكومة الليكود حاليًا تنفيذ مشروع شارون القديم الذى يتضمن إقامة ١٨ مستوطنة لمحاصرة القدس وسد الفجوات بين الأحياء اليهودية فيها ، وإقامة طوق استيطانى حول الأحياء العربية . وتعرف طريقة شارون فى العمل الاستيطانى بثنائية الأحزمة والبؤر وذلك لتطويق التجمعات العربية بالمستوطنات ثم الاندفاع إلى الداخل عن طريق البؤر الاستيطانية لتفتيت التجمعات العربية [١٠١]. وتطبق الحكومة الإسرائيلية سياسة مصادرة الأراضى العربية بالقدس للأغراض الأمنية كما تدعى ، وتحاول القضاء علي المواطنة الفلسطينية لعرب القدس بتشجيعهم على التجنس بالجنسية الإسرائيلية وإزالة جميع الرموز الفلسطينية الرسمية فى القدس الشرقية وفى مقدمتها بيت الشرق ، وتقويض المسجد الأقصى باجراء الحفريات أسفله مع استخدام الآليات الضخمة بدلا من الحفر اليدوى وذلك لتقويض دعائم المسجد وإحداث موجات اهتزازية عنيفة تعجل بدمار المسجد . كما تسعى

إسرائيل أيضًا إلى تطبيق مبدأ تقسيم المسجد بين اليهود والمسلمين كما فعلت فى الحرم الإبراهيمى . وكلها وسائل متنوعة للتهويد الساعى إلى طمس المعالم العربية والإسلامية للمدينة .

وهناك سياسة إسرائيلية ثابتة فيما يتعلق بالقدس حيث تطبق سياسة تمييز منهجى مقصود ضد السكان الفلسطينيين ، وسياسة إعمار القدس تقوم على اعتبارات سياسية قومية تهدف إلى تعزيز السيطرة الإسرائيلية وإيجاد واقع ديموجرافى يحبط أية محاولة في المفاوضات المستقبلية للطعن فى السيادة الإسرائيلية على المدينة . وتسهل الحكومة الإسرائيلية الإعمار المكثف والاستثمارات الضخمة فى الأحياء اليهودية من القدس الغربية وتشجع الاستيطان وتخنق الإعمار والبناء للفلسطينيين[١٠٢] .

الفصل الخامس

استراتيجية المواجهة

هناك عدة جبهات يجب التعامل معها من أجل وضع استراتيجية شاملة للمواجهة مع الشخصية الإسرائيلية ومع المجتمع الإسرائيلى . فهناك أولاً جبهة إسرائيلية داخلية على مستوى الفرد والجماعة ، وهناك أيضًا جبهة خارجية تشتمل على يهود الخارج فى أمريكا وأوروبا ، كما تتطلب أيضًا التأثير على الدور الأمريكى والأوروبى فى قضية الصراع فى الشرق الأوسط ، وهناك أخيراً الجبهة المصرية والعربية التى تتطلب جهوداً عظيمة لتنميتها وتطوير أدائها لتكون قادرة على إحداث التأثير المؤدى إلى التغير .

أولا : كيفية التأثير على الشخصية الإسرائيلية وعلى المجتمع الإسرائيلى :

بعد التحليل السابق للشخصية الإسرائيلية ولطبيعة العناصر المكونة لهذه الشخصية يمكن وضع تصور لإمكانية التأثير على هذه الشخصية من خلال استغلال الظروف التى أتاحها السلام والتى سيتيحها فى المستقبل بعد تمام عمليات التفاوض مع الفلسطينيين والسوريين والدخول فى مرحلة التطبيع الثقافى بين إسرائيل والعالم العربى . ونود أن نقول بداية . أن عملية التأثير فى الشخصية الإسرائيلية عملية ثقافية تعتمد فى المقام الأول على الفهم السليم لهذه الشخصية على المستويات

النفسية والاجتماعية والدينية ، والمعرفة السليمة بالمقومات الثقافية والتراثية لهذه الشخصية . والتعرف أيضًا على البنية الثقافية للشخصية الإسرائيلية بخلفياتها المتعددة وعناصرها المتباينة .

ونقدم فى التحليل التالى بعض الوسائل التى يجب تطويرها واستخدامها للتأثير فى الشخصية الإسرائيلية والعمل على تغيير اتجاه هذه الشخصية ، بهدف تحقيق تغيير رؤية المجتمع الإسرائيلى لنفسه وللعرب وللمسلمين ، ونؤكد أن هذا التغير ممكن ولكنه يحتاج إلى مناخ السلام الآمن المستقر الذى يسمح بخروج الإسرائيلى من الجيتو الذى يعيش فيه ، والتصرف الطبيعى السوى مع جيرانه والدخول فى علاقات طبيعية معه فالتغيير القائم على أسس ثقافية وفكرية لايمكن أن يتم فى مناخ الحرب والتوتر والقلق والتعصب فهو مناخ لايوفر أدنى درجة من الاتصال بالآخر والاحتكاك به وفهمه .

وفيما يلى عرض لهذه الوسائل :

١ - وسيلة الاندماج فى ثقافة الشرق الأوسط العربى :

نجحت وسيلة الاندماج قديما فى تذويب الجماعة اليهودية داخل المجتمع العربى الإسلامى . ونطمع فى أن تسمح الظروف الجديدة التى ستصبح متاحة بعد السلام مع إسرائيل فى أن تبدأ عملية اندماج للشخصية الإسرائيلية أولا وللمجتمع الإسرائيلى ثانيا فى المجتمع الجديد مجتمع الشرق الأوسط المفتوح الذى تسوده الثقافة العربية

الإسلامية ، وتحول المجتمع الإسرائيلى إلى ما يشبه الطائفة أو الأقلية التى تعيش فى ظل ثقافة وحضارة الأغلبية خاصة إذا ما كانت حضارة الأغلبية حضارة متسامحة تقبل التعددية على المستوى الدينى والثقافى وهو حال الثقافة العربية الإسلامية كما يثبت ذلك ماضى الثقافة اليهودية فى العالم الإسلامى .

والاندماج الإسرائيلى فى ثقافة الشرق الأوسط العربى يحتاج إلى إجراء عدة عمليات فكرية على الشخصية الإسرائيلية مع عدم وجود أى تخوف من الطرف العربى . ومن الممكن طمأنة الشخصية الإسرائيلية على السلوك الثقافى والحضارى للأغلبية العربية من خلال اعطاء الخلفية التاريخية والدينية على حدوث التعايش الثقافى فى الماضى وعلى ازدهار الحياة اليهودية الخاصة داخل إطار المجتمع العربى الإسلامى . ولا تعوزنا الأدلة على ذلك فالمجتمع العربى الإسلامى هو المجتمع الوحيد فى العالم القديم والوسيط الذى استطاع فيه اليهودى تحقيق ذاته والاحتفاظ بعقيدته وثقافته فى مناخ من التسامح الدينى والثقافى ، وفى إطار من الحماية الدينية التشريعية ، والاعتراف بحقوق المواطنة والتمتع بجميع الحقوق والالتزام بكل الواجبات ، وكانت أبواب المجتمع الإسلامى مفتوحة على مصراعيها لكل الأنشطة والفعاليات اليهودية كأقلية دينية تتمتع بالحرية والمساواة فى ظل مفاهيم أهل الذمة وأهل الكتاب وهى مفاهيم يمكن احياؤها من جديد مع اليهودى فى المجتمع العربى والإسلامى فنضمن له الاطمئنان والاستقرار .

وسيؤدى الاندماج اليهودى فى الشرق الأوسط العربى إلى إحداث عدة تأثيرات فى الشخصية اليهودية من أهمها إخراج اليهودى من سجنه الجيتوى على الرغم من أنه يمثل دولة داخل الشرق الأوسط العربى . ويفتح أمامه مجال الاتصال بالثقافة العربية ومقابلتها ومقارنتها بالثقافة اليهودية والإسرائيلية ويؤدى هذا بالتدريج إلى حدوث ازدواجية ثقافية تجمع بين الثقافتين اليهودية والعربية فى اتجاه متقدم ومطرد تجاه الثقافة العربية الغالبة بطبعها وصاحبة السيادة بصفاتها العالمية وليس من خلال صفات قهرية غير حقيقية .

وبالإضافة إلى العمل على خروج الشخصية الإسرائيلية من الجيتو الإسرائيلى وثقافته يؤدى الاندماج فى بيئة الشرق الأوسط العربية إلى التخفيف من حدة العنصرية الإثنية فى الشخصية الإسرائيلية وهى عنصرية نتجت عن تبنى الأيديولوجية الصهيونية بنزعتها القومية العنصرية المعتمدة على مفاهيم العزل العنصرى بين اليهودى والعربى والتى بالتأكيد لها تأثير كبير فى منع عمليات الاتصال الطبيعى بين البشر حيث بنت نفسها على اتجاه عنصرى قديم يقسم الناس إلى يهود وغير يهود وظفته الصهيونية الحديثة التى طورت نظرية أفضلية اليهودى على غير اليهودى كما تطورت نظرية كراهية غير اليهود لليهود فيما يعرف مغالطة باسم " المعاداة للسامية " والتى على أساسها قامت الحركة القومية اليهودية التى اتخذت مسمى « الصهيونية » .

سيؤدى الاندماج فى ثقافة الشرق الأوسط إلى تحول الشخصية الإسرائيلية من شخصية تعصبية عنصرية إلى شخصية متسامحة مع الثقافات الأخرى وبخاصة مع الثقافة العربية وهناك إمكانية هائلة لحدوث هذا إذا ما تم تصحيح الرؤية الإسرائيلية للعرب والتى تطورت خلال سنوات الصراع فى الشرق الأوسط وبواسطة يهود لم تكن لهم علاقة بالعالم العربى وهم يهود الغرب الذين هاجروا إلى إسرائيل وأصبحوا صناع القرار فيها . وتصحيح هذه الرؤية يتم من خلال تثقيف الشخصية الإسرائيلية فى ماضى العلاقات الثقافية بين اليهود والعرب والتأكيد على أن العرب لم يكن لهم دور على الإطلاق فى تنمية معاداة اليهود أو ما يسمى بالمعاداة للسامية وذلك لأن العرب موضوع لهذا العداء بحكم ساميتهم الأصلية وأنهم واليهود فى قارب واحد . والتأكيد أيضًا على أنه فى الوقت الذى تطورت فيه معاداة اليهود فى أوروبا كان الشرق العربى المسلم الملجأ الذى لجأ إليه اليهودى فراراً من الاضطهاد الأوروبى المسيحى . وفى العالم العربى الإسلامى تطورت الثقافة اليهودية فى المركز العربى الإسلامى ، وأخذت الديانة اليهودية والفكر اليهودى صياغة جديدة مستفيدة من الثقافة العربية الإسلامية المتقدمة

وسيؤدى الاندماج اليهودى فى بيئة الشرق الأوسط إلى تفاعل كبير بين الثقافة اليهودية بخصوصيتها والثقافة الإسلامية بعالميتها . وسيفتح هذا الباب أمام حدوث التأثير الإسلامى . ولدى الإسرائيلى ما يقدمه فى هذا التفاعل من خلال توظيف إمكاناته التكنولوجية فى خدمة

الثقافة العربية واستخدام التقدم العلمى فى إحداث نهضة علمية يستفيد منها الجميع . وهذا يوضح أن الثقافة اليهودية لن تكون ثقافة مستفيدة فقط ولكن يمكن لها أن تكون ثقافة مفيدة ومعطية لبيئة الشرق الأوسط العربى . وهو وضع يجعلها متميزة عن الوضع اليهودى السابق فى العصر الوسيط حيث لم يكن لدى الثقافة اليهودية ما تعطيه فكانت ثقافة متأثرة ومستفيدة من الثقافة العربية الإسلامية السائدة دينيًا وحضاريا وعلميًا . وهذا أمر يجعل الثقافة الإسرائيلية الحديثة فى وضع الثقافة الفاعلة المؤثرة ولا تشعر بالدونية داخل بيئة الشرق الأوسط العربى . ونعتقد أن هذا لن يؤثر سلبًا على العرب فالثقافة العلمية الإسرائيلية وما تملكه من تكنولوجيا هى مجرد مصدر من عدة مصادر للتكنولوجيا ولن تكون أبداً المصدر الوحيد .

أما عن كيفية تحقيق اندماج اليهودى الإسرائيلى فى الثقافة العربية فهذا أمر يحتاج إلى تخطيط ثقافى تقوم عليه هيئات علمية على دراية بطبيعة المشاكل الثقافية فى الشرق الأوسط وعلى معرفة ممتازة بالثقافة العربية وبالحضارة الإسلامية وأيضًا بالثقافة اليهودية والإسرائيلية . إن شرقنة إسرائيل - أي تحويلها إلى بلد شرقى - عملية فكرية ثقافية تحتاج إلى وضع استراتيجية طويلة المدى تعمل على إضعاف صلة الإسرائيلى بالثقافة الغربية ، وتخفيف حدة تعصبه للثقافة اليهودية، وحسن تقديم الثقافة العربية إليه ، وإن كان هذا الجزء الأخير سيتم بشكل تلقائى نتيجة الانفتاح على ثقافة الشرق الأوسط فى صورة طبيعية يوفرها مناخ السلام الآمن المستقر .

٢ - مخاطبة النزعة الإنسانية فى الشخصية الإسرائيلية :

تمكنت الأيديولوجية الصهيونية خلال قرن من طمس الاتجاه الإنسانى أو النزعة الإنسانية فى الشخصية اليهودية والإسرائيلية وذلك بالتركيز على مفاهيم القومية والخصوصية والأفضلية والانعزالية والأفكار الخاصة بكراهية اليهود وما يعرف اصطلاحًا بالمعاداة للسامية ، وحققت بهذا عزلة الإنسان اليهودى عن غير اليهودى . وقبل ظهور الصهيونية حققت الشخصية اليهودية درجة كبيرة من الاتصال بالثقافة الإنسانية وبخاصة العالمية منها مثل الثقافة الإسلامية فى العصر الوسيط والثقافة الأوروبية فى العصر الحديث .

وقد تم توظيف الأدبيات اليهودية والإسرائيلية لتكريس الاتجاه القومى على حساب الاتجاه الإنسانى العام إلى الحد الذى أصبح معه الأدب العبرى الحديث أدبًا صهيونيًا موظفًا لخدمة الأيديولوجية الصهيونية وخلا تمامًا من معالجة القضايا الإنسانية العامة وأصبح أدبا قوميا خالصا يحض على كراهية الآخرين وكراهية الإنسان العربى على وجه التحديد .

ونود أن نعترف بداية أن اليهودى إنسان يشترك فى الثقافة الإنسانية وتهمه القضايا والمشاكل الإنسانية . وبسبب طغيان الفكر الصهيونى تم طمس هذه النزعة الإنسانية العامة لتحل محلها نزعة عنصرية قومية بحتة والدليل على ذلك المشاركة الفعالة لليهودى فى

الثقافة الغربية والاندماج فيها ومساهمته القوية فى بنائها وتطويرها ومشاركته أيضًا فى قضاياها وأبعادها الإنسانية .

والمطلوب الآن بالنسبة للشخصية الإسرائيلية العمل على إحياء النزعة الإنسانية وتقوية الاتجاه الإنسانى فيها ، ونعتقد أن مناخ السلام الآمن المستقر سيعطى فرصة للإنسان الإسرائيلى لكى يتعامل إنسانيًا مع الشخصية العربية فالحروب المتوالية ، والاعتماد على مبدأ القوة الأيديولوجية الصهيونية حولت الإسرائيلى إلى مخلوق لايهتم بالجانب الإنسانى ولا بالعواطف الإنسانية خاصة فى التعامل مع الآخرين كما يظهر ذلك فى الممارسات اليومية مع العرب الفلسطينيين .

وواجب المثقفين العرب هنا توضيح هذا البعد اللاإنسانى فى السلوك الإسرائيلى وتعرية الأدب العبرى الحديث بفضح هذا الاتجاه إلى كراهية الإنسانية وعدم الاهتمام بالقضايا الإنسانية العامة ، والتركيز الشديد على قضايا الإنسان اليهودى والإسرائيلى . ومن الممكن أيضًا أن تقوم اللجان المتخصصة المختلفة بعمل الدراسات اللازمة عن الشخصية اليهودية الإسرائيلية لإبراز هذا البعد اللاإنسانى وذلك باستخدام مناهج علم النفس وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا وعلم الأخلاق فضلا عن علوم الدين والفلسفة . الهدف من هذا تقديم رؤية نقدية خارجية للشخصية الإسرائيلية وفى شكل علمى موضوعى يجعل الإسرائيليين يقبلون على معرفتها وربما العمل بها . والحقيقة أننا فى حاجة إلى مثل هذه

الدراسات النقدية للشخصية الإسرائيلية فى وقت السلم أكثر من حاجتنا لهـا فى وقت الحرب والصـراع . والسبب فى ذلك الرغبـة فى توعيـة الإسرائيليين بأنفسهم وتعريفهم بسلوكياتهم وعيوب هذه السلوكيات لأننا لا نتوقع أن يأتى هذا النقد من الداخل فى ظل سيطرة الأيديولوجية الصهيونية .

واجبنا أيضًا من خلال الأعمال العلمية الموضوعية تذكير الإنسان الإسرائيلى برصيده الهائل من الأعمال غير الإنسانية ومنها تدمير الثقافة العربية من خلال عمليات التهويد للمكان والزمان ، وتدمير الإنسان الفلسطينى من خلال الممارسات الوحشية التى لا تنتهى .

٣ - التركيز على السلام كهدف استراتيجى ومخاطبة روح السلام فى الشخصية الإسرائيلية :

إن إحدى الوسائل الناجحة لإحداث التغيير فى الشخصية الإسرائيلية وتحقيق اندماجها فى الشرق الأوسط العربى التركيز على السلام كهدف ومبدأ استراتيجى وخيار سياسى لايمكن التنازل عنه فى تسوية الصراع العربى الإسرائيلى ، وبخاصة بعد دخول معظم الأطراف العربية فى مفاوضات السلام مع إسرائيل وموافقة معظم الدول العربية على السلام كخط سياسى عربى عام .

وهنا يجب التوجه إلى الرأى العام الإسرائيلى واليهودى لإقناع الإسرائيليين بضرورة السلام ، وضرورة الحفاظ عليه والمضى فى

المفاوضات إلى نهايتها والوصول إلى تسوية سلمية نهائية . والتأكيد على أن هذا هو الخيار العربى الذى أجمعت عليه الدول العربية والمجتمع الدولى . ويمكن تحقيق ذلك من خلال عدة وسائل من أهمها توضيح محاسن السلام وفوائده بالنسبة للإسرائيليين ، وعرض مكاسب إسرائيل من السلام منذ دخولها فى المفاوضات مع العرب . ومن أهم هذه المكاسب وضع نهاية للحروب والدخول فى عصر الاستقرار والأمن وكذلك توضيح المكاسب الاقتصادية التى جنتها إسرائيل فى عصر السلام ، ودخولها فى علاقات اقتصادية متشابكة مع العديد من الدول . ومطالبة الرأى العام الإسرائيلى واليهودى بمقاومة الاتجاه إلى تجميد المفاوضات العربية الإسرائيلية والتأكيد على استبعاد الحرب كأسلوب لإدارة العلاقات العربية الإسرائيلية وهذا فى حد ذاته يسلب إسرائيل أداة من أدوات الصراع اعتمدت عليها اعتماداً كليًا فى توجيه الصراع وإدارته .

٤ - تشجيع الأحزاب والجهات الإسرائيلية المؤيدة للسلام :

عرفت إسرائيل تياراً قويًا ينادى بالسلام تمثل فى حركات مستقلة مثل حركة « السلام الآن » وتبنت بعض الأحزاب السياسية موقفا إيجابيًا من السلام . وقد انتصرت بعض الشخصيات الفكرية الإسرائيلية للسلام وتوفر لديها إحساس كبير بالمسئولية تجاه السلام .

مثل هذه الحركات والأحزاب والشخصيات لابد من الاستفادة منها فى تقوية النزعة إلى السلام لدى الإسرائيليين لما لها من تأثير داخل

المجتمع الإسرائيلى . ويتطلب هذا من الفلسطينيين أولاً ومن العرب عمومًا الدخول فى حوار وعلاقات تعاون مع هذه الفئات المنادية بالسلام تؤدى إلى التأثير على الرأى العام الإسرائيلى والمشاركة فى صياغة السلام . ويساعد هذا التوجه على عزل القوى المتشددة ضد السلام انطلاقًا من مبادئ إنسانية عامة مثل الدفاع عن السلام ، وحرية التعبير، وحق تقرير المصير والديموقراطية وغير ذلك من المبادئ التى يتفق عليها المؤيدون للسلام من الإسرائيليين والتى أدت إلى اقتناع بعدالة القضية الفلسطينية . ومن أهم الشخصيات الإسرائيلية المدافعة عن السلام " إسرائيل شاحاك ، وديفيد جروسمان وعاموس عوز ، وسامى ميخائيل ، وشمعون بالاص ، وزئيف ماعوز وغيرهم " .

ومن المعروف أن هناك تيارًا إسرائيليا قويا ينادى بالسلام يجب الاتصال به والدخول فى حوار معه والتعاون معه من أجل التأثير على الرأى العام الإسرائيلى الذى يجب أن يقتنع بالسلام من الداخل من خلال عناصر وحركات ومؤسسات وشخصيات إسرائيلية داعية إلى السلام . وقد بذلت هذه العناصر محاولات جادة للاتصال بالفلسطينيين ، وهى تبذل الآن جهوداً لتوسيع دائرة الاتصال بالعرب عمومًا . ونذكر هنا الخطاب الذى وجهه الباحث والخبير الإسرائيلى زئيف ماعوز مدير مركز يافى للدراسات الاستراتيجية والذى يوجه فيه دعوة إلى المثقفين المصريين والعرب للتضامن والعمل المشترك مع أنصار السلام الإسرائيليين لإنقاذ عملية السلام وإخراجها من المأزق الذى وقعت فيه

بعد ظهور نيتانياهو وحكومة الليكود الحالية . ويرى زئيف ماعوز أن النزاع فى المنطقة لم يعد نزاعًا بين العرب والإسرائيليين ولكنه نزاع بين أنصار السلام وأعدائه ولذلك يجب على أنصار السلام فى إسرائيل والعالم العربى أن يتعانقوا ويتحاوروا من أجل تجاوز الأزمة الراهنة فى التسوية السلمية . وقد تلقت دعوة ماعوز ردود فعل مختلفة من الباحثين المصريين وتم تفنيد رأيه ونقده . ولكن لايمنع هذا النقد من الاعتراف بأهمية حركات السلام الداخلية فى إسرائيل فى تقوية ودعم التوجه إلى السلام والتأثير على الرأى العام الإسرائيلى من الداخل .

إن الخطاب الذى يجب توجيهه إلى المجتمع الإسرائيلى يتمثل فى التأكيد على حاجة إسرائيل على المستوى الفردى والجماعى إلى السلام. وقد أثبت تاريخ الصراع فى الشرق الأوسط هذه الحقيقة حيث فشلت كل الحروب التى دخلتها إسرائيل ضد العرب فى أن تحقق لها السلام والاستقرار والأمن . ولذلك فالسلام عن طريق المفاوضات هو الطريق المنطقى والطبيعى . وقد استفادت إسرائيل بعد توقف الحروب مع العرب فدخلت فى علاقات اقتصادية مع العديد من البلاد التى كانت علاقاتها بها مقطوعة قبل مبادرة السلام ، وارتفع معدل النمو الاقتصادى . كما يجب التأكيد فى هذا الخطاب الموجه إلى المجتمع الإسرائيلى على الحاجة النفسية إلي الممارسة الطبيعية للحياة فى ظل الأمن القائم على أساس السلام . فحياة المجتمع الإسرائيلى ، هى بكل تأكيد ، حياة غير طبيعية أدت إلى عزل هذا المجتمع عن المجتمع الدولى كما أدت داخليا إلى

تشكيل الحياة الإسرائيلية على الأساس العسكرى فأصبحت الدولة أشبه بمعسكر كبير وانتفت فيه ظروف الحياة الطبيعية الآمنة .

٥ - استغلال الانقسامات الداخلية فى المجتمع الإسرائيلى وتوجيهها أو توظيفها لخدمة هدف المواجهة :

يقر د . " شلومو عمى " الأستاذ بجامعة تل أبيب بأن إسرائيل تتكون من عدة أمم تتعدد فيها الأعراق والثقافات والاتجاهات الفكرية . فبالإضافة للبنية التقليدية للمجتمع الإسرائيلى من عناصر السفارديم والأشكناز والصابرا والمهاجرين الجدد والعرب الفلسطينيين تتزاحم داخل المجتمع الإسرائيلى وتتناحر لأيديولوجيات المختلفة حيث ينقسم الإسرائيليون إلى يهود متشددين وقوميين ودينيين وتقليديين وعلمانيين وغير ذلك من الفئات مما أدى إلى تشرذم المجتمع الإسرائيلى وتفتته إلى عدة ثقافات ولهجات . وتؤهل هذه جميعًا لحدوث انفجارات عنيفة داخل المجتمع وقد كانت الحرب وسيلة إسرائيل الاستراتيجية للتستر على الخلافات والانقسامات داخل المجتمع وجمع الإسرائيليين وتوجيههم لمحاربة عدو واحد مشترك . وقد أظهر السلام الانشقاقات الاجتماعية واتسعت حدة الخلاف الشديد بين المتدينيين والعلمانيين ووصلت إلى استخدام العنف والاختلاف الشديد بين الطرفين حول طبيعة الحياة الإسرائيلية ، ومحاولة المتدينين المتشددين فرض تصورهم الدينى وتشكيل حياة المجتمع الإسرائيلى حول هذا التصور واعتراض العلمانيين على ذلك.

والمجتمع الإسرائيلى مجتمع مهاجرين تطور إلى مجتمع مركب من هويات وثقافات مختلفة يصعب توحيدها ولا توجد مظلة تجمع كل الإسرائيليين ولا يوجد التزام قوى بالتقاليد الدستورية التى يمكن أن تجمع هذا الخليط غير المنسجم من الجماعات الإثنية والثقافية . ويعلق الدكتور " عبد العليم محمد " على البنية الديموجرافية لإسرائيل بقوله : " إن اختلاف الانتماء الإثنى والحضارى والمذهبى يجعل لنظرية التوحد فى مواجهة الخارج (الأعداء - المحيط العربى) صالحًا كأداة للتحليل ... فى حدود أن التوجه الإسرائيلى للسلام يرتبط بمخاوف ذاتية وجماعية من الاندماج فى المحيط القائم وربما فقدان التميز والخصوصية وظهور أنماط جديدة من الصراعات والمشكلات "(١٠٣) .

هذه الأوضاع الاجتماعية الداخلية للمجتمع الإسرائيلى يمكن توظيفها لخدمة أهداف مواجهة هذا المجتمع بالاستفادة من التناقضات الداخلية والتأثير على بعض عناصر المجتمع الإسرائيلى ، ومعرفة مواقف هذه الفئات من القضايا المختلفة وضرب هذه الفئات ببعضها البعض . وسيعطى السلام فرصة لتفكك الروابط بين هذه الفئات التى كان يجمعها الخطر الذى تم توظيفه للوصول بها إلى درجة من التماسك الداخلى . ومع زوال هذا الخطر تظهر على السطح عوامل الانهيار والتفكك بسبب ضعف الروابط الثقافية والإثنية بين هذه الفئات والعناصر المكونة للمجتمع الإسرائيلى .

وفى هذه الحالة يستحسن عدم التعامل مع المجتمع الإسرائيلى ككتلة واحدة بل يجب تحليله إلي عناصره والتعرف على فئاته المختلفة ، ودراسة حالة كل فئة على حدة ، ووضع برنامج للتعامل مع كل فئة حسب طبيعتها ووضعها داخل بنية المجتمع الإسرائيلى .

٦ - التذكير بالماضى اليهودى فى العالم الإسلامى وبتأثير الثقافة العربية الإسلامية على الثقافة اليهودية :

تجهل معظم فئات المجتمع الإسرائيلى تاريخ العلاقات العربية اليهودية فى الماضي كما أنها لاتعرف شيئًا عن فضل العرب والمسلمين على اليهود . وقد نجحت الصهيونية فى تشويه صورة العرب والمسلمين فى الذهنية اليهودية متجاوزة فى ذلك كل الحقائق التاريخية والدينية . وقد أدت الحروب المتتالية بين إسرائيل والعرب إلى دعم هذا التصور الذى أشاعته الصهيونية التى حولت العربى فى الذهن اليهودى الحديث والمعاصر إلى شخصية معادية لليهو، وأسقطت على الشخصية العربية كل المواصفات التى وصفت بها الجهات المعادية لليهود فى أوروبا، فوصف العرب بأنهم نازيون ومعادون للسامية حسب الاصطلاح الصهيونى، واعتبروا رمزاً للأغيار والأجانب وتجسيداً لكل أعداء اليهود فى الماضى على الرغم من أن تاريخ العلاقات العربية اليهودية يثبت عكس هذا التصور تماما. فقد كان العرب دائمًا وأبداً ملاذاً لليهود وملجأ لهم يفرون إليه من كل الاضطهادات التى تعرضوا لها فى أوروبا.

وتحتاج الفترة التى نعيشها الآن ومن أجل تثبيت السلام فى أذهان الإسرائيليين إلى التذكير بالماضى الإيجابى للوجود اليهودى فى العالم الإسلامى ، ويجب الاعتماد فى هذا على المصادر اليهودية ذاتها عن يهود العالم الإسلامى منذ ظهور الإسلام وخلال العصور الوسطى وحتى قيام الصهيونية . فالمصادر اليهودية تشير إلى أن اليهود عاشوا عصرهم الذهبى فى ظل الحكم الإسلامى وفى ظل سماحة الإسلام ، وأنهم اندمجوا تماما فى الثقافة العربية الإسلامية . والذى يتجاهله اليهود بتأثير من الدعاية الصهيونية المغرضة والمشوهة لعلاقة العرب باليهود أن الإسلام هو الدين الذى حمى اليهود من الانقراض ، والمسلمون هم الذين ساعدوا على بقاء اليهود كجماعة دينية ، ودفع عنهم الاضطهاد وأعطاهم حقوقًا تشريعية كأهل كتاب وأهل ذمة وأن الصهيونية هى التى خربت هذه العلاقات بتشويهها للصورة العربية الإسلامية وتصديرها للمشكلة اليهودية من أوروبا إلى العالم العربى .

ويجب أن يتم التركيز أيضًا على إظهار فضل الحضارة العربية الإسلامية على اليهود واليهودية للتعريف بمكانة الإنسان العربى وفضله الدائم على الحياة اليهودية وتبيين أن الثقافة اليهودية ليس لها وجود بدون أصولها الإسلامية . فالديانة اليهودية تأسست على جهود علماء اليهود فى العالم الإسلامى مثل سعديا الفيومى وموسى بن ميمون وغيرهما من الذين نشأوا فى ظل الثقافة العربية الإسلامية ، ونهلوا من هذه الثقافة ، ونظموا الدين اليهودى على المنهج الإسلامى ، وبنوا

الثقافة اليهودية على أساس من الثقافة العربية فى مجالات الدين والفلسفة والأخلاق والأدب والعلوم التجريبية .

إن مثل هذا العمل سيساعد على تصحيح الصورة العربية الإسلامية فى الذهنية اليهودية وعلى تثبيت السلام فى العقل اليهودى وربما يدفع إلى حدوث اندماج جديد للثقافة اليهودية فى الثقافة العربية ثقافة الشرق الأوسط الحديث .

٧ - تطوير التعامل مع الجيل السياسى الجديد فى إسرائيل " جيل الصابرا " :

لاشك فى أن مسرح السياسة الإسرائيلية يشهد ظهور جيل سياسى جديد فى مواجهة جيل المؤسسين يضيف بعداً جديداً إلى الصراع الحزبى بين العمل والليكود أو بين اليسار واليمين المتطرف . وإذا كانت وجوه الاختلاف بين حزبى العمل والليكود معروفة ومدروسة وموضوعة فى الاعتبار عند صانع القرار السياسى العربى فإن ظهور الجيل السياسى الجديد المناهض لجيل المؤسسين لم يلق بعد الدراسة الكافية التى تفيد صانع القرار وتوجهه فى التعامل مع السياسة الإسرائيلية فى تحولاتها الحالية . ومن أبرز هذه التحولات بداية النهاية للجيل المؤسس فى إسرائيل الذى سيطر على مقاليد الأمور لعدة عقود منذ إنشاء دولة إسرائيل .

ويمثل رئيس الوزراء الإسرائيلى نيتانياهو الجيل السياسى الجديد الذى أحدث تغييراً جذريًا فى مسيرة السياسة الإسرائيلية . وبينما

ينتمى الجيل السابق جيل بيريز ورابين وبيجن وجولدا مائير وغيرهم إلى الجيل المؤسس من المهاجرين الأشكناز والسفارديم ينتمى الجيل السياسى الجديد إلى فئة الصابرا وهم الإسرائيليون المولودون فى إسرائيل . وفى الوقت الذى ينتهى فيه الجيل القديم تنتهى مقاليد الأمور السياسية فى إسرائيل إلى جيل الصابرا . وقد وضحنا فى الحديث عن عناصر المجتمع الإسرائيلى طبيعة جيل الصابرا والحقائق التى تميزه عن بقية هذه العناصر.

جيل الصابرا جيل إسرائيلى خالص ولد ونشأ وتربى داخل إسرائيل ولم يمر بالتجارب التى مر بها جيل المؤسسين ، وتخلصت شخصيته تقريبًا من معظم العقد والخبرات التى اكتسبها الجيل المؤسس بل إنهم يختلفون عنهم أيضا فى السلوك والأخلاقيات وفى المظهر الجسمانى . وهم يتصفون بالغرور والثقة الزائدة فى النفس ويميلون إلى الروح العسكرية . وهم عمليون لايميلون إلى مثالية الجيل القديم . وهم واقعيون فى تفكيرهم وماديون وصلتهم بالدين ضعيفة ولاتهمهم القيم الروحية . وهم يؤمنون بالقومية الإسرائيلية ،وعلاقاتهم بيهود الخارج هشة ، وعلاقتهم أو رؤيتهم للعرب تتسم بالبرود الشديد والثقة الزائدة فى القوة العسكرية . ولهم ثقافة خاصة تميزهم عن ثقافة الجيل القديم والمهاجرين والمستوطنين . وهم لايبالون بالتراث اليهودى ويعتبرون أنفسهم جيلا مستقلا عن جيل " الآباء " المؤسسين ، وهو جيل منفصل يهتم بالعمل ويتميز بالغلظة فى الشخصية والجفاف ، وهم محاربون

يعتمد عليهم فى أوقات الحروب ، قراراتهم سريعة وأفعالهم مؤثرة ، وهم يميلون أيضا إلى الفردية فى تمرد واضح على الروح الجماعية التى تميز بها الجيل المؤسس وفرضها على كل المستويات وبخاصة فى حياة الكيبوتس . ولذلك فهو جيل مصاب بالأنانية والمادية ولا يكترث بالأخلاقيات ويميل إلى الجريمة والتمرد على القوانين .

٨ - ضرورة فهم وتحليل شخصية نيتانياهو لمعرفة سياساته :

فى ظل مواصفات جيل الصابرا يجب علينا اخضاع شخصية نيتانياهو للتحليل والدراسة لأنه الشخصية السياسية المحورية التى سيتعامل معها الفلسطينيون والعالم العربى خلال السنوات القادمة وربما يكون نيتانياهو بداية سيطرة جيل الصابرا على المسرح السياسى فى إسرائيل بصرف النظر عن الإنتماء الحزبى والذى لا يجب إغفاله بطبيعة الحال .

وبداية نؤكد أن شخصية نيتانياهو شخصية معقدة فى بنيتها ولا يجب أن نتعامل معها بالبساطة التى عومل بها فى كثير من الدوائر منذ قدومه إلى السلطة فى إسرائيل فالسلوك الذى يتبعه نيتانياهو حتى الآن يعكس الشكل الذى ستصبح عليه السياسة الإسرائيلية خلال العقود الآتية . وسلوك نيتانياهو يعكس فى الحقيقة سلوك الجيل الجديد ، ومن الواضح أن كثيراً من خصائص جيل الصابرا تنطبق على شخصية نيتانياهو كما تتضح فى سياساته وعلينا أن نعلم أن هذا هو الشكل الذى سيكون عليه الحكم فى إسرائيل بصرف النظر عن الانتماء الحزبى

للحاكم إذ من الممكن القول أن جيل الصابرا سيذيب بعض الفوارق الحزبية لأنه جيل له ثقافته الخاصة المستقلة عن ثقافة جيل المؤسسين سواء كانوا من العمل أو الليكود .

وفي ضوء ما تبين من سمات شخصية نيتانياهو حتى الآن نرى أن الرجل يتصف بكثير من صفات جيل الصابرا ومن أهم هذه الصفات التي توفرت في نيتانياهو مايلي :

أ - تمحور سياسته حول الذات الإسرائيلية والقدرة على الاحتفاظ بهذه الذاتية داخل محيط الشرق الأوسط . وهذه من أهم صفات الصابرا الذين لا يكتفون بتمييز أنفسهم عن العالم المحيط بهم بل هم يميزون أنفسهم على بقية فئات المجتمع الإسرائيلي بصفتهم إسرائيليين أي مولودين في إسرائيل وتربوا في إسرائيل ولهم ثقافتهم الإسرائيلية.

ب - شعور نيتانياهو الشديد بأهمية القوة في العلاقات مع العرب ويميل إلى استخدام القوة لإجبار العرب على قبول فكره السياسي . ومفهوم القوة عنده لايقف عند حدود القوة العسكرية بل هو مفهوم شامل يتضمن القوة السياسية والاقتصادية واعتبار القوة العامل الحاسم في الصراع من أجل البقاء . وقد رأينا أن جيل الصابرا يؤمن بالقوة العسكرية ويتصفون أساسًا بالروح العسكرية .

جـ - تتصف رؤية نيتانياهو وشخصيته بروح الاستعلاء وعدم المبالاة بالغير والانغلاق على الذات . ووصفته بعض الكتابات الإسرائيلية

بأنه مصاب بجنون العظمة ويعتقد أنه إمبراطور على رأس دولة عظمى كما أن شخصيته مستفزة ومغرورة إلى حد كبير ولديها قدرة فائقة على تحدى الحقائق واختلاق الأكاذيب والتمرد على المعاهدات، ولا يؤمن بالشرعية وهى صفات متوفرة فى شخصية الصابرا فضلا عن البرود فى المشاعر ، والجفاف فى المعاملة ، وعدم الإحساس بالشعور بالذنب .

د - لايؤمن نيتانياهو بأهمية السلام انطلاقًا من مفهوم القوة الشامل عنده والذى على أساسه تحول بإسرائيل من استراتيجية السلام التى قادها بيريز إلى استراتيجية الحرب اعتماداً على إحساس عظيم بالقوة ، ويحلل الدكتور / على صادق شخصية نيتانياهو بقوله إن نيتانياهو لم يكن ليجرؤ على التحول من استراتيجية السلام إلى استراتيجية الحرب إلا نتيجة لتعاظم إحساسه بالقوة . فهو أقوى رئيس وزراء إسرائيلى منذ نشأة إسرائيل وحتى الآن نتيجة لانتخابه انتخابًا مباشراً . وهو يتحكم فى قوة إسرائيل العسكرية الكبيرة ... وهذا الإحساس الزائد بالقوة دفعه إلى التمادى فى التهديد باستخدام القوة العسكرية والتحول إلى الحرب بدون مبرر كاف أو مقنع .

هـ - بالإضافة إلى الصفات السابقة وصفت بعض الكتابات نيتانياهو بأنها خرجت على صفات الجيل المؤسس واختلفت عن قيادات إسرائيل التاريخية فى عدة أمور منها أنه ليس أبنًا للعسكرية الإسرائيلية رغم إيمانه الشديد بمبدأ القوة . وأنه أيضًا ليس إبنًا

شرعيًا للدبلوماسية الإسرائيلية وليس إبنًا للأحزاب السياسية الإسرائيلية ، وأنه أتى إلى رئاسة الحكومة بدون خلفية سياسية أو تاريخ سياسى .

و - يجمع نيتانياهو فى تركيبته بين شخصية الصابرا الإسرائيلية بمواصفاتها المذكورة سابقًا وبين مواصفات الشخصية الأمريكية فقد عاش فى الولايات المتحدة لفترة طويلة وارتبط بالحياة الأمريكية ولهذا لم يرتبط بالمؤسسات السياسية والعسكرية فى إسرائيل . وقد استفاد من الظروف التاريخية التى مر بها المجتمع الإسرائيلى بعد اغتيال رابين ومن بعض الأخطاء التى وقع فيها حزب العمل .

ز - يؤمن نيتانياهو بالأيديولوجية الصهيونية وبخاصة فيما يتعلق بالعلاقة بالعرب فهو يؤيد الدعاوى الصهيونية فى الحقوق التاريخية فيما يسمى صهيونيًا « أرض إسرائيل » ويتهم اليسار الإسرائيلى بخيانة الأهداف الصهيونية . ويعتقد أن تقدم الصهيونية مرتبط باضطهاد العرب وعدم التنازل عن الأراضى المحتلة ، وتعزيز المستوطنات والاستيلاء على الأراضى واستخدام القوة لتحقيق ذلك. ويسيطر على سياسة نيتانياهو بعد أيديولوجى صهيونى قوى .

٩ - الاستفادة من « عرب فلسطين » وتوظيف وجودهم لخدمة المواجهة :

يمثل « عرب فلسطين » عنصراً أساسيًا من عناصر بنية المجتمع الإسرائيلى وإحدى القوى السياسية المرجحة لكفة أحد الحزبين الرئيسيين

العمل والليكود فى أية انتخابات إسرائيلية قادمة . ويمثل « عرب فلسطين » أقوى المتناقضات داخل المجتمع الإسرائيلى لأنهم عرب من أهل الأراضى الأصليين وفئة سكانية مختلفة فى الثقافة والديانة عن الإسرائيليين . وتعود أهمية « عرب فلسطين » إلى أن عددهم يقترب من خُمس عدد سكان إسرائيل ومعدل الزيادة السكانية الطبيعية بينهم كبير يصل إلى ثلاثة أضعاف الزيادة اليهودية . وبدأت مشاركتهم الفعلية فى الحياة السياسية الإسرائيلية تزداد حيث أصبح لهم سبعة مقاعد فى الكنيست فى الانتخابات الأخيرة من الممكن زيادتها فى المستقبل . هذه الأهمية « لعرب فلسطين » جعلت بعض الكتاب الإسرائيليين يصنفونهم على قمة متناقضات المجتمع الإسرائيلى وأقوى أسباب تشرذمه كما صرح بذلك شلومو بن عمى الأستاذ بجامعة تل أبيب .

وسيختلف وضع « عرب فلسطين » بعد السلام عنه قبل السلام إذ من المتوقع أن يرفع الحصار الإسرائيلى تدريجيا وتحت ضغوط ومتطلبات السلام ، وسيعطيهم هذا الفرصة ليصبحوا عنصراً فاعلا فى مسيرة المجتمع الإسرائيلى من خلال المشاركة السياسية القوية مع الحفاظ على عروبتهم وثقافتهم ودياناتهم الأمر الذى يجعلهم من زاوية يمثلون كياناً مستقلا داخل إسرائيل يزيد من انشقاقات هذا المجتمع ويساعد على تقويضه من الداخل ، ونقض الأيديولوجية الصهيونية القائمة على تهويد الأرض ودعم اللاستيطان اليهودى الواسع .

ويحتاج العرب داخل إسرائيل إلى الدعم العربى السياسى والاقتصادى ، وإلى تقوية علاقاتهم بالفلسطينيين فى الضفة وغزة وبالعالم العربى حتى لاينفصلوا عن الوطن الأم فلسطينيا وعربيا ، ويصبحوا قوة كامنة قادرة على المساعدة فى المواجهة من الداخل .

١٠ - مواجهة الأصولية اليهودية والاستمرار فى محاربة الصهيونية:

من العناصر المؤثرة فى تركيبة المجتمع الإسرائيلى الحالى العنصر اليهودى الأصولى الراديكالى . وقد تعاظم شأن الأحزاب الدينية فى إسرائيل وبخاصة مع وصول حزب الليكود إلى الحكم وارتباطه القوى باليمين اليهودى المتطرف . وقد شبه الكاتب الإسرائيلى شلومو بن عمى هذا التحول فى الحياة الإسرائيلية بأنه بمثابة حرب ثقافية تعيشها إسرائيل ، ورمز له بانتصار القدس على تل أبيب ، واعتبره الانشقاق الرئيسى الذى تتفرع منه جميع الانشقاقات الأخرى .

يقول شلومو بن عمى : " إن الهجوم العنيف الذى يشنه الليكود والحزب الدينى ونيتانياهو نفسه ضد القيم الإسرائيلية الأساسية ماهو إلا تجسيد لهذه الثورة التى يشنها المجتمع المهمش ضد دولة إسرائيل " ويؤكد شلومو أن الجدل الدائر فى إسرائيل يأخذ من الناحية الشكلية صورة الجدل حول الأراضى والأمن ولكنه في حقيقة الأمر جدل يتعلق بالثقافة والمجتمع والدين والهوية . وأن انتصار نيتانياهو فى الانتخابات الأخيرة يعكس تمرداً ثقافيًا واجتماعيا ضد نخبة اليسار .

ومن المعروف أن الساحة الإسرائيلية شهدت تزايد خطر قوى التطرف الإسرائيلى وزيادة حدة الصراع بين المتدينين المتشددين والعلمانيين خاصة بعد محاولات الأصوليين اليهود تغيير شكل الحياة الإسرائيلية وبخاصة فى القدس مما أدى بالكثير من العلمانيين اليهود إلى الهجرة إلى تل أبيب . فالصدام يتزايد حول عدة موضوعات منها حرمة استخدام السيارات يوم السبت ، والخلاف حول ملابس السيدات وغير ذلك من المسائل التى وصفت على أنها تمثل حربًا ثقافية داخلية تزداد عمقا بطرح قضية الهوية اليهودية ومن يمثلها فى إسرائيل .

هذا الصراع الثقافى أتى به اليمين المتطرف وعلى الرغم من أنه يعمق الانشقاق داخل المجتمع الإسرائيلى فهو يمثل خطراً على السلام . فهذه الجماعات اليهودية المتطرفة معادية للسلام وتؤمن بالدعاوى الصهيونية الخاصة بالحقوق الدينية التوراتية وترفع شعار « أرض إسرائيل » وتتبنى الاستيطان والتوسع كمبدأ أيديولوجى ومن الثوابت الصهيونية التى لا تتغير .

ولذلك يجب الاستعداد لمواجهة هذه الأصولية اليهودية الصاعدة التى بدأت تسيطر على مقاليد السياسة بعد وصول الليكود وقيام نيتانياهو بحشد هؤلاء المتطرفين والاعتماد على تأييدهم والاستسلام بعد نجاحه لمطالبهم المضادة للسلام والمعادية للعرب . وقد وصف أحد المحللين السياسيين نتيجة الانتخابات الأخيرة بقوله أن نيتانياهو لم ينجح كحزب

فهو لم يأخذ أصواتا أكثر من حزب العمل إنما الذى نجح فى الانتخابات هى المجموعات الدينية المتطرفة . ولذلك يجب تركيز الجهود فلسطينيا وعربيا من أجل مواجهة الأصولية اليهودية والتطرف الدينى اليهودى بالوسائل الشرعية والقانونية وممارسة الضغوط على الحكومات الإسرائيلية وعلى الرأى العام الإسرائيلى واليهودى فضلا عن المساهمة الفعلية فى محاربة التطرف الدينى على المستوى الدولى .

أما الصهيونية فلاشك فى أنها تعيش فترة إحياء وازدهار بعد وصول الليكود للحكم وتزايد قوة اليمين الدينى المتطرف المتمسك بأيديولوجية صهيونية متعصبة ومنفعلة تمارس ضغوطها على المجتمع الإسرائيلى وتنعكس فى شكل سلبى على مسيرة السلام مع العرب ، وتتعامل فى عنصرية تامة تجاه الفلسطينيين والعرب . وفى هذا الخصوص لابد من الاستمرار فى مواجهة العنصرية الصهيونية التى يمثلها الليكود واليمين اليهودى المتطرف .

وهناك اتجاه قوى داخل إسرائيل إلى اعتبار الصهيونية مرحلة انتهت كحركة تحرر قومية علمانية حققت أهدافها بإقامة الدولة . وقد عبر عن هذا الرأى الكاتب الإسرائيلى عاموس إيلون فى حديثه عن فترة مابعد الصهيونية وبخاصة فى ظل البنية الإثنية للمجتمع الإسرائيلى من يهود وعرب يصل عددهم إلى خمس عدد السكان فى إسرائيل وأن هذه الفترة تحتاج إلى سياسة تعددية مرنة وأقل فى درجة الأيديولوجية ، ويطالب

بإعـادة النظر فى قـانون العـودة الذى يمنح كل يهـودى فى العـالم حق المواطنة فى إسرائيل .

مثل هذا الاتجاه إلى تحجيم الأيديولوجية الصهيونية يحتاج إلى دعم كبير وبخاصة فى ظل المتغيرات الحالية التى أدت إلى تزايد قوة اليمين المتطرف المتبنى للصهيونية كأيديولوجية ثانية .

إن الدخول الحقيقى فى عصر السلام يتطلب التنازل عن الأيديولوجية الصهيونية بثوابتها الداعية إلى التوسع والاستيطان والعنف والاستعلاء والعنصرية لأنه بدون هذا التنازل لن تقوم للسلام قائمة .

١١ - مواجهة مخاطر الاستيطان والخيار النووى وقضية المياه :

لاشك أن السلام الحالى مهدد إسرائيليا من خلال التشبث بالاستيطان والتوسع وبالتمسك بالخيار النووى بالإضافة إلى ماتمثله مشكلة المياه من إمكانية لعودة الصراع من جديد . ويعتبر الاستيطان جوهر الصهيونية والنشـاط المحورى لهـا والمبرر القـوى لاستـخدام القـوة والعنف . وقـد اتضحت توجهات حكومة نيتانياهو الاستيطانية من خلال اختيار اريل شارون لوزارة البنية الأساسية المسئولة عن عملية الاستيطان وهو معروف بتـاريخه المتطرف نحـو العـرب واختـيـار أحد المتطرفين البـارزين لوزارة الإسكان وهو مئير بورووش .

وتهدف السياسة الاستيطانية الجديدة لحكومة الليكود واليمين الدينى المتطرف إلى تحـقيق هدف قيـام إسـرائيل الكبـرى جغـرافـيـا وسكانيـا ، وتفكيك التـواصل الجـغـرافى للكيـان الفلسطينى بإقـامـة حـواجـز من

المستوطنات تحيط بالفلسطينيين وتمنع اتصالهم جغرافيا ، ومنع قيام كيان فلسطيني متجانس ، وتعطيل قيام الدولة الفلسطينية ، وتهديد مدينة القدس الكبرى التي تبتلع القدس العربية .

إن مقاومة النشاط الاستيطاني الإسرائيلي أمر ضروري لعملية السلام ، والاستمرار فيه مواصلة للتوتر السياسي وخطر على الاتفاقيات القائمة وتهديد كامن لمستقبل السلام وبخاصة بين الفلسطينيين والإسرائيليين وبخاصة لأن خطط الاستيطان للحكومة الإسرائيلية الجديدة خطط سرية . يقول عوفر بطرسبورج : " تعد حكومة إسرائيل الجديد سراً خطة لتكثيف المستوطنات لا في يهودا والسامرة فحسب بل أيضًا في منطقة حوش قطيف - ساحل غزة ... وتتجه نية وزارة البناء والإسكان نحو تشجيع هجرات عشرات آلاف العائلات الجديدة إلى المناطق .. ويتم النظر في عشرات المشاريع التي سبق أن صودق عليها في عهد حكومة العمل ... ويقود هذه التحركات بدون ضجيج وزير البنى التحتية ارئيل شارون ونائب وزير البناء والإسكان الحاخام مئير بوروش ... الذي قرر العمل والتحرك ، من تلقاء نفسه ، طالبًا من مستخدمي مكتبه الحفاظ على سرية العمل " .

وبالنسبة لقضية امتلاك إسرائيل للسلاح النووي وإصرارها على الاستمرار في برنامجها النووي بعد السلام وعدم التزامها بمعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية وجعل الشرق الأوسط منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل فإن السلام الحقيقي يوجب ممارسة كل الضغوط الإقليمية

والدوليـة على إسـرائيل للالتـزام بالمعـاهدات الدوليـة دون اسـتـثـناء باعتبارها الركيزة الأساسية للنظام الدولى من ناحية والعامل المهم فى ضمان السلام واستمراره فى الشرق الأوسط من ناحية أخرى .

أما قضيـة المياه فـمن المعروف أن إسرائيل حرصت منذ البداية على السـيطرة على مـصادر الميـاه لارتبـاط ذلك بالسـيـاسـة الاسـتـيطانيـة التوسعية فإنشاء إسرائيل اعتمد على الاستيلاء على الأراضى والمياه معًا . ومشكلة المياه قضيـة إقليمية لاتخص الفلسطنيين فقط ولكنها نقطة صراع أساسية مع سوريا والأردن ولبنان ومصر لإصرار إسرائيل وعملها الدائم على استلاب مصادر المياه فى المنطقة والاحتفاظ بها ومما لاشك فيه أن مشكلة المياه تحتل وقعًا استراتيجيا فى مفاوضات السلام مع كل الأطراف المعنية .

وتحتاج قضايا الاستيطان والمياه والخيار النووى الإسرائيلى إلى معالجة سياسية ودبلوماسية دقيقة لأهميتها بالنسبة لمصداقية السلام القائم واستمراريته . إن استراتيجية السلام تتطلب علاجًا لهذه القضايا لايسمح بتطور الصراع حولها وتقويض عملية السلام من جذورها .

١٢ - تقـوية الدور الروسى والأوروبى وتحـيـيـد الدور الأمـيـركى ومشاركة يهود الخارج فى دعم السلام :

أ - تقوية الدور الروسى :

لقد أدى انحسار النفوذ السوفيتى بعد تحلل الاتحاد السوفيتى إلى بروز الولايات المتحدة الأمريكية كقوة وحيدة تحاول فرض سيطرتها على

السياسة العالمية . وقد انعكس هذا الوضع على الصراع فى الشرق الأوسط فقد تحول دور روسيا من عنصر فاعل فى قضايا الشرق الأوسط إلى مجرد راع شكلى لا تأثير له فى مسيرة السلام مع ازدياد الانحياز الأمريكى إلى وجهة النظر الإسرائيلية وممارسة الضغوط على الفلسطينيين والعرب عمومًا لقبول الرؤية الإسرائيلية للسلام وبخاصة بعد صعود الليكود إلى الحكم .

والمطلوب من العرب إحياء الدور الروسى رغم انهيار الاتحاد السوفيتى كقوة موازية للولايات المتحدة الأمريكية . ويمكن للعرب فى هذا الخصوص المشاركة فى حل المشاكل الاقتصادية لروسيا من خلال بعض المنح والقروض والمساعدات وتنمية العلاقات الاقتصادية إلى غير ذلك من الوسائل التى تشعر الروس بأهمية العرب بالنسبة لاقتصادهم، وتدفعهم إلى المشاركة الفعالة فى قضايا الشرق لأوسط والتحول من دور الراعى الشكلى إلى الراعى الفعلى لتحجيم وتحييد الدور الأميركى المنحاز . ومطلوب من العرب أيضا تقوية العلاقات مع الدول والجمهوريات التى استقلت عن روسيا وبخاصة الجمهوريات الإسلامية ودفعها إلى تبنى سياسة قوية وواضحة في صراع الشرق الأوسط . وهى جمهوريات ترتبط دينيا وثقافيا بالشعوب الإسلامية والعربية ويجب أن توظف قواها السياسية لخدمة القضايا العربية والإسلامية . ولابد أيضًا من وأد المحاولات الإسرائيلية لتكوين علاقات قوية مع الجمهوريات الإسلامية وبالتالى تحييدها سياسيا مما يضر بالقضايا العربية فى مواجهة إسرائيل .

ب – دعم الدور الأوروبى :

والمطلوب أيضًا تطوير الدور الأوروبى وتنميته ومساعدته على تكوين موقف مضاد للموقف الأمريكى . وقد لعبت أوروبا الغربية دوراً كبيراً فى حسم العديد من أزمات الشرق الأوسط فى الماضى ، ومع تعاظم الدور الأمريكى انحسرت المشاركة الأوروبية فى وقت انهار فيه الاتحاد السوفيتى فانفردت الولايات المتحدة الأمريكية بفرض سياستها ورؤيتها فى الشرق الأوسط وهى رؤية تفتقد الإيجابية والحياد .

ومن الأمور الواجب التركيز عليها لدعم الدور الأوروبى تقوية التعاون بين الدول العربية والدول الأوروبية على المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية ، وتوضيح أهمية أمن الشرق الأوسط لأمن القارة الأوروبية ، وتوسيع دور أوروبا فى رعاية عملية التسوية السلمية فى الشرق الأوسط لتكون راعيًا على قدم المساواة مع أمريكا ومسئولة عن نجاح العملية السلمية مسئولة مباشرة ، وتقوية التعاون الإقليمى داخل حوض البحر الأبيض المتوسط بين الدول الأوروبية والدول العربية الواقعة على هذا البحر ، والعمل على إيجاد علاقات أمن متطورة بين أوروبا والشرق الأوسط ودخول أوروبا فى علاقات مباشرة وقوية مع الفلسطينيين والمؤسسات الفلسطينية ، والتأثير على الدول الأوروبية فى ربط علاقاتها بإسرائيل بتجميد الاستيطان وتقدم عملية السلام .

جـ - تحييد الدور الأمريكى :

بالإضافة إلى تقوية الدور الروسى والأوربى يجب العمل على تحقيق توازن الدور الأمريكى فى الصراع فى الشرق الأوسط ومحاولة تحييد هذا الدور من خلال عدة أمور من أهمها تطوير سياسة عربية موحدة وقوية تجبر كل الأطراف ومن بينها الطرف الأمريكى ، على احترام الرأى العربى وتقديره . وأيضًا استخدام القوة الاقتصادية للعرب فى تحييد الموقف الأمريكى الداخلى من خلال تطوير استراتيجية عربية لدعم الجاليات العربية فى أمريكا وتكوين لوبى عربى يكون له دور قوى في التأثير على الانتخابات الأمريكية وبالتالى خدمة القضايا العربية كما يفعل اللوبى اليهودى الذى يخدم قضايا إسرائيل بتأثيره وتوجيهه للعملية الانتخابية . ويسمح عدد العرب والمسلمين فى أمريكا بإمكانية تكوين هذا اللوبى ، ويحتاج الأمر إلى التنظيم السياسى الجيد والتوعية السياسية الجيدة ، والتمويل العربى للمنظمات العربية ، والدعم المالى والمعنوى للمؤسسات العربية والفهم الصحيح للحياة السياسية الأمريكية وللعملية الانتخابية وللدستور الأمريكى . وبذلك يتم خلق حضور عربى مؤثر وقادر على خدمة القضايا العربية .

د - مشاركة يهود الخارج فى دعم السلام :

من الوسائل المؤثرة على الشخصية الإسرائيلية والمجتمع الإسرائيلى تقوية العلاقات العربية اليهودية من خلال الاتصال العربى باليهود خارج

إسرائيل وبخاصة يهود أمريكا وأوروبا وشرح القضايا العربية وتوضيح أخطاء السياسة الإسرائيلية وعنصرية الحكومة الإسرائيلية وسوء تعاملها مع الفلسطينيين والعرب ، وإبراز الاضطهاد الإسرائيلى للسكان العرب ، وغياب الديموقراطية فى التعامل مع العرب داخل إسرائيل . والهدف من هذا تنمية وعى يهودى خارجى بأوضاع الفلسطينيين وبالتعنت السياسى الإسرائيلى ، وإعطاء معلومات صحيحة عن حقيقة الصراع فى الشرق الأوسط تخلق نوعًا من التوازن المعرفى بين ما تقدمه الدعاية الإسرائيلية ليهود الخارج من معلومات والواقع الفعلى فى فلسطين والشرق الأوسط.

ولابد من تقديم الصورة الصحيحة للعرب والمسلمين الذين نجحت الدعاية الصهيونية فى تشويه صورتهم وتقديمهم للرأى العام اليهودى فى صورة المعادين لليهود والمضطهدين لهم بينما العكس هو الصحيح . ولابد من التعريف بفائدة السلام لليهود داخل إسرائيل وخارجها ، وتوضيح الموقف الإسرائيلى المتعنت من العملية السلمية لكى يقوم يهود الخارج بالتأثير على الإسرائيليين وتشجيعهم على حسن التعامل مع الفلسطينيين والعرب والتخلى عن العنصرية والتمسك بالسلام . وتتطلب هذه المسألة التعرف الدقيق على المنظمات اليهودية والاتحادات والجمعيات اليهودية ذات التأثير السياسى والاقتصادى ، والشخصيات اليهودية المهمة وبخاصة فى المحافل السياسية والدبلوماسية والتوجه إلى هذه المؤسسات والشخصيات بخطاب عربى يركز على أهمية السلام فى خلق علاقات عربية يهودية سليمة وبعيدة عن كل أشكال الاضطهاد والكراهية وسوء المعاملة والعنصرية .

ثانيا : وضع استراتيجية عربية لمواجهة الشخصية الإسرائيلية والمجتمع الإسرائيلى :

المقصود بالاستراتيجية العربية هنا استراتيجية داخلية تعمل على تنمية الشخصية العربية فى مواجهة الشخصية الإسرائيلية ، وكذلك تنمية المجتمع العربى لكى يكون قادراً على مواجهة المجتمع الإسرائيلى.

وفيما يتعلق بتنمية الشخصية العربية فى مواجهة الشخصية الإسرائيلية فيجب أن نشير إلى أن عصر السلام وما سيأتى به من تطبيع للعلاقات سيفتح الباب واسعًا أمام احتكاك الإنسان العربى بالشخصية الإسرائيلية فى كل مجالات الأنشطة الإنسانية وعلى كل المستويات الفكرية بداية من الإنسان المثقف إلى رجل الشارع العادى البسيط الذى لايملك ثقافة عالية . ويحتاج الأمر إلى تثقيف الإنسان العربى حول الشخصية الإسرائيلية وكيفية التعامل معها لأنها بكل تأكيد تختلف عن كل الشخصيات الإنسانية التى يتعامل معها العربى والمصرى على وجه الخصوص . وهى شخصية لها أهداف محددة فى تعاملها مع العربى والمصرى ومع أن مصر بلد سياحى يلتقى فيه السائحون من كل بلاد العالم ويتصلون بالمصريين لكن نرى أن تعامل الإسرائيلى مع العربى والمصرى على وجه الخصوص ستكون له مخاطره إذا لم يحصل العربى على قدر معين من الثقافة التى تعينه على التعامل مع الإسرائيلى الذى سيوظف التطبيع ويوجهه لخدمة أهداف

استراتيجية إسرائيلية . ويتطلب الأمر أيضًا تخليص الشخصية العربية من سلبياتها والعمل على تكوين مواطن عربى على قدر كبير من الوعى السياسى والفكرى .

أما مواجهة المجتمع الإسرائيلى فهى أيضًا مهمة شاقة تتطلب تنمية المجتمع العربى والمصرى ، وتخليص المجتمعات العربية من سلبياتها ، وخلق مجتمعات عربية ديموقراطية تحترم إنسانها وتمنحه القدرة والإمكانات للمواجهة ، وتحقق له التنمية على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية والدينية والعسكرية . وهنا لابد من التأكيد على أن الأساس المعرفى والعلمى للشخصية العربية والمصرية سيكون العامل الفاصل فى التحدى الذى سينجم عن الاحتكاك بالشخصية الإسرائيلية وبالمجتمع الإسرائيلى . فالعالم العربى يقترب من بعضه فى المستوى العلمى والمعرفى بينما تمثل الشخصية الإسرائيلية والمجتمع الإسرائيلى نموذجًا مختلفًا للعلم والفكر يقترب من النموذج الأوروبى الغربى ويمتثل لقيمه ويتبنى اتجاهاته . ويمكن القول أن الصراع بين الحضارة الغربية والحضارة العربية الإسلامية قد أصبحت له قاعدة فعلية فى الشرق الأوسط . فالمجتمع الإسرائيلى قاعدة للثقافة الغربية فى البيئة العربية ولذلك فالمواجهة أشد وأخطر مع دراية الإسرائيليين وخبرتهم فى وسائل الاختراق للمجتمعات الأخري ومع تخلف العرب على المستوى العلمى والتكنولوجى .

ولذلك يتطلب الأمر التعجيل بتنمية المجتمعات العربية علميا وتكنولوجيا وفكريا وتوجيه كل الاهتمام لخلق مجتمع عربى قوى على أساس من المعرفة العلمية والتكنولوجية يتمكن من مواجهة المعرفة العلمية والخبرة التكنولوجية للمجتمع الإسرائيلى . ولتحقيق هذه الأهداف لابد من وضع استراتيجية عربية عامة تعد الإنسان العربى وتجهز المجتمع العربى لمواجهة التحديات التى سيطرحها التطبيع مع المجتمع الإسرائيلى وهى تحديات تصل فى ذروتها إلى تهديد الهوية العربية والتأثير السلبى على المقومات الثقافية للعالم العربى بالإضافة إلى مخاطر فرض الهيمنة الإسرائيلية على المستوى الاقتصادى . وهذه جميعها مخاطر تتطلب درجة عالية من اليقظة العربية ، والإدراك العربى لهذه المخاطر ، والتضامن عربيا فى وضع استراتيجية عامة للمواجهة تأخذ فى الاعتبار الأسس العلمية والتكنولوجية والثقافية التى سيكون لها دور فى حسم المواجهة وخلق حالة من التوازن تجعل من التطبيع مسألة طبيعية لاتختلف فيها إسرائيل عن أية دولة أخرى لها علاقات طبيعية مع المجتمع العربى .

خاتمـــــــة

ذكرنا فى مقدمة هذه الدراسة أن المجتمع الإسرائيلى يمر حاليًا بمرحلة انتقال من المجتمع الجيتوى العسكرى إلى مرحلة المجتمع المدنى المفتوح كنتيجة مباشرة للتحول من استراتيجية الحرب إلى استراتيجية السلام أو من ثقافة الصراع إلى ثقافة السلام . ولاشك فى أن هذا التحول ، إذا سار فى مجراه الطبيعى ، فسيؤدى حتمًا إلى خلق شخصية إسرائيلية جديدة ، وخلق مجتمع إسرائيلى جديد . وقد بدأت أولويات المجتمع الإسرائيلى فى التغير على يد شمعون بيريز واسحاق رابين ، وتبلورت عناصر استراتيجية تبدو أكثر أهمية من العنصر العسكرى . وسيؤدى التطبيع الشامل للعلاقات العربية الإسرائيلية إلى تأكيد هذه العناصر . وهذا لايعنى أن العنصر العسكرى فى الاستراتيجية سيفقد أهميته . ففى المرحلة الانتقالية سيظل للعنصر العسكرى أهميته وذلك بسبب التوتر والقلق والشك المصاحب للفترة الانتقالية واحتمالات الفشل فى مواجهة العقبات التى تواجهها العملية السلمية من وقت إلى آخر ومن مرحلة إلى أخرى . ومع ازدياد مصداقية السلام وظهور نتائجه على المستويات السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية سيتم التغير المطلوب فى الشخصية الإسرائيلية وفى المجتمع الإسرائيلى .

وتتطلب المرحلة الانتقالية فى تاريخ المجتمع الإسرائيلى إلى متابعة عملية دقيقة لأنها مرحلة متغيرة ولن تخلو من التقلبات السياسية

والاجتماعية والاقتصادية . وهى مرحلة حرجة فى تاريخ الشخصية الإسرائيلية لأنها ستضطر فيها إلى تغيير بعض الثوابت التى انطبعت فى الذهنية الإسرائيلية بفعل الأيديولوجية الصهيونية وبتأثير من استمرارية الصراع فى الشرق الأوسط لمدة تزيد عن نصف قرن منذ قيام الدولة . ولذلك فلابد من إخضاع الشخصية الإسرائيلية للدراسة والتحليل المستمرين خلال الفترة القادمة لمتابعة التغييرات التى ستطرأ عليها ، ومعرفة الاتجاهات القابلة للتغير ، أو التى سيتم الالتفاف حولها من خلال سياسات بديلة تناسب طبيعة الفترة الانتقالية أو استراتيجيات لفترة السلام . ويعتقد أنه ستسود حالة من التوتر والقلق والتخبط فى السياسات خلال المرحلة التالية بسبب الاتجاه الاضطرارى إلى التغيير من سياسة الحرب وحتميتها إلى سياسة السلام وحتميته . ومن المتوقع أن تحدث انتكاسات لأن التغيير المطلوب يجرى على العقلية الإسرائيلية بثوابتها المعروفة . ولهذه العملية بعد سيكولوجى لايمكن إهماله فى قضية يلعب فيها الشك وانعدام الثقة والمشاعر المتناقضة دوراً كبيراً .

وبالنسبة للعرب فإن هذه المرحلة الانتقالية تعد بمثابة فرصة لتحسين الأداء العربى والارتفاع بمستوى التفكير السياسى ، وتطوير أنظمة لتحليل المعلومات واتجاهات الفكر بهدف التنبؤ بنتائج القرارات التنظيمية الاستراتيجية ، وتطوير مهارات الاتصال وصنع القرار وإدارة الصراعات والأزمات ، واستشراف مستقبل الصراع والتنبؤ بالسياسات.

وكلها عناصر مهمة لتحسين الأداء العربى ولا نعتقد أنها كانت متوفرة بالشكل المطلوب على المستوى العربى العام . ويتطلب الأمر هنا التوسع فى إنشاء مراكز البحوث المتخصصة فى شئون الصراع من أجل التنبؤ بالتطورات المتوقعة مستقبلا والتى ستحدث خلال المرحلة الانتقالية إلى أن يستقر المجتمع الإسرائيلى الجديد بعد السلام ، ووضع تصورات للتعامل مع هذه التطورات ، والتحول من سياسات ردود الأفعال إلى السياسات الثابتة المدروسة والمبنية على حقائق علمية .

إن المواجهة فى المرحلة القادمة مواجهة علمية تكنولوجية ثقافية سيكون البقاء فيها لمن يملك المعرفة بالآخر . وقد نجحت الصهيونية فى القرن الماضى لأنها امتلكت سلاح معرفة العرب من خلال مئات مراكز البحوث اليهودية والإسرائيلية المتخصصة فى الدراسات العربية والإسلامية فى الوقت الذى لم يهتم فيه العرب بإنشاء مراكز متخصصة فى الدراسات اليهودية والإسرائيلية . وقد تحسن الوضع فى العشرين سنة الأخيرة بإنشاء بعض المراكز القليلة التى لقلتها وضآلة تمويلها لم تتمكن من أداء المهام العلمية المطلوبة منها . ومع ذلك فقد شعرنا جميعا بقيمة هذه المراكز وبالخدمة القومية التى يمكن أن تؤديها لو توفرت لها الإمكانات العلمية والمادية . ومما لاشك فيه أن التقدم التكنولوجى للعرب سيلعب دوراً حاسمًا فى مستقبل الشرق الأوسط بعد السلام حيث سيؤدى إلى تحقيق التوازن التكنولوجى فى المنطقة والتخفيف من حدة السيطرة الإسرائيلية فى هذا المجال الحيوى . أما

الشكل الثقافى للمواجهة فهو فى معظمه امتداد للصراع القديم بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الغربية باعتبار إسرائيل قاعدة للحضارة الغربية فى البيئة العربية الإسلامية وليس لديها جديد تقدمه فى هذا المجال . ولا يخشى على الثقافة العربية الإسلامية لأنها ثقافة غالبة وذات سيادة وقد مكنها هذا من الصمود أمام قيم الحضارة الغربية خلال القرنين الماضيين . ولو تحقق اندماج المجتمع الإسرائيلى فى البيئة العربية الإسلامية المحيطة به لحدث تأثير عكسى ، أى من الثقافة العربية الإسلامية على الثقافة الإسرائيلية بمصدرها الغربى واليهودى . وبخاصة إذا وضعنا فى الاعتبار أن المصدر اليهودى فى الثقافة الإسرائيلية المعاصرة مصدر تراثى خاص ليس له تأثير فى غيره لأنه يعبر عن الثقافة اليهودية الخاصة بعنصريتها وانغلاقها على نفسها .

الحواشي والمراجع

1 - The Standerd Jewish Encyclopedia, ed, by Cecil Roth, New, Revised Edition, Massadah Publishing Co., Jerusalem 1966, P. 178 .

2 - Alice and Roy Eckardt, Encounter With Israel, A Challenge to Conscience, Association Press, New York, 1970, P.86 .

٣ - رشاد الشامى . الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية ، سلسلة عالم المعرفة . العدد ١٠٢ ، الكويت ، ١٩٨٦ ، ص ٨٩ - ٩٠ .

4 - The Standead Jewish Ency. P. 1685 - 6 .

5 - S.N. Eisenstadt, Israeli Society, Basic Books Inc., New York, P. 1979 pp. 50 - 52 .

6 - The Standard Jewish Ency. P.1586 .

٧ - على إبراهيم عبده وخيرية قاسمية . يهود البلاد العربية ، سلسلة دراسات فلسطينية . العدد ٨٢ مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية . بيروت . ١٩٧١ . ص ١٧ .

٨ - صموئيل أتينجر . اليهود فى البلدان العربية (١٨٥٠ - ١٩٥٠) ترجمة جمال الرفاعى ، مراجعة رشاد الشامى . سلسلة عالم المعرفة . العدد ١٩٧.الكويت ١٩٩٥. ص ٤٧ .

٩ - على إبراهيم عبده وخيرية قاسمية . يهود البلاد العربية . ص ٢٨ .

١٠ - رشاد الشامى . القوى الدينية فى إسرائيل بين تكفير الدولة ولعبة السياسة. سلسلة عالم المعرفة . العدد ١٨٦ . الكويت . ١٩٩٤ . ص ١٨٢ .

انظر أيضًا .

علي إبراهيم عبده . يهود البلاد العربية . ص ٢٨ ورشاد الشامي . الشخصية اليهودية . ص ٩٥ - ٩٦ .

11 - Eckardt, Encounter With Israel, P. 84 - 87 .

١٢ - رشاد الشامي . الشخصية اليهودية . ص ٩٠ - ٩١ .

13 - Herbert Russcol and Margalit Banai, The First Million Sabras,a Portrait of the Native Israelis, Hart Pub. Co., New York, 1970 , P.3.

وقد حدد رسكول عدد الصابرا بنصف سكان إسرائيل اليهود في عام ١٩٦٩ حيث كان عددهم ١,٧٥٠٠٠٠ نسمة من بين ٢,٤٠٠٠٠٠ يهودي إسرائيلي .

١٤ - من أهم الأعمال العربية التي درست شخصية الصابرا انظر .

قدري حفني - الإسرائيليون من هم ؟ دراسة نفسية . مكتبة مدبولي . القاهرة (وبخاصة الباب الثالث ص ٣٢٣ - ٤٤٦) .

وانظر أيضًا .

رشاد الشامي . الشخصية اليهودية . ص ١١٨ - ١٥٨ .

15 - Arye Carmon, Israeli Identity in Crisis, Judaism no.149 Vol. 38, 1989, P.41-43 .

16 - Russcol and Banai, P.4 .

١٧ - يصف رسكول الصابرا بأنهم يشعرون بأنهم في بلدهم الأصلي . وينظرون إلى الشرق الأوسط من منظور داخلي والصابرا يشعر بقرابة سامية مع العرب

والثقافة العربية . وقد تربى بعض القادة المعروفين من الصابرا بين جيران عرب مثل موشى دبان وبيجال آلون ، وهما يتحدثان العربية بطلاقة . انظر Russ-col P.4 .

18 - Eliezer Berkovits, Identity Problems in the State of Israel Judaism, no.111 Vol. 28, No 3 , 1979, P.334 .

19 - Grorge Friedmann, The End of the Jewish People ? trans. From the French by E. Mosabacher, Doubleday Co., New York, 1967, PP. 117 - 131 .

20 - Berkovits, Identity Problems P.334 -335 .

21 - Friedmann , The End of the Jewish People, P. 123 .

22 - Ibid, P. 126 .

وانظر أيضا . . Eckardt, p. 83

23 - Friedmann, P.126 .

٢٤ - رشاد الشامى . الشخصية اليهودية . ص ٩١ - ٩٢ .

٢٥ - عبد الله الطرازى . " سكان إسرائيل " . مختبر دميوجرافى . مجلة شئون عربية . العدد ٨٧ . سبتمبر ١٩٩٦ . ص ١١١ .

٢٦ - أمين عطايا . فلسطينيو الأرض المحتلة عام ١٩٤٨ . الواقع الديوجرافى والاجتماعى والساسى . مجلة شئون فلسطينية . العدد ٢٠٧ يونيو ١٩٩٠ . ص ١٥ .

وانظر أيضا .

Eli Lobel, Palestine and the Jews, in, the Arab World and. Ireal, Nework, 1970, P.84 .

٢٧ - أمين عطايا ، المرجع السابق . ص ١٧ .

٢٨ - المرجع السابق . ص ٢٤ .

٢٩ - المرجع السابق . ص ١٦ .

٣٠ - عزيز حيدر . دور المقاومة الثقافية فى صياغة الهوية الجماعية . دراسة فى الهوية الجماعية للعرب فى إسرائيل . مجلة المستقبل العربى . العدد ٢٠٥ مارس ١٩٩٦ . ص ٣٤ .

٣١ - المرجع السابق . ص ٣٥ - ٣٦ .

٣٢ - انظر فى هذه الحركات الأعمال التالية .

- Joseph Blau, Modern Varieties of Judaism, Columbia Univ. Press N.Y. 1966 .

- Mordecai Kaplan, Judaism as a Civilization, Schocken Books, N.T., 1967 .

- David Rudavsky, Modern Jewish Religious Movements, Behraman House, N.Y., 1967 .

33 - Fridmann, The End of the Jewish People ? P.119 .

٣٤ - ها آرتس ١٢ مايو ١٩٧٨ .

٣٥ - ممدوح شوقي . الشرق أوسطية بين الجغرافيا السياسية والجغرافيا الاقتصادية. مجلة السياسة الدولية . العدد ١٢٥ . يوليو ١٩٩٦ . ص ١٢٧ .

٣٦ - انظر فى هذه المضوعات .

- عبد المنعم سعيد . " العروبة والشرق أوسطية وأمور مهمة أخرى " . جريدة الأهرام ١٩٩٦/١٢/٢٣ .

- ناصيف حتى . " مستقبل العلاقات العربية الأوروبية بين الشرق أوسطية والمتوسطية " (حلقة نقاشية) مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٥/١٢/٢٧ . ص ٩١ .

- برهان غليون . " تنمية الشرق الأوسط " . أكثر من مسألة اقتصادية . الأهرام ١٩٩٦/١١/٢٣ .

٣٧ - أحمد السيد النجار . " الشرق أوسطية والمتوسطية والانحياز الأمريكى " . الأهرام ١٩٩٦/١١/٢٣ .

٣٨ - انظر البرامج الانتخابية للأحزاب الإسرائيلية . مختارات إسرائيلية . العدد ١٩ . يولوي ١٩٩٦ . ص ٣٧ - ٣٨ .

٣٩ - سيفر بلوتسكو . الاقتصاد الإسرائيلى فى عهد نيتانياهو . يدبعوت أحرونوت . ١٩٩٦/٧/٧ .

انظر أيضًا .

محمود وهبه . الاقتصاد الإسرائيلى بعد نيتانياهو . الأهرام ١٩٩٦/١١/٤ .

٤٠ - ممدوح أنيس فتحى . أبعاد نظرية الأمن الإسرائيلى بعد التسوية الشاملة مجلة السياسة الدولية ١٢٤ . أبريل ١٩٩٦ . ص ٢٣١ .

٤١ - المرجع السابق . ص ٢٣٣ .

٤٢ - معاريف ١٩٩٦/٤/٣ .

٤٣ - البرامج الانتخابية للأحزاب الإسرائيلية . مختارات إسرائيلية . العدد ١٩ . ص ٤ ..

٤٤ – رشاد الشامى . الشخصية اليهودية الإسرائيلية . ص ٢٣١ – ٢٣٢ .

٤٥ – السيد عليوه . مستقبل المؤسسة العسكرية الإسرائيلية فى ظل التسوية . قضايا فكرية . الكتاب السابع ١٩٨٨ . القاهرة . ص ١٥ – ١٦ .

وانظر أيضًا .

السيد عليوه . فعاليات النظام السياسى الإسرائيلى من دولة المعسكر إلى الإمبراطورية التابعة . مجلة السياسة الدولية . العدد ٨٧ . يناير ١٩٨٧ . ص ٦٠ – ٦١ .

٤٦ – المرجع السابق . ص ٦٠ .

وانظر أيضا .

مستقبل العسكرية الإسرائيلية بعد التسوية . ص ١١ .

٤٧ – البرامج الانتخابية للأحزاب الإسرائيلية . مختارات إسرائيلية . العدد ١٩ . ص ٣٨ .

٤٨ – المرجع السابق . ص ٣٧ .

٤٩ – المرجع السابق . ص ٣٧ .

٥٠ – المرجع السابق . ص ٤٢ .

٥١ – بدر عبد العاطى . " مستقبل عملية السلام بعد فوز نيتانياهو " . مجلة السياسة الدولية . العدد ١٢٥ . يوليو ١٩٩٦ . ص ٧١ .

٥٢ – البرامج الانتخابية للأحزاب الإسرائيلية . مرجع سابق . ص ٣٨ – ٤١ .

٥٣ – المرجع السابق . ص ٤٢ – ٤٦ .

٥٤ - محمود وهبه . " الاقتصاد الإسرائيلى بعد نيتانياهو " . الأهرام ١٩٩٦/٤/٤ .

٥٥ - برهان غليون . " تنمية الشرق الأوسط أكثر من مسألة اقتصادية " الأهرام . ١٩٩٦/١١/٢٣ .

٥٦ - انظر . " مستقبل العلاقات العربية الأوروبية بين الشرق أوسطية والمتوسطية " مجلة المستقبل العربى . مرجع سابق ، ص ١٢ .

٥٧ - البرامج الانتخابية للأحزاب السياسية . مرجع سابق . ص ٣٧ .

٥٨ - المرجع السابق . ص ٣٧ .

٥٩ - المرجع السابق . ص ٣٨ .

٦٠ - المرجع السابق . ص ٤٢ .

٦١ - المرجع السابق . ص ٤٢ - ٤٣ .

٦٢ - المرجع السابق . ص ٤٦ .

٦٣ - المرجع السابق . ص ٤٦ - ٤٧ .

٦٤ - المرجع السابق ص ٤٧ - ٤٨ .

٦٥ - المرجع السابق . ص ٤٨ .

٦٦ - المرجع السابق . ص ٤٩ .

٦٧ - ممدوح أنيس فتحى . أبعاد نظرية الأمن الإسرائيلى بعد التسوية الشاملة . ص ٢٣٣ .

٦٨ - المرجع السابق . ص ٢٣٣ .

٦٩ - معاريف ١٩٩٦/٦/٢ .

٧٠ - معاريف ١٩٩٦/٦/١ .

٧١ - معاريف ١٩٩٦/٦/١ .

٧٢ - معاريف ١٩٩٦/٦/١ .

٧٣ - هاتسوفيه ١٩٩٦/٥/٣١ .

٧٤ - هاتسوفيه ١٩٩٦/٥/٣١ .

٧٥ - بدبعوت أحونوت ١٩٩٦/٦/٧ .

٧٦ - بدبعوت أحرنوت ١٩٩٦/٦/٧ .

٧٧ - بدبعوت احرنوت ١٩٩٦/٦/٣ .

٧٨ - هاتسوفيه ١٩٩٦/٦/٤ .

٧٩ - عطا محمد صالح زهره . " الموقف الإسرائيلى من الدولة الفلسطينية واحتمالات المتسقبل " شئون عربية . العدد ٦ دبسمبر ١٩٨٩ . ص ٦١ - ٦٢.

٨٠ - المرجع السابق . ص ٦٣ .

٨١ - المرجع السابق . ص ٦٤ .

٨٢ - المرجع السابق . ص ٦٥ .

٨٣ - وليد الخالدى . " نحو الدولة الفلسطينية على الرغم من اتفاق أوسلو " مجلة الدراسات الفلسطينية . العدد ٢٤ . خريف ١٩٩٥ . ص ١٥ .

٨٤ – البرامج الانتخابية للأحزاب السياسية . ص ٣٧ .

٨٥ – المرجع السابق .

86 - Israel Information Series, Jeruaslem : Issues and Perspectives, Pub, by the Ministry of Foreign Affairs. 1972 , P.6.

87 - Ibid, P.6 .

88 - Ibid, P.7 .

89 - Ibid, P.5 .

90 - Ibid, P.11.

91 - Ibid, P.18 .

92 - Ibid, P.19 .

93 - Ibid, P.28 .

94 - Dore Gold, Final Status Issues : Israel - Palestenians, Study no.7 Tel - Aviv University, The Jaffee Center For Strategic Studies 1995 .

٩٥ – دورى جولد . القدس . الحل الدائم (ترجمة مجلة الدراسات الفلسطينية). العدد ٢٦ ربيع ١٩٩٦ . ص ١١٦ – ١٢١ .

٩٦ – المرجع السابق . ص ١٣٨ – ١٤٢ .

٩٧ – المرجع السابق . ص ١٤٢ – ١٤٣ .

٩٨ – المرجع السابق . ص ١٤٢ – ١٤٤ .

٩٩ - المرجع السابق . ص ١٤٩ - ١٥٢ .

١٠٠ - معاريف . يوليو ١٩٩٦ .

١٠١ - خليل التفكجي . تهويد القدس . حقائق وأرقام . مجلة الدراسات الفلسطينية . العدد ٢٢ ربيع ١٩٩٥ . ص ١٢٤ - ١٢٧ .

١٠٢ - بتسليم . سياسة التمييز . مصادرة الأرض ، التخطيط والبناء في القدس الشرقية . مجلة الدراسات الشرقية . العدد ٢٤ . خريف ١٩٩٥ . ص ١٦٧ - ١٦٨ .

١٠٣ - عبد العليم محمد . حاجة إسرائيل للسلام وخوفها منه . الأهرام ١٩٩٦/١١/٢٥ .

المحتويات